الوعي الإسلامي

al-Waei al-Islami

شهرية جامعة • إسلامية

العدد ٣٩٧ ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ رمضان ١٤١٩ هـ ـ ديسمبر ٩٨ / يناير ١٩٩٩ م

رمضان ... علاج لأمراض الأمة



الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية

العقوبات في الإسلام هدفها مصلحة الفرد والجماعة

ندوة الوعي الإسلامي :

الخطاب الإعلامي الأولويات والضوابط

هديتك مع العدد براعم الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
al-Waei al-Islami

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٩٧ . السنة الخامسة والثلاثون
رمضان ١٤١٩ هـ . ديسمبر ١٩٩٨ / يناير ١٩٩٩ م

المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ . الصفاة . 13097 . الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami
P.O.BOX 23667 SAFAT 13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

هاتف : ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+)
فاكس : ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

مطابع السياسة . الكويت

كلمة العدد

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً

الإخوة القراء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطالعكم هذا العدد الجديد من مجلة الوعي الإسلامي «عدد رمضان» والمسلمون في شتى أصقاع المعمورة قد دخلوا شهر الصوم منيبين إلى ربهم بالعبادة، والتقوى ومضاعفة البذل، والعطاء على الفقراء والمساكين والمحتاجين، والإكثار من العمل الصالح لما فيه خير الدنيا والآخرة.

وانطلاقاً من الأهداف السامية النبيلة لمجلة الوعي الإسلامي في توعية المسلمين وترشيدهم وتأصيل الخير في نفوسهم وإيماناً منها بأهمية هذه الفريضة التعبدية التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة قامت بنشر ملف خاص عن شهر رمضان تناولت فيه هذه الفريضة من كل جوانبها الإيمانية والتربوية والنفسية والصحية... حتى يجني المسلم من نفحاتها الروحية زاداً يمتد أثره ليشمل شهور العام جميعاً. وتصير أيام السنة عنده كلها رمضان فلا فسوق ولا عصيان ولا خروج عن النهج القويم، بل عيش كريم في ظلال وسطية الإسلام العادلة التي قال الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: ١٤٣.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام في هذا الشهر الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ١٠ كويتية دنانير (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا ـ السعودية : ٤ ريالات ـ البحرين : ٣٠٠ فلس
قطر : ٤ ريالات ـ الامارات : ٤ دراهم ـ سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة
الأردن : ٥٠٠ فلس ـ مصر : جنيه واحد ـ السودان : ٥ جنيهات
موريتانيا : ١٢٠ أوقية ـ تونس : دينار واحد ـ الجزائر : ٥ دنانير
اليمن : ٥ ريالات ـ لبنان : ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا : ٢٠ ليرة ـ المغرب : ٦ دراهم
ليبيا : ٥٠٠ مليم ـ اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله
امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما.

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزبيبر

في هذا العدد

نـدوات



ندوة الوعي الإسلامي ١/٢

بمشاركة عدد من رجال الفكر والإعلام.. إدارة مجلة الوعي الإسلامي عقدت ندوتها الثالثة تحت عنوان: «الخطاب الإعلامي... الأولويات والضوابط» طرحت من خلالها الكثير من النقاط المتصلة بالخطاب الإعلامي

14

حضارة وفكر

الحلقة المفقودة

28

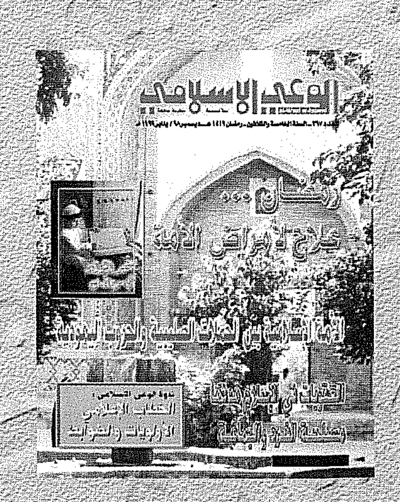
حتى لا نصاب بالإحباط واليأس لابد من معرفة السنن الكونية ونظم التاريخ، وظاهرة نشوء الحضارات ونموها ثم تحللها وتفسخها واندثارها لتنشأ من بعدها حضارات أخرى وفق ظاهرة القضم والهضم...

ملف شهر رمضان

هل يصوم مريض جهاز الهضم ؟

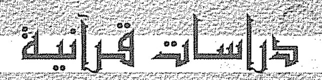
48

شهر رمضان شهر إجازة لجهاز الهضم الذي يستريح من هضم الطعام خلال النهار، ترى ما الأمراض المعدية والمعوية التي ينصح فيها الأطباء مرضاهم بالإفطار في رمضان؟



دراسات قرآنية

الخطاب القرآني بين التفسير والتأويل



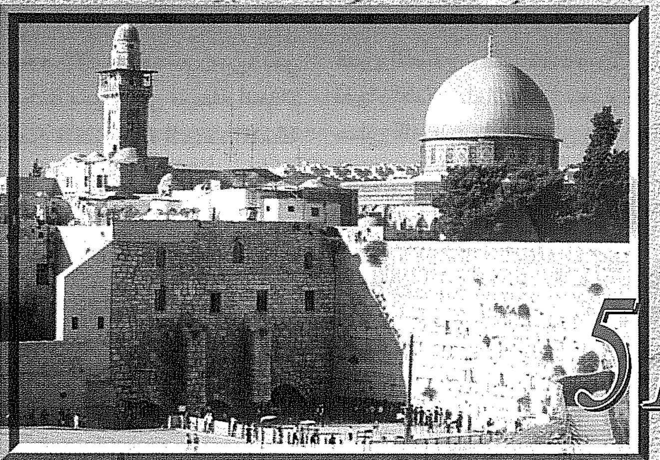
64

ما الفرق بين التفسير والتأويل في الخطاب القرآني ومتى يستعمل كل منهما؟ وهل لكل منهما دلالة محددة وواضحة ومتميزة ومخالفة لدلالة الآخر؟ وما أقوال المفسرين في ذلك؟

في الأعداد المقبلة

- الهجرة من المراكز الأندلسية الساقطة بأيدي النصارى — أ.د محمد أبو الأجفان
- مسلمو أوغندا من مملكة «البوجندا» إلى عصر الانقلابات العسكرية — شعبان عبدالرحمن
- العولمة الثقافية وأثرها على التنشئة الاجتماعية في العالم الإسلامي — مصطفى دسوقي كسبة
- مسؤولية الإنسان عن عمله. — د. أحمد عبدالرحيم السايح
- الإسلام والغرب والاستشراق، حوار مع الدكتور حسن عزوزي — سومع عبدالسلام

تيارات هدامة



الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية

لماذا نجحت الأمة المسلمة في التصدي للخطر الصليبي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ولماذا كان التعثر والفشل في التصدي للخطر اليهودي المعاصر، وهل يمكن الاستفادة من النجاح الأول في مواجهة الخطر الحالي؟

الفهرس

بريد القراء

شبــاب بــلا ... ســلاح

شبـاب اليـوم «إلا مـن رحـم ربـي» فـي المجتمعات المسلمة يعيش في مرحلة انعدام الوزن الناتجة من فقدانه لقوة الجذب المتمثلة في «القدوة الحسنة» في الواقع الذي يعيشه شبابنا، الذي يرزح تحت ضغط إعلامي موجه سواء أكان هذا الإعلام داخلياً أم خارجياً.

والحقيقة أن بعضهم يتخوف من التدفق الإعلامي الخارجي وبعضهم يعتبر أن الإعلام الداخلي المشّوه هو السلاح الفتّاك بقيم هذا المجتمع وبطاقته الحيوية المتمثلة في الشباب.

إن الشباب المسلم لا يملك سلاحاً في مواجهة هذه الضغوط إلا بالرجوع إلى المصادر الأصيلة للإسلام المتمثلة في «القرآن والسنة» وكل المصادر المتفرعة عن هذين الأصلين والتي لاقت قبولاً وإجماعاً من فقهاء الأمة وعلمائها من بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا، هدفُها تحصين شبابنا ضد الموجات التغريبية التي يدعو لها بعض من أبناء جلدتنا المتغربين، إن التحصين ضد المرض لهو أفضل طريق لاكتساب المناعة ضده، والبضاعة الفاسدة لا تجد سوقاً رائجة إلا في بيئة فاسدة مستعدة لاستقبالها، فاحتضانها بل إرباؤها، أما في البيئة المحصنّة بالقيم، فلا مكان لأمثال هؤلاء المرضى في أخلاقهم. علينا أولاً إصلاح التربة وبعدها ننتظر يوم الحصاد، ويا له من حصاد، وأطمئنكم، بفضل الله سترتد تلك الهجمة التغريبية حاسرة إلى نحور من أطلقوها.

مخلص عبدالرحمن سيد

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تعقيب وتصحيح

قرأت في مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» مقالاً جميلاً للأستاذ سامي الجيتاوي تحت عنوان : «أهمية العالم الإسلامي».

أوضح لنا فيه قيمة العالم الإسلامي، وحثنا على ألا نستهين بأنفسنا، ولكن أحب أن أشير إلى خطأ وقع فيه الكاتب - وفقه الله - حيث ذكر أن الإسلام يأتي في المرتبة الثالثة عالمياً في عدد المعتنقين بعد البوذية والمسيحية.

ولكن الحقيقة هي أن الإسلام هو الدين الأول عالمياً من حيث عدد المعتنقين به، وهذا ليس توقعاً مني بذلك، بل هو ما ذكرته شبكة CNN الإخبارية الأميركية، حيث أكدت سنة ١٩٩٧م أن الإسلام هو الدين الأول في عدد المعتنقين له بالنسبة للأديان الأخرى. ويبدو أن الكاتب جاء بهذا الترتيب من الإحصاء الذي ذُكر في تعداد لسنة ١٩٧٥م أن تعداد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ مليون مسلم، ويشكلون ١٧,٥ في المئة من تعداد سكان العالم.

ولكنني قرأت في مصادر كثيرة موثوقة أنه في تعداد لسنة ١٩٨٠م، وصل سكان العالم إلى ٤٢٠٠ مليون نسمة، وعدد المسلمين إلى ٨٥٠ مليون منسلم، أي ٢٠ في المئة من إجمالي سكان العالم، والآن أصبح تعداد المسلمين مليار و مئتي مليون مسلم يمثلون أكثر من ٢٠ في المئة من سكان العالم «أي أكثر من خمس سكان العالم»، وهؤلاء يمثلون الدين الأول عالمياً، تحقيقاً لقوله تعالى:

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) سورتي التوبة والصف، ليعلم كل مسلم أننا الأكثر عدداً ولكننا غثاء كغثاء السيل، وأصبحنا في ذيل الأمم على مستوى العالم، ونرجو الله أن يعيد لنا مجدنا القديم.

محمد عبدالحميد السيد أحمد - مصر

أسلمة المجتمع

إزاء هذا التنوع والتباين في ظهور التيارات الفكرية الداعية إلى مذاهب واتجاهات شتى، كان لابد من وقفة وخصوصاً أننا نحمل في صدورنا خير مذهب وأفضل اتجاه وهو الإسلام، ومن هذه الوقفة كان لابد من انطلاقة نحو إعادة صياغة المجتمع إسلامياً، حيث تحمل هذه الانطلاقة الدعوة إلى أسلمة المجتمع بمعنى أن يتأسلم فكره ويتأسلم اقتصاده، وتتأسلم سياساته وذلك أمر طبيعي مادمنا نعيش في بلاد إسلامية، ولكل فرد منا دور مهم يجب عليه تحمل تبعاته والقيام بأعبائه إزاء هذا العمل العظيم، فبعد أن يجتهد الفرد في إصلاح نفسه، عليه أن ينطلق إلى إصلاح ما حوله ومن حوله.

وأعتقد بأنه يضمن لهذا العمل الاستمرار وإخلاص الفرد بما يقوم به من عمل، أي أن يتصل بالله وأجره وثوابه عند الله عز وجل، وأن من ترك هذا الواجب تخاذل عن نصرة الإسلام وتقهقر إلى الوراء في فترة اشتد فيها الوطيس في معركتنا مع هذا التخلف الحضاري الذي بدأ ببدء التنازل عن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

وهذا الدور الذي وجّب على الفرد القيام به والمتمثل في مشاركته في مشروع أسلمة المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يجب أن يتخذه الفرد في ظل عمله بل يأخذ بكل الوسائل التي يعتقد بأنها توصله إلى مبتغاه ولا يتراجع العامل في هذا الحقل عن عمله ولو افتقد رد الفعل الناجح لأن عمله يرتبط بالنتيجة وهو في المقام الأول لله عز وجل.

ثم إن العامل لايدري مدى حجم رد الفعل فربما يكون قد تكوَّن فعلاً، لكنه لم يحن وقت ظهوره أو أن يتهم العامل نفسه بالتقصير فيظل على عمله دوماً.

مجدي السعدني

خواطر رمضانية

أيّ نفحات ندية تحملها أجواؤك يا رمضان

أتراها السماء تنثر أنوار نجومها... فيكون الجمال الأخّاذ

أتراه الصائم ينشد عطره الفريد نسيمات تتهادى في كل فضاء فيكون السلام... ويكون الرقي... ويكون الانفتاح على الخير... والحب... والعطاء.

في رمضان

تصير النفوس في وقاية من الأذى.

وتصير القلوب في خفق المحب والمشتاق إلى الانعتاق

وتصير الأفواه لا تنطق إلا طيباً أو تصمت في جلال

مآذن العالم كلها مضاءة بأنوار المصلين تعلن سموهم

أنوار لا تبقي عتمة أو سواداً أو شحوباً

ومن المآذن صوت لا مثيل له... ونداء هو العدة والقوة والحياة... نداء ينهض به الضعفاء... ويخشع له الأقوياء

مآذن عالية تمس السماء فتزيدها سحراً... ورونقاً

تهفو قلوب الصائمين نحو هذه المآذن... أليست تعبيراً حياً عن حنينهم إلى الشموخ

الطفولة في رمضان جوهرة معلقة على أهداب القمر

ويكتسب رمضان بالطفولة لوناً جذاباً... وبإيقاعها يصير رمضان أغنية على شفاة عشاقه.

ومن الطفولة يتعلم الكبار فن الصوم... وأخلاق الصوم الصدق... الصمت... الابتسامة... الصبر... التصميم... الكرم...

فإن غفل الكبار عن معزوفة رمضان... جاءت الطفولة لتكون الذكرى ... إلى التحرر... والانتصار.

ميسون صافي

ردود خاصة

● **القارئ طه عبدالعزيز علي - مصر:**

شكراً على ملاحظتك بشأن الفتوى المنشورة في العدد (٣٩١) - يوليو ١٩٩٨م، ولا شك أن مثل هذه الفتاوى متروكة لأهل العلم والاختصاص.

● **القارئ كمال عبدالرزاق :**

نحن لسنا جهة تقوم بتقديم المساعدات المالية، يمكنك مراسلة الجمعيات الخيرية وجزاكم الله كل خير.

● **القارئ محمد عباس قنديل - مصر:**

المجلة في الوقت الحاضر لا تعتمد أسلوب تعيين المراسلين، يمكنكم إرسال المواد الإعلامية المتنوعة وفي حال نشرها أو نشر جزء منها سنقوم بإرسال المكافأة المستحقة حسب القواعد المتبعة، وشكراً على ثقتكم بالمجلة.

● **القارئ قيبو أحمد - الجزائر :**

يمكنكم مراسلة إدارة الثقافة في الوزارة للاستفسار عن الكتب التي تطلبونها.

مزيداً من الاهتمام بالمراهقين

في عصرنا هذا ومع انتشار وسائل الإعلام والقنوات الفضائية واهتمامها برعاية الأطفال ومستقبل الشباب غاب عن أنظارها مرحلة أشد خطورة وهي «سن المراهقة» هذه الفترة التي يجب أن تكون وسائل الإعلام مهتمة بها أكثر لأنها الفترة التي تمهد لبناء شاب مسلم صالح إذا أحسنت رعايته وتهدم شاباً آخر إذا أهملت رعايته ومن هذا المنطلق يجب أن تقف القنوات الفضائية في الدول الإسلامية إلى جانب الآباء وأن تسلط الضوء على هذه المرحلة الحرجة من عمر الشاب المسلم، حتى لا يأتي اليوم الذي يضيع فيه الشباب من بين أيديكم.

علي أمين أمين

ابن سناء الملك
أبرز شعراء العصر الفاطمي الثاني

في سنة ٥٥٠هـ، فتحت الدنيا ذراعيها لاستقبال مولود جديد هو ابن سناء الملك الذي ولد ونشأ وترعرع في بيئة جمعت بين الغنى والعلم والمنزلة والجاة. رعاه أبوه في صباه فحفّظه القرآن الكريم، ولما شب عن الطوق، واشتد عوده عهد به إلى أساطين العلم في زمانه أمثال الصفدي والقاضي الفاضل وغيرهما، فأخذ عنهم اللغة والنحو والفنون الأدبية بشقيها النثري والشعري. وابن سناء الملك هو أبرز شعراء العصر الفاطمي الثاني الذي بدأ في عصر المستنصر بالله (٤٢٧/٤٨٧هـ) وهو شاعر مجيد متميز تدور أغراضه الشعرية حول الغزل والرثاء والهجاء والفخر والوصف والزهد والاعتداد والاستعطاف والحكمة. ويقف الناظر في ديوانه الشعري الذي حققه وعلق عليه وشرح أبياته الأستاذ محمد إبراهيم نصر على تأثره بالشعراء العرب الفحول أمثال البحتري وأبي تمام، وإلى انحيازه التام إلى التأنق اللفظي والصنعة في الإنشاء الإبداعي. ويعتبر ابن سناء الملك واحداً من الشعراء المعددوين الذين تغنوا بأمجاد وبطولات صلاح الدين الأيوبي، فقد بعث الحماسة في نفوس المسلمين، وأثار الحمية والشجاعة في قلوب المحاربين ضد الغزاة الصليبيين. رحم الله ابن سناء الملك، ومتعنا بشعره.

محمد فؤاد محمد علي - مصر

التدخين والاستعمار

من المعلوم أن عادة التدخين لم تتفش في البلاد الإسلامية والعربية إلا مع دخول الاستعمار في أوائل القرن العشرين. ومن هنا نبدأ، فأصابع الاتهام تشير بما لديها من وثائق ومستندات خطيرة إلى أن أعداءنا خططوا بخبث ودهاء يحدوهم الأمل في انتصار مؤثر على العالم الإسلامي، فتمثلت خطتهم في نشر التدخين كاستعمار جديد من نوع فريد غير ما ألفه الناس من قبل، فأصبح بحق أسوأ استعمار أصيبت به بلادنا، ونظراً لضعف الوازع الديني وقلة الوعي الصحي بين المسلمين تثبت أقدام الدخان وتعلو سيطرته يوماً بعد يوم ويساند بالمال وتسهل مأموريته حتى أصبح الصاحب والصديق والمنقذ والدواء للكثير من أفراد المجتمع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!! أرأيتم أيها المدخنون كم تخسرون وكم يربح أعداؤنا؟

هزمنا أنفسنا بالفقر والمرض، فانتصر علينا أعداؤنا، يكفيهم أن نكون ضعفاء وفقراء والسبب الدخان بكل صوره، وهذا فقط يثلج صدورهم المريضة، ويعطيهم الأمل في أن الشرق الإسلامي مازال يغط في نوم عميق وتآمرهم واضح من واقع الماضي الأسود وخبث النوايا، والهدف واضح والنية مبيتة والعداوة مستحكمة والتخطيط مستمر والحقد دفين والحسد ظاهر. أرأيتم كيف يتآمرون علينا؟ شغلهم الشاغل هو المكسب المادي إنهم يتاجرون حتى في صحة الشعوب الإسلامية ويستنزفون أموالها. أيها المدخن: خدعوك فقالوا: التدخين حرية، ورجولة فأوقعوك في شباك الدخان، لتفقد أغلى ما لديك من الصحة والرجولة ونتمنى لك بحق أن تخرج بسرعة من هذا السجن الانفرادي الذي سجنت نفسك فيه مختاراً فهل ستكون رجلاً وتقلع عن التدخين، نتمنى ذلك وإنا لمنتظرون.

الشيخ ربيع عبدالعظيم الخياط - مصر

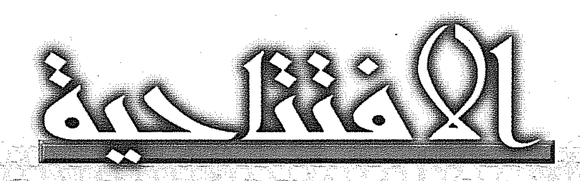
التكنولوجيا الإسلامية ضرورة عصرية

إن الدعوة لقيام مجتمع إسلامي «تكنولوجي» وبدء عصر «تكنولوجيا إسلامية» إنما هو استمرار طبيعي لموقف الإسلام المفتوح من معطيات العلم في آفاقه، واستكمالاً للدعوة إلى إعادة تشكيل العقل الإسلامي من أجل أن يكون أكثر قدرة على استيعاب المتغيرات وتطوير الحياة الإسلامية وحمايتها - في الوقت نفسه - ومن التفكك والعدوان، وإعمالاً لمنهج الله ومنهج الرسول - صلى الله عليه وسلم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

«فالبأس الشديد» متمثلاً في استخدام الإنسان للحديد كأساس للتسلح والإعداد العسكري والمنافع التقنية في مجالات نشاطه وبنائه المسلمي.

من ثم «فالعلم الحديث ليس ابن الحضارة الغربية وحدها، لكي نتردد في احتضانه وتنشئته، ولكنه تمخض أبدي لتراكم في الخبرة البشرية، وحضارات شتى أسهمت بها معظم شعوب الأرض الحية، وكان لحضارة الإسلام نصيب وافر في وضع دعائمه، وتصحيح مناهجه، وطرح الكثير من معطياته».

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر



رمضان علاج لأمراض الأمة

أمراض كثيرة وأزمات مستعصية وتحديات خطيرة تفتك بأمتنا، بل بالبشرية جمعاء، والإحصاءات الصادرة عن أصحاب القرار والاختصاص في كل مجال من مجالات التنمية الحياتية في دولنا العربية والإسلامية تقدم لنا الأدلة الدامغة على كنه وعمق الأزمة التي تعيشها... صحيح أن هناك مؤشرات إيجابية ونقاطاً مضيئة في بعض جوانب الأزمة، لكن الواقع المنظور على الأقل لايبشر بالخروج منها في المستقبل القريب، بسبب عمق الهوة التي انحدرت إليها الأمة وكثافة التراكمات والإفرازات السلبية عبر عشرات السنين والتخبط في اتخاذ القرارات وعدم وضوح الرؤية لدى صانعي القرار.

إن أزمة أمتنا وعالمنا كله هي أزمة أخلاق شاملة على الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل، والثورة الصناعية الكبيرة التي قلبت الموازين وقربت ما بين الأمم والشعوب، وأصبح العالم بسببها قرية صغيرة، واستطاع الإنسان أن يغزو الفضاء ويحرك كل شيء بالآلات والأجهزة الإلكترونية الحديثة، وابتكر الحاسوب وتفنن في إنتاج برامجه المختلفة وخاض في غمار العلوم الدقيقة، ولكنه مع كل ذلك لم يستطع أن يصل إلى السعادة والطمأنينة والراحة النفسية، بل هو يعيش في قلق دائم مستمر على مستقبله ومستقبل أبنائه، بعد أن عجزت الثورة العلمية والتكنولوجية عن إيجاد الشخصية الآمنة السعيدة ذات الثقل الاجتماعي والتميز الأخلاقي، وأصبحت هذه الثورة سبيلاً إلى شقاء البشرية وخوفها وإحساسها بالخطر الدائم في ظل التسابق في إنتاج أسلحة الرعب الشامل.

إنَّ القضية الأخلاقية قضية متكاملة الجوانب، تمتد جذورها إلى كل مناحي الحياة، فالفكر يحتاج إلى أخلاق، والتعليم يحتاج إلى أخلاق، والسياسة تحتاج إلى أخلاق، وكذلك الاقتصاد والاجتماع، وبناء على ذلك، فالإسلام يرى أن التعاليم الخلقية في الاقتصاد والسياسة والفكر والاجتماع في مرتبة الفرائض والإلزاميات، ولا يمكن للدولة أن تتقدم وتزدهر إلا بضم هذه العناصر من تعاليمه جنباً إلى جنب، لأنها متعاونة ومتساندة وكل منها يؤثر في العناصر الأخرى، ويتأثر بها، فبغير التعاليم الأخلاقية يختل النظام الاقتصادي فيما تدعو إليه من تعاون وتكافل بين أفراد المجتمع، والإسلام في تعاليمه الخلقية الاقتصادية جعل من المجتمع الإسلامي بيئة تعاونية عليها أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادي بصورة متكاملة على أساس نظرة الإسلام إلى العمل والمال، وبغير التعاليم الخلقية يختل النظام السياسي ويتعذر توجيه الأمة في اتجاه واحد، ونحو أهداف مشتركة، والحاكم في الإسلام يحكم بالعدل والمساواة والشورى وينشر الأخلاق والفضائل وأفراد الأمة متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، فلا حزبية ضيقة ولا طغيان ولا تسلط، وبغير التعاليم الخلقية يختل النظام الاجتماعي كما رأينا سابقاً، والفرد في المجتمع الإسلامي لبنة صالحة في كيان المجتمع والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد، والأسرة هي البيئة الطبيعة لنشوء الأطفال وتربيتهم التربية السليمة القائمة على الأخلاق الفاضلة، وهكذا يستطيع المسلم أن يعمل وينتج في ظلال الحضارة الإسلامية محققاً أهداف الإسلام في إسعاد الفرد وتحقيق أمنه وذاتيته، وفي إسعاد المجتمع وتحقيقه لطمأنينته، وشخصيته ورسالته، بل في إسعاد البشرية كلها، حينما تسير على مبادئه الخلقية.

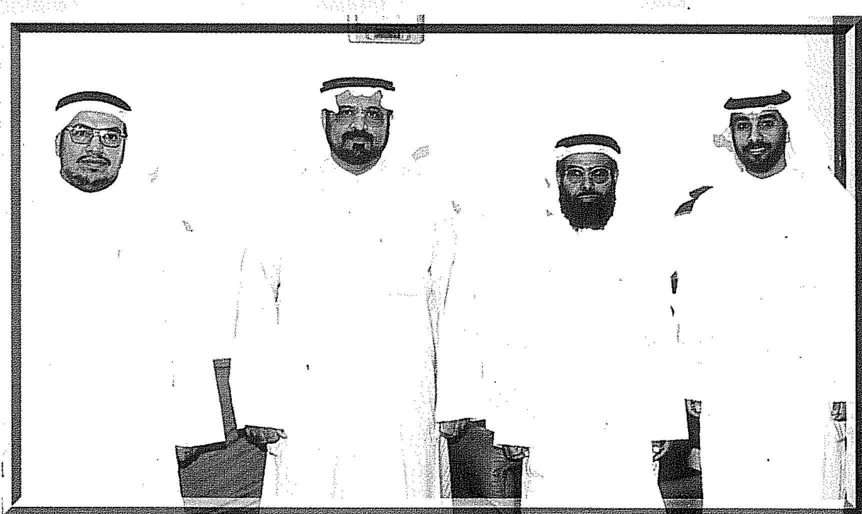
إن العبادات في الإسلام ـ ومنها الصوم ـ من أهم الوسائل لتقويم الشخصية وبذر بذور الأخلاق فيها، والتعود على العادات الحسنة وتقوية الإرادة، والصوم يؤهل الإنسان المسلم لارتقاء درجة الإنسان المثالي المتسلح بالأخلاق الكريمة، فلا يغش ولا يخدع، ولا يظلم الناس ولا يهضم حقوق الآخرين، ولا يسعى للإفساد في الأرض، وهذا ما يكسبه معالم الشخصية السوية التي تعرف حقوقها وواجباتها في الحياة، فيعيش في رغد من العيش وفسحة من الأمل والمحبة يعمل لخير نفسه وخير مجتمعه وأمته وللبشرية جمعاء. ■

الوعي الإسلامي

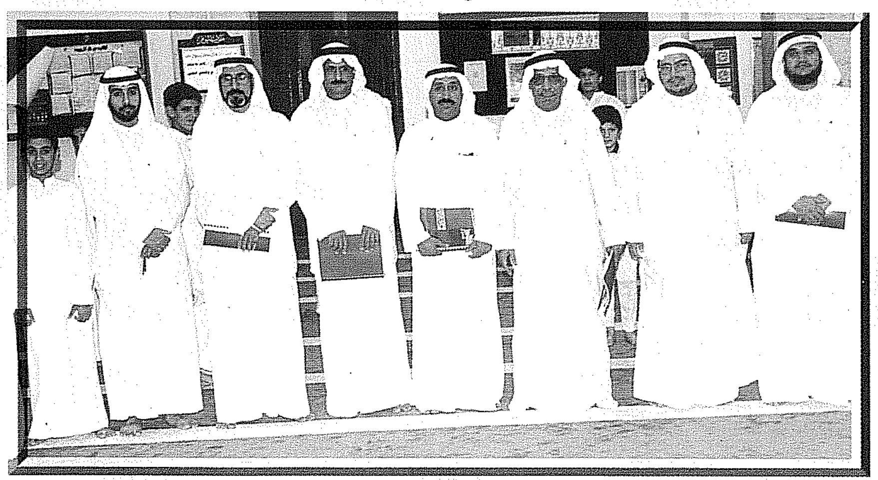
أنشطة الوزارة

وزير الأوقاف يستقبل وفد حلقات تحفيظ القرآن الكريم





● السيد الوزير مع وفد حلقات تحفيظ القرآن



● مسؤولون من وزارة التربية في زيارة احد الحلقات المتميزة

قام وفد من حلقات تحفيظ القرآن الكريم بمقابلة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد خالد الكليب وذلك بحضور الوكيل المساعد للدراسات الإسلامية الدكتور عادل عبدالله الفلاح، وضم الوفد في عضويته كلاً من: عبدالله السنان مراقب حلقات تحفيظ القرآن الكريم، ومشعل العتيبي رئيس قسم الحلقات، وعبدالله الكمالي رئيس القسم الإعلامي بالحلقات.

وقد عرض الوفد على الوزير أبرز إنجازات وإصدارات الحلقات وبعض الأنشطة الإعلامية التي تقوم بها حيث أشاد الوزير بهذه الجهود والبرامج والإنجازات، وأعرب عن أمله في استمرارها وتطويرها نحو الأفضل خدمة لكتاب الله عز وجل وليتمكن أبناؤنا وبناتنا من حفظ أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم من خلال أيسر الطرق وأسهلها.

وتطرق الوفد خلال اللقاء لشرح المشاريع والبرامج المستقبلية التي تعتزم مراقبة الحلقات تنفيذها ومعرفة مدى إمكان إقرارها ودعمها حيث أبدى الوزير تفهماً لهذه البرامج والخطط ووعد بمساندتها ومؤازرتها.

وفي ختام اللقاء حضّ وزير الأوقاف الوفد على إبراز أنشطة الحلقات والدور الذي تقوم به في المجتمع والرسالة السامية التي تضطلع بها وذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة، تشجيعاً لأولياء الأمور لحضّ أبنائهم على الالتحاق بالحلقات وحفظ القرآن الكريم.

وفي غضون ذلك قام مسؤولون من وزارة التربية بالتنسيق مع وزارة الأوقاف بزيارة إحدى الحلقات المتميزة في حفظ القرآن الكريم التابعة لمراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في وزارة الأوقاف، حيث اطلع الوفد على سير الحفظ لدى الطلبة كما تم عرض الإحصاءات والإنجازات التي قامت بها تلك الحلقة، وأثنى المسؤولون على تلك الجهود الطيبة التي قامت بها مراقبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في دعم مسيرة الحلقات وتطويرها.

أعدتها إدارة الإعلام الديني

برامج إعلامية متميزة خلال شهر رمضان المبارك

أعدت إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عدداً من البرامج التلفازية والإذاعية تتناول القضايا الإسلامية الفكرية والتربوية التوجيهية والقيمية وستركز البرامج على بيان فرصة المسلمين الكبرى في الاستفادة من هذا الشهر الفضيل الذي تتضاعف فيه أعمال البر والخير، جاء ذلك خلال المؤتمر الصحافي الذي عقده السيد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز البدر القناعي، وحضره ممثلو الصحافة المحلية ووكالات الأنباء.

تعاون وتنسيق

وأضاف القناعي أنه تم إنجاز كل البرامج الإعلامية بالتعاون والتنسيق الكاملين مع وزارة الإعلام ممثلة بجهازيها التلفاز والإذاعة واللذين تفضلا مشكورين بتسخير كل الإمكانات وتذليل كل الصعوبات حتى تم تنفيذ وإنجاز البرامج المتعلقة بالخطة الإعلامية لموسم شهر رمضان العام ١٤١٩هـ وقد كان هذا الاستعداد والتعاون محل شكر وتقدير من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى كل أركان وزارة الإعلام بدءاً بمعالي الوزير وصولاً إلى جميع المسؤولين في الجهازين الإذاعي والتلفازي.

البرامج التلفازية

وأوضح أن إدارة الإعلام الديني أعدت عدداً من البرامج التلفازية لبثها على القناة الأولى والفضائية وكذلك البرنامج الثاني في تلفاز الكويت ومن أهمها:

١ ـ برنامج «ومضات فكرية» وهو برنامج تسجيلي مدته عشر دقائق ويستمر طوال شهر رمضان وموزع على ثلاثين حلقة ويركز على أسس وغايات مهمة أبرزها بيان الأسس الحضارية للإسلام في إقامة حقوق الإنسان ورعايته لمفهوم الوحدة الوطنية والدور البارز للزكاة في معالجة مشكلات الاقتصاد في المجتمع.

٢ ـ برنامج «ثقافة فقهية» وهو برنامج



● عبدالعزيز البدر القناعي

تسجيلي عدد حلقاته ١٥ حلقة مدة الحلقة الواحدة ١٥ دقيقة وينطلق البرنامج من أسس مهمة منها الاعتداد بالهوية الإسلامية وتكريس المرجعية لأجهزة الإفتاء فضلاً عن الإسهام في تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية.

٣ ـ برنامج «صوموا تصحوا» وهو برنامج تسجيلي عدد حلقاته ثلاثون حلقة مدة الحلقة الواحدة ١٥ دقيقة ويركز هذا البرنامج المنوّع «صوموا تصحوا» على القضايا الصحية المتعلقة بشهر رمضان والصيام في صورها الشرعية من خلال تقديم ثقافة إسلامية أصيلة تبرز الجوانب الصحية بما يتناسب مع أجواء رمضان.

٤ ـ برنامج «قصص وعبر» وهو برنامج تسجيلي عدد حلقاته ثلاثون حلقة تستمر مدته ثلاثون دقيقة كل يوم وسيركز هذا البرنامج على استخلاص الحكم والعظات والعبر من التاريخ والتراث الإسلامي عبر عصوره النيرة ويقدم في شكل قصصي ممتع يشد المشاهد.

٥ ـ برنامج «التعريف بالإسلام» وهو باللغة الإنكليزية ومدته ١٥ دقيقة، وعدد حلقاته ثلاثون حلقة يتناول تعريفاً مختصراً ومفيداً بأهم الأركان والعبادات وتحبيبها لدى الناطقين باللغة الإنكليزية.

البرامج الإذاعية

وفيما يتصل بالبرامج الإذاعية فقد أعدت الإدارة عدداً من البرامج الإذاعية لتقديمها خلال موسم رمضان المبارك لسنة ١٤١٩هـ في إذاعة البرنامج العام وإذاعة القرآن الكريم ومن أهم هذه البرامج:

١ ـ البرنامج الديني وهو برنامج مباشر ثقافي توجيهي مدته ٦٠ دقيقة على مدى ثلاثين حلقة.

٢ ـ «إعادة النظر» وهو برنامج مسجل مدته ٥ دقائق وعدد حلقاته ٣٠ حلقة، يركز على بيان الجوانب السلبية في السلوكيات التي درج الناس على عملها وهي تحتاج إلى مراجعة أو إعادة نظر.

المشاركون في البرامج

ولقد حرصت إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف على أن تختار كوكبة متميزة من العلماء والمفكرين والكتّاب ليقوموا بالإسهام في تقديم وإعداد هذه البرامج بشكل يضمن الفائدة ويحقق الهدف للجميع إن شاء الله.

الرعاية

لقد قامت برعاية هذه البرامج جهات مهمة في البلاد جديرة بتلقي الشكر والتقدير من الوزارة ومن بين تلك الجهات «المجموعة الدولية للاستثمار» التي تفضلت برعاية برنامج «صوموا تصحوا» وكذلك صندوق إعانة المرضى الذي أسهم بفاعلية كبيرة في إعداد هذا البرنامج المهم.

المسابقة

وتجدر الإشارة إلى أن الإدارة قد أعدت مسابقات ثقافية تعرض من خلال برنامج «صوموا تصحوا» وستنشر المسابقات في إحدى الصحف اليومية لتمكين الجمهور الكريم من المشاركة فيها حيث رصدت لها جوائز مهمة وقيمة.

وزارة الأوقاف كرمت المتفوقين من الجاليات الناطقة بالأردو

الفلاح: العالم الحديث يعاني الإفلاس والويلات

أكد وكيل وزارة الأوقاف المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج الدكتور عادل عبدالله الفلاح أن الكويت تولي اهتماماً خاصاً بخدمة القرآن الكريم، مؤكداً أن العالم الحديث والمتطور يعاني من الخواء الروحي والإفلاس والويلات والأمراض وأن القرآن نزل وفيه هدى وشفاء للمؤمنين.

وأضاف في حفل توزيع الجوائز على المتفوقين في حلقات تعليم القرآن الكريم للجاليات الناطقة بالأردو «أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، ودستور المسلمين في الحياة وهو تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين. وقد وعد الله سبحانه بحفظ هذا الكتاب قائلاً: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وأنتم خير شهود على ذلك حيث إن الله اختاركم لحفظ كتابه مع اختلاف لغاتكم.

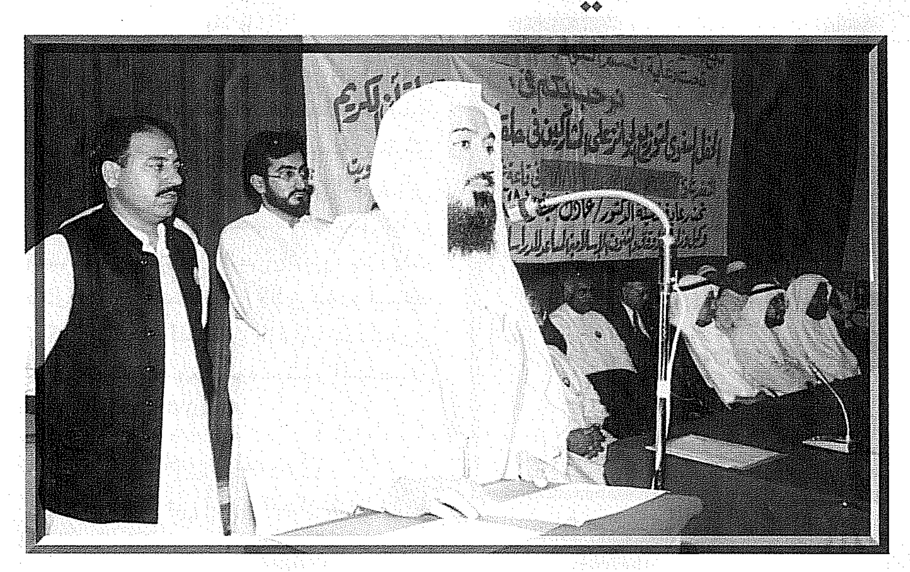
وقال: إن الرعيل الأول من المسلمين استطاع امتلاك ناصية العالم وتوجيه الأمم والشعوب وقيادة الركب البشري لتمسكه بالقرآن الكريم واهتدائه بهدي المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وتطبيق ما في القرآن الكريم من أحكام، وأن المسلمين في هذا العصر قادرون بفضل الله سبحانه على استعادة مجدهم والتغلب على معاناتهم من خلال التمسك بالقرآن الكريم.

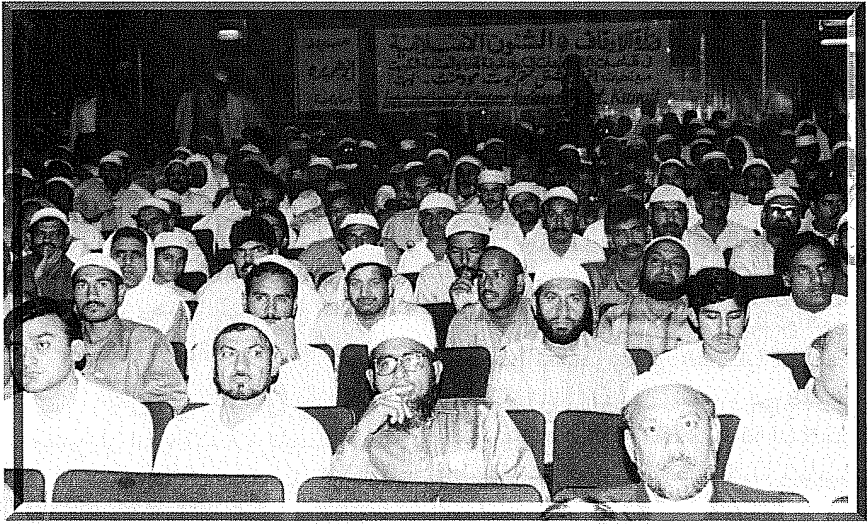
وأوضح أن العصر الحديث عصر العلم والتكنولوجيا، عصر الإدارة والمعلومات، عصر غزو الفضاء، وتسخير الكائنات وقد تحول فيه العالم إلى قرية صغيرة وقد زاد في هذا العصر الإمكانات والتحدثات على حد سواء.

ورأى أن إنسان اليوم رغم كل ما حقق من نجاح في الإبداع والابتكار يعاني من الخواء الروحي والإفلاس، ويعاني من كثير من الويلات والأمراض الروحية والجسدية والنفسية والاجتماعية، وأن القرآن الكريم الذي نزل وفي نسخته هدى وشفاء للمؤمنين هو الوحيد الكافل للشفاء مما تعاني منه الإنسانية، وعلى المسلمين مسؤولية كبيرة لإرشاد الناس إلى صيدلية الإسلام وإلى دار الشفاء المحمدية وإلى الماء العذب الزلال الذي طالما اشتاقت الأمم والشعوب إليه.

وزاد: نحن نعيش عصراً كثرت فيه الشعارات مثل النظام العالمي الجديد، والعولمة كما أننا على أبواب القرن الواحد والعشرين فعلينا أن نعي واجباتنا ومسؤولياتنا نحو أنفسنا ونحو العالم تجاه هذا الكتاب المبين ودين الله المتين.

وأكد الفلاح أن الكويت منذ نشأتها تولي اهتماماً خاصاً بخدمة القرآن الكريم وتعليم وتحفيظ كتاب الله فقد كانت مساجد الكويت مدارس قرآنية في بداية العهد شأنها في ذلك شأن البلاد الإسلامية الأخرى ثم تطورت المسيرة وأنشئت الكتاتيب لتعليم وتحفيظ





● لقطات من حفل التكريم

القرآن الكريم، وفي منتصف السبعينات تم إنشاء دار القرآن الكريم لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه وخدمته حفظاً وتجويداً وترتيلاً وتفسيراً وشهدت الدار تطوراً كبيراً حتى أصبحت إدارة الدراسات الإسلامية إحدى الركائز الأساسية لتخريج أفواج من العلماء وحفظة كتاب الله تعالى ومازالت إدارة الدراسات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تؤدي دورها في هذا المجال ولها جهود وأنشطة معروفة وملموسة في جميع مناطق الكويت ويوجد فيها قسم خاص للناطقين بالأردو أيضاً.

وأضاف أن الأمانة العامة للأوقاف أنشأت الصندوق الوقفي للقرآن الكريم، وفتحت آفاقاً جديدة لخدمة القرآن الكريم وأعلنت المسابقة الكبرى باسم سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح لما له من اهتمام بالغ بخدمة القرآن الكريم، كما أن هناك مؤسسات شعبية تقوم بتنظيم المسابقات القرآنية مثل مشروع مسابقة المحسن الراحل محمد عبدالمحسن الخرافي ومشروع مسابقة مرزوق البحر، بالإضافة إلى الجمعيات واللجان الخيرية التي تقوم بالإشراف على الحلقات القرآنية وتنظيم دورات ومسابقات خاصة للحفظ والتجويد.

وأن اهتمام دولة الكويت بالقرآن الكريم لم يقتصر على نطاق الكويت، بل إن أنشطتها عمت مناطق عدة. من جهته قال رئيس حلقات تعليم القرآن الكريم للجاليات الناطقة بالأردو أحمد علي سراج إن الجالية الباكستانية من الجاليات النشطة في الكويت التي تعتني بحفظ كتاب الله تعالى ونشره بين الناس جميعاً، وتم افتتاح ١٨ مركزاً لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للناطقين بالأردو في جميع المحافظات ويتولى تدريس كتاب الله وينتظم في حلقاته نحو ١٢٠٠ طالب في مختلف مراحل العمر عملاً بقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، وتضم الحلقات المهندس والطبيب والتاجر والعامل والجميع يجلسون في المكان نفسه لأنها جلسة في سبيل الله، وفي بيوت الله.

وأضاف: وتحقق الهدف من خلال إسهامات المشاركين وتشجيعهم لنا بالاستمرار والتوسع في إقامة حلقات القرآن الكريم، ونتوجه بالشكر العميق لجميع المسؤولين في الوزارة على مؤازرتهم لهذا العمل المبارك ونخص بالشكر إدارة الدراسات الإسلامية وإدارة الثقافة الإسلامية وإدارة المساجد على رعايتهم الكريمة لدور القرآن الكريم.

وفد الجمعية الإسلامية في دولة البحرين يزور المسجد الكبير

قام وفد من الجمعية الإسلامية - فرع البحرين - برئاسة أسامة الجيران بزيارة المسجد الكبير، اطلع خلالها على شرح شامل لجميع أنشطة ومعالم المسجد الكبير وبرامجه المختلفة والمتعلقة ببرامج الدعوة الإسلامية والبرامج الخاصة بإبراز جمال وروعة الفن المعماري الإسلامي المميز والبرامج الشاملة للمحافظة على هذا الصرح الإسلامي.

وكذلك اطلع الوفد على صفحات المسجد بالإنترنت.

وفي نهاية الزيارة تم إهداء الوفد شهادات شكر على الزيارة ومطبوعات وإصدارات المسجد الكبير.

المفتي العام لجمهورية قازاقستان يزور دولة الكويت



● وكيل الوزارة المساعد عبدالعزيز البدر القناعي في استقبال فضيلة المفتي

قام المفتي العام لجمهورية قازاقستان ورئيس الإدارة الدينية فيها الحاج راتبك بن نيسانباي بزيارة لدولة الكويت دامت أياماً عدة، قابل خلالها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووكيل الوزارة خالد عبدالله الزير والوكلاء المساعدين وبحث معهم سبل التعاون المشترك بما يخدم الإسلام والمسلمين.

كما التقى فضيلته خلال وجوده رؤساء بعض الجمعيات الخيرية وفي مقدمهم يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، حيث قدم له شرحاً وافياً عن أوضاع المسلمين في قازاقستان والأوليات التي يحتاجونها في فترة ما بعد الشيوعية، والجدير بالذكر أنه لا توجد وزارة للأوقاف والشؤون الإسلامية في جمهورية قازاقستان، إنما الإدارة الدينية لمسلمي قازاقستان تقوم مقام هذه الوزارة، وتتشكل الإدارة الدينية من إدارة رئيسية يتبعها إدارات فرعية في المحافظات، حيث تشرف الإدارات الفرعية على نشاطات المساجد والأنشطة الدينية هناك.



إعداد :
د. عمادالدين عثمان
تمام أحمد

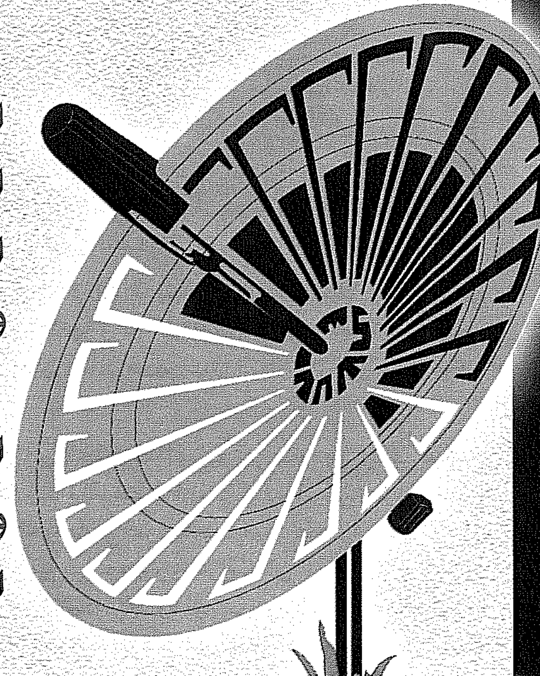



● الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي



● د. محمد الرميحي

الخطاب الإعلامي «الأولويات والضوابط»



في إطار اهتمام مجلة الوعي الإسلامي بالكثير من القضايا والموضوعات التي تهم قطاعاً كبيراً من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، نظمت ندوتها الثالثة تحت عنوان: «الخطاب الإعلامي - الأولويات والضوابط».

طرحت فيها الكثير من النقاط المتصلة بالخطاب الإعلامي، أدواته وتقسيماته، أولياته، حدوده وضوابطه وأخيراً أهم المعايير والأسس في اختيار الخطاب الإعلامي.

وقد شارك في فعاليات هذه الندوة الخاصة العديد من

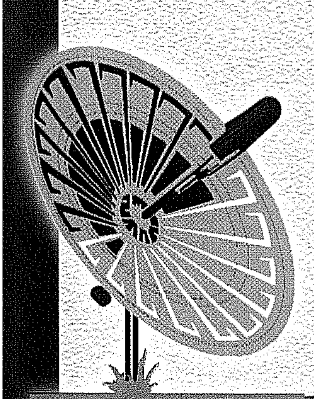


القناعي:
للمسلمين رصيد ثقافي هائل على مر التاريخ

الرميحي:
الإعلام هو الذي يضع «أجندة» المجتمع

الشخصيات الكويتية المهتمة بهذا الجانب منهم «الدكتور محمد الرميحي الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رئيس تحرير مجلة العربي - الدكتور عادل الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للدراسات الإسلامية وشؤون الحج - الدكتور وائل الحساوي رئيس تحرير مجلة الفرقان والأستاذ في جامعة الكويت - والأستاذ زهير المزيدي المستشار الإعلامي. وتولى إدارة الندوة الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي.

والوعي الإسلامي تبدأ بنشر الحلقة الأولى من هذه الندوة في هذا العدد والتي تحدث فيها كل من الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي والدكتور محمد الرميحي، على أن تنشر الحلقة الثانية في العدد المقبل - إن شاء الله تعالى.



الخطاب الإعلامي

«الأولويات والضوابط»

افتتح الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية الندوة مرحباً بالمشاركين في فعاليات الندوة من متحدثين وضيوف، موضحاً أن هذه الندوة الثالثة هي من ندوات الوعي الإسلامي التي تنظمها خلال هذا العام لمناقشة الكثير من القضايا التي تهم المسلمين في يومهم وغدهم.

وتناول الوكيل القناعي في حديثه كيف أن الأمة الإسلامية والعربية تمتلك مبادئ وقيماً وأخلاقيات ومناهج يفتخر بها الإنسان، ولكنها تعيش واقعاً «على المستوى الثقافي والعلمي والإعلامي والتكنولوجي...» لا يعكس ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية والعربية، كما لا يعكس الدور المنوط بها، وكذلك التحدي الذي فُرض عليها.

ومن جانب آخر فإن شباب الأمة الإسلامية لديهم رغبة في التطلع إلى استشراف المستقبل... وأن هناك قيماً ومبادئ وأخلاقيات ومُثلاً تمثلها هذه الأمة، وواقعاً نعيشه اليوم مليئاً بالإحباطات والتحديات التي تعيق الأمة عن النهوض بالواجب الذي عليها.

ونحن المسلمين لنا رصيد ثقافي هائل في التاريخ كله... ولنا دور كبير كان مشهوداً... وهذا الدور كان فاعلاً وصانعاً في الحضارة الإنسانية... والإعلام اليوم يعد من أهم الوسائل وأخطرها القادرة على طرح ومعالجة مثل هذه القضايا... وعلى ذلك، فنحن نطرح قضية «الخطاب الإعلامي» من خلال هذه الندوة لنلقي الضوء حول كيف يستطيع خطابنا الإعلامي أن يتحرك من خلال ثلاث دوائر أساسية، الدائرة الأولى هي الدائرة المحلية... أي «واقعنا الذي نعيشه»، وكيف يمكننا أن نواجه خطابنا الإعلامي لطرح ومناقشة قضايا مجتمعنا المحلي بالتوجيه الصحيح الذي يتصف بالصدق والدقة والأمانة والموضوعية، كما أن على الخطاب الإعلامي في هذه الدائرة أن يرفع حاجات ومتطلبات القاعدة العريضة إلى القمة وإلى مؤسسات صنع القرار، ويسهم في رسم السياسات العامة... وهذه الدائرة تتسع قليلاً إلى الدائرة الإقليمية «واقعنا في الخليج» ونحن دول خليجية تعيش قضايا خاصة... ثم هناك دائرة أخرى وهي الدائرة العربية، فنحن أمة عربية بيننا حدود مشتركة، ولغة مشتركة، وبيننا صلات أخرى بما فيها من وشائج النسب... فنحن بحاجة أيضاً لأن تكون لنا هذه الدائرة وهذا المحيط الذي نتحرك فيه... ثم بعد ذلك هناك الدائرة الثالثة والأخيرة أي «الدائرة العالمية» سواء كانت لأمتنا الإسلامية أو للعالم بأسره.

فحول هذه الدوائر الثلاث... ومن خلال ما لدينا من تراث وما نمتلكه من إمكانات وهبها لنا الله سبحانه وتعالى... وما علينا من دور كلفنا به المولى عز وجل، كأمة إسلامية، أن نقوم به، (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

فهذا الدور يفرضه علينا الواقع الذي نعيشه ومع هذا يجب أن يكون لنا مساهمة وأن يكون لنا صوت... وهذا ما ستتطرق إليه محاور الندوة.

ثم تحدث الدكتور محمد الرميحي موجهاً الشكر لمجلة الوعي الإسلامي والقائمين عليها لدعوته لحضور هذه الندوة والإسهام مع الزملاء الآخرين، في بلورة بعض المفاهيم حول الخطاب الإعلامي ... وسائله وأهدافه.

• شباب الأمة الإسلامية لديهم رغبة صادقة لاستشراف المستقبل
• واقعنا لايعكس ما يجب أن نكون عليه ولا الدور المنوط بنا
• طرح قضية الخطاب الإعلامي يجب أن تتحرك من خلال ثلاث دوائر أساسية محلية وإقليمية وعالمية



وقد أوضح الدكتور الرميحي أن المشكلة الحقيقية في ثقافتنا العربية تكمن في «تحديد المفاهيم» ففي بعض الأحيان ندخل في نقاشات طويلة مع بعضنا بعضا مختلفين في وجهات النظر وكل واحد منّا يتبين مفهوماً مغايراً حول القضية نفسها دون أن ندخل في صلبها ولكن نكتفي بالدوران حولها... وأننا لو اتفقنا على تحديد المفاهيم بدقة منذ البداية لوصلنا إلى نتائج أسرع وأوضح.

مفاهيم متغيرة

وذكر أننا نحن في ثقافتنا العربية نخلط بين مفهومي «الخطاب الإعلامي» و«السياسة الإعلامية»، وفي بعض الأوقات يستخدم أحد المفهومين بديلاً عن الآخر... وكل منهما في حقيقة الأمر صعب التحديد، فلا يمكن أن نحدد بدقة ما الخطاب الإعلامي، ولا أن نحدد بدقة أيضاً، ما السياسة الإعلامية لأن من يتحدث في هذه المفاهيم يتعامل مع مفاهيم متغيرة شديدة السيولة.

إطار

ففي كل مجتمع هناك أكثر من خطاب إعلامي، و هناك أكثر من سياسة إعلامية، إلا أنه هناك إطار يجمع ما نسميه بالخطاب الإعلامي والسياسة الإعلامية في مجتمع ما، ولكنه إطار مرن وليس إطاراً دقيقاً.

العام والمشترك والجوهري

وقد اجتهدت في وضع مفهوم للخطاب الإعلامي وقلت إنه: «محصلة للتوجهات العامة في وسائل الإعلام في مجتمع ما، وهو الذي يجمع العام والمشترك والجوهري

في هذه القضايا»، وحتى هذا المفهوم ربما يكون مفهوماً فضفاضاً لأننا نستطيع أيضاً أن نتحدث من خلاله عن خطاب إعلامي لفئة من المجتمع «المجموعة السياسية - الاقتصادية... الطلابية...».

المجتمعات الشمولية

لايوجد شيء اسمه خطاب إعلامي في المجتمعات التي تتمتع بشيء من الحرية... في حين يمكننا أن نحصل على خطاب إعلامي قد يحتوي أو لا يحتوي على شيء من المرونة، ولكنه متقارب في المجتمعات الشمولية.

ففي المجتمع الشمولي تستطيع أن تحصل على خطاب أو سياسة إعلامية واضحة المعالم، أما في المجتمعات المفتوحة والمخيمات الحرة لا تستطيع أن تحصل على هذا الإطار.

الخطاب الإعلامي الكويتي

وإذا انتقلنا من الحديث حول المفاهيم وتحدثنا عن الخطاب الإعلامي الكويتي سنجد أن هناك خطاباً إعلامياً كويتياً رسمياً بشكل عام، وخطاباً إعلامياً كويتياً غير رسمي... وفي الخطاب الإعلامي الرسمي تتعدد فرص (المناورة) - إذا كانت هذه الكلمة صحيحة - فهناك هامش واسع من المناورة لبعض وسائل الإعلام، وهامش ضيق من المناورة للإعلام الآخر.

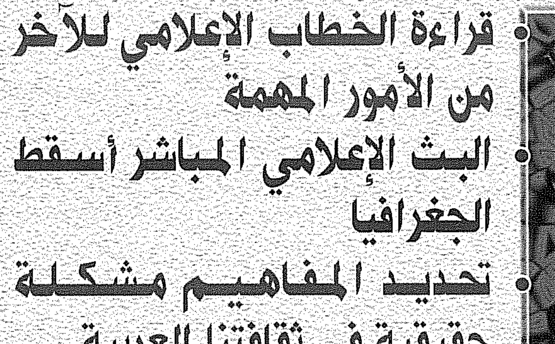
فإذا ذكرنا الإذاعة والتلفاز وجدنا أن هناك هامش مناورة ضيقاً وهو خطاب رسمي... ولكن إذا قلنا شيئاً في مجلة العربي مثلاً، فإننا نحصل على هامش واسع من المناورة رغم أن الاثنين خطاب رسمي تقريباً، لأن توجه مجلة العربي هو لمجموعة واسعة من مثقفي العالم العربي وبالتالي تتخطى حدود الوطن الضيق لتلتقي بالآفاق الواسعة لجموع الفكر العربي وهذا يعطيها قدراً أكبر من الحرية من التبعات الرسمية.

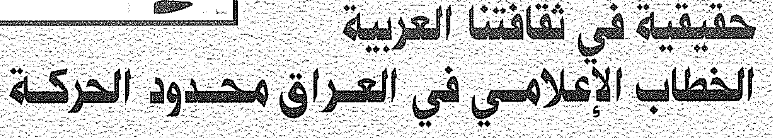
قضية الأسرى

ويتم تحديد مفهوم الخطاب الإعلامي وفق الهدف الذي نسعى إليه، ولكن نستطيع أن نرى بعض الثوابت في الخطاب الإعلامي سواء الرسمي أو غير الرسمي «العام والجوهري والمشترك»، فلو أخذنا «قضية الأسرى» مثلاً نجد أنها متفق عليها من جميع التجمعات «الطلاب - السياسيين - اليسار - اليمين - الاقتصاديين ... وكل فئات المجتمع...» وعلى هذا نجد أن قضية الأسرى تأخذ المداميك الرئيسية للخطاب الإعلامي الكويتي.

الخطاب الإعلامي العربي

أما إذا أخذنا الخطاب الإعلامي في المجتمع العربي، فسنجده يحظى بدرجات مختلفة من الحريات... فالحرية الموجودة في الكويت، وربما إلى حد ما في مصر، ليست مثل الحرية الموجودة في ليبيا أو العراق... ففي بلد مثل العراق نجد أن هامش الحرية محدود سواء أكان للخطاب الإعلامي الرسمي أم غير الرسمي.





لذلك فمن الخطأ أن نتحدث عن خطاب إعلامي عربي واحد، أو نتحدث عن خطاب إعلامي إسلامي. السبب في ذلك أن البيئات مختلفة ولديها أولويات تختلف عن البيئات الأخرى، فإذا قلنا إن هناك خطاباً إعلامياً عربياً سنجد أن «الجوهري والعام والمشترك» فيه أكبر... وهذا الاتساع يختلف من بلد إلى آخر أيضاً وذلك لعوامل مختلفة، ومن هذه «العوامل المختلفة» ينضج المجتمع ومؤسسات المجتمع المدني.

ملكية وسائل الإعلام

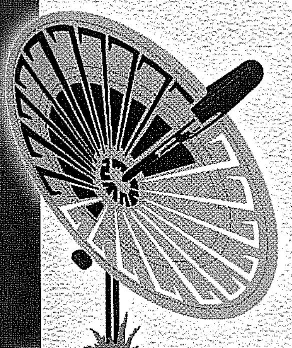
أيضاً من العوامل الأخرى «ملكية وسائل الإعلام»، فإذا كانت هناك ملكية لوسائل الإعلام كما في سورية مثلاً «الدولة تمتلك جميع وسائل الإعلام، التلفاز - الصحافة - الإذاعة - هذه الملكية العامة تحدد بإطار واحد، لذلك فهناك بعض الكتاب يقولون إذا ذهبت إلى بعض البلدان العربية التي فيها حكم شمولي أو إلى إحدى الدول الشمولية الأخرى، فلا داعي لأن تقرأ جريدتين، بل يمكن أن تقرأ جريدة واحدة، وتجد فيها معظم ما تجده في الجرائد الأخرى.

وكالات الأنباء

وهناك أمر آخر يحدد لنا ماهية الخطاب الإعلامي هو وكالات الأنباء - فهي تحدد بشكل مباشر أو غير مباشر أولويات الخطاب الإعلامي العام... حيث تعتمد الكثير من الصحف ووسائل الإعلام الأخرى على خمس وكالات رئيسية للأنباء في استقاء الأنباء التي تقوم بنشرها وإذاعتها.

انتقاء الأنباء

ويتم الدكتور الرميحي حديثه بالقول: إن هناك عاملاً آخر يحدد الخطاب الإعلامي، وهو تدريب العاملين في وسائل الإعلام وقدرتهم على الانتقاء من بين الكم الكبير من الأنباء والمعلومات الواردة عن طريق وكالات الأنباء وغيرها من المصادر الخارجية ... حيث نجد أن هناك قدرة كبيرة على الانتقاء لدى البعض واختيار ما يناسب الصحيفة أو



الخطاب الإعلامي
«الأولويات والضوابط»

المؤسسة الإعلامية وهناك قدرات أخرى متفاوتة على الاختيار والانتقاء.

أجندة المجتمع

فالإعلام إذاً هو الذي يحدد أجندة المجتمع... وفي بعض الأوقات يسمى الإعلاميون بحراس البوابة، لأن هؤلاء الإعلاميين يحرسون البوابة الإعلامية، فيدخلون منها ما يريدونه ويمنعون من الدخول فيها ما لا يريدونه.

مجموعة من النهايات

والخطاب الإعلامي كما سبق وتحدث الأخ الوكيل المساعد عبدالعزيز البدر القناعي في بداية الندوة.

حيث ذكر بأننا الآن في عصر يشهد مجموعة من النهايات ... نهاية الأيديولوجيا وهذه القضية تحدث فيها كثير من الباحثين وقالوا لم يعد هناك أيديولوجيا بالمعنى القائم وبخاصة بعد سقوط وانهيار الاتحاد السوفييتي، وتحدث «فوكوياما» عن نهاية التاريخ بأن التاريخ الإنساني انتهى إلى هذا الحد، وأن الإنسان سيكون ملتزماً بالسوق الحرة والديموقراطية بمعنى الالتزام بما وصل إليه الغرب من نتائج.

وذكر الدكتور الرميحي أنه تحدث في إحدى الندوات حول ما أسماه بـ«نهاية الجغرافيا»... فحتى الجغرافيا بدأت الآن تسقط أو تنتهي - بمعنى - أنه إذا فكرنا في نهاية الجغرافيا عسكرياً... فالعالم يستطيع أن يرسل صاروخاً من البحر الأحمر أو البحر الأبيض إلى بغداد.. ولم يعد بحاجة إلى قاعدة أو أرض ثابتة ينطلق منها.

وأيضاً ليس بالضرورة أن يكون الكاتب جيداً على أنه من لبنان أو من مصر... بل من الممكن أن يكون الكاتب الجيد من الكويت أو عُمان كمثال... وبالتالي فحتى الجغرافيا هذه سقطت... وما أسقطها تماماً هو البث التلفازي المشفّر وغير المشفّر، وستسقط أيضاً بشكل أكبر عندما نتحدث بالتلفون دون رقيب مباشرة عن طريق الستالايت، وتحصل على معلوماتك عن طريق الإنترنت.

تدفق هائل

إذاً نحن أمام تدفق هائل من المعلومات يكتسح اكتساحاً كبيراً وليس أمامنا إلا الدخول فيه... كيف ندخل فيه ؟ ... هذا موضوع آخر ... كما أن الإعلام بشكل عام ليس محايداً ... لا يوجد إعلام محايد ... ونحن في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب نشرنا كتاباً بعنوان : «المتلاعبون بالعقول»، وهذا الكتاب يتحدث عن الإعلام في الولايات المتحدة، ويذكر الكتاب أن الإعلام في الولايات المتحدة، التي هي قمة الرأسمالية والحريات .. ليس حراً ... ونحن كما قلنا إنه في دول العالم الثالث الدولة تسيطر على وسائل الإعلام ... وفي العالم المتقدم رأس المال هو الذي يسيطر على وسائل الإعلام ... وبالتالي ما نشاهده ونلمسه هو في حقيقة الأمر التقاء مصالح رأسمالية، رغم أنه يصل إلينا بحد أدنى من المهنية.

المجتمع الكويتي

وفي الحقيقة، فإن كل مجتمع يطبع خطابه الإعلامي ويتفاعل مع «الجوهري والعام والمشترك» بشكل خاص.

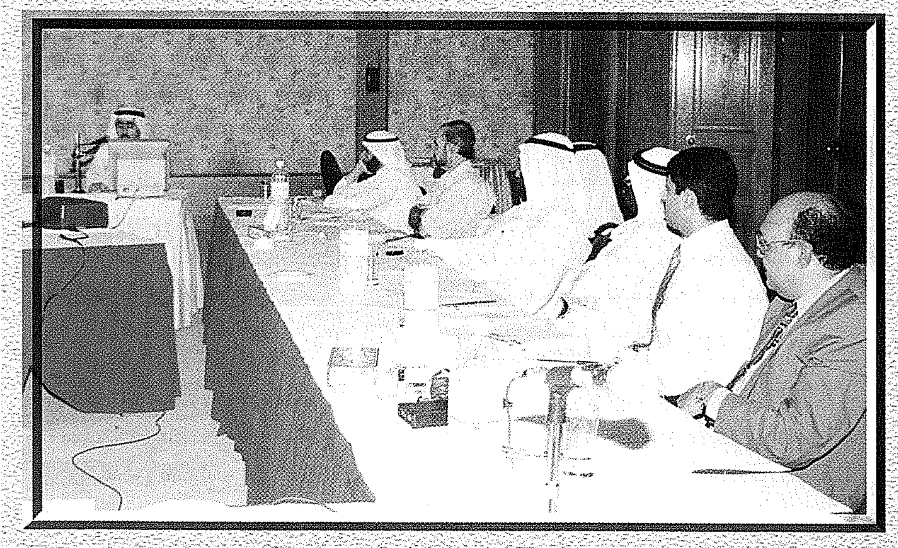
فالمجتمع الكويتي - على سبيل المثال - نجد فيه ظواهر مختلفة ومتناقضة في الوقت نفسه، ونحن نعيش مرحلة ما بعد الغزو في مجتمع يبحث عن تأكيد هوية ما ... وهذه الهوية حتى الآن لم تتبلور تبلوراً دقيقاً ... لذلك نجد حتى في صحافتنا من يشذ عن الشمال، وآخر عن اليمين... والهامش المشترك المفترض أن يكون موجوداً غير مطروق إلى حد كبير.

فإذاً هذا المجتمع يطبع الخطاب الإعلامي ويتفاعل معه بهذا الشكل فهناك فئتان اجتماعيتان تريدان أن تدفعا المجتمع إلى طريق يعتقد أنه الصحيح وليس بينهما حوار «لا يوجد حوار مطروح بين هاتين الفئتين ماذا نريد على وجه الدقة..؟»

في حين أن الواقع يفرض علينا أن نتحدث بلغة حوارية هادئة لأننا في مجتمع صغير ومهدد... فعندما جاء الاحتلال لم يفرق بين شخص وآخر ولكن كل الكويتيين كانوا أمامه سواء... فالضيق والقلق وعدم الرضى وعدم اليقين هي التي تسبب بعض الظواهر غير المرغوبة في المجتمع الكويتي.

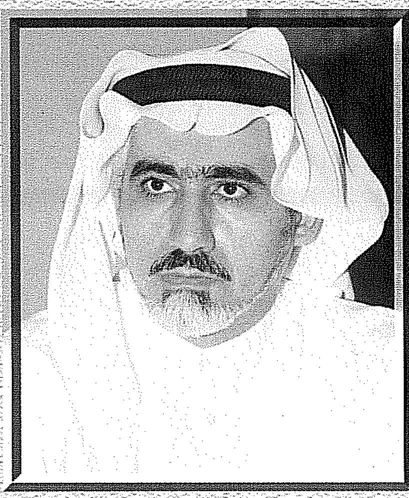
العنف في الكويت

وأردف الدكتور الرميحي قائلاً: كتبت مرة مقالاً مطولاً حول «العنف في الكويت» وتحدثت فيه ليس عن العنف العضلي فقط، بل حتى عن العنف اللفظي، فقد أصبح لدينا عنف لفظي في الكتابات والمخاطبات، في حين أن أحد الأسس التي انتشر بها الإسلام كانت (وجادلهم بالتي هي أحسن) و(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وهذا يوضح أنه في ذلك الوقت

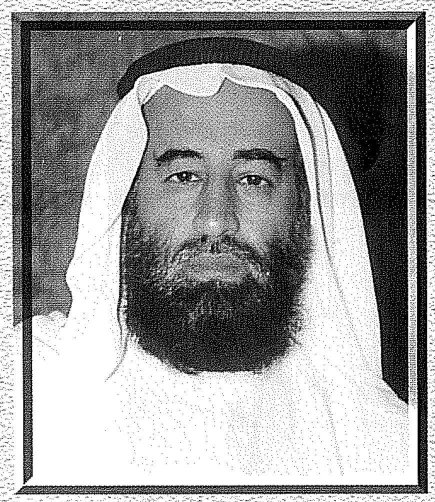




● د. عادل الفلاح



● الأستاذ زهير المزيدي



● د. وائل الحساوي

الذي كان فيه الإسلام جديداً فإنه أراد أن يقنع الناس بالتي هي أحسن ... وكلما تحدثنا بالتي هي أحسن فإن الناس يقتنعون أكثر بكثير من الاندفاع السلبي... إذاً فالعنف في المجتمع الكويتي ظاهرة من ظواهر عدم اليقين وهو أيضاً ظاهر في خطابنا الإعلامي بشكل أو بآخر.

الخبر مقدّس

ولو تحدث أحد أساتذة الإعلام حول الإعلام فسيقول لنا ما هو مكتوب في الكتب: «إن الخبر مقدّس والرأي حر»، في حين تبين بعد الدراسات الصحيحة أن أسوأ ما يمكن أن يغرر بنا هو الخبر... حيث من الممكن أن يُصاغ خبر ويتم التغرير بمجتمع كامل بسبب هذا الخبر، وليس بسبب الرأي، لأننا نعرف أن هناك رأياً، وهناك رأياً آخر.

خطاب الصوت العالي

وأريد أن أمر بسرعة على الخطاب الآخر ... على الخطاب الذي أسميه أنا «الخطاب الصائت» أي خطاب الصوت العالي - وأبرز مثال له هو خطاب النظام العراقي ... وأنا أريد أن أرجع الإخوان إلى مجموعة من الموضوعات كتبتها ونشرتها في صحيفة «الحياة» في ١٨/٩/١٩٩٦م، حيث كتبت: «التباكي على مصالح الشعب».

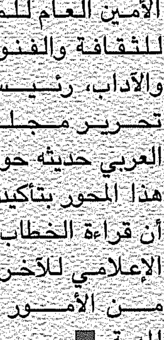
وكتبت أيضاً عن الخطاب الإعلامي العراقي - الذي كما أشرت في بداية حديثي إلى أنه خطاب كلاسيكي شمولي واضح المعالم، هذا الخطاب يقول مثلاً إنه: في «سنة ٩٠/٩١ انتصرنا» إذ لا نجد واحداً في الخطاب العراقي إلا انتصر في سنة ٩٠/٩١

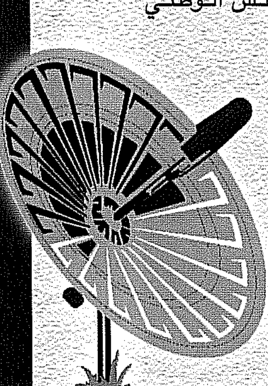
- الموضوع الثاني مثلاً يقول: «إننا دخلنا الكويت أو غزونا الكويت لأن الكويت استفزتنا»، ولذلك لا تجد أحداً يقول لك: إن كانت لنا رؤية في الموضوع، أو وحدة عربية أو غير ذلك، من الخطاب الإعلامي المستقر لدى إخواننا في العراق بأننا دخلنا الكويت من أجل تحرير فلسطين رغم خطأ المقارنة إلا أنه مُصرٌ على هذا الأمر.

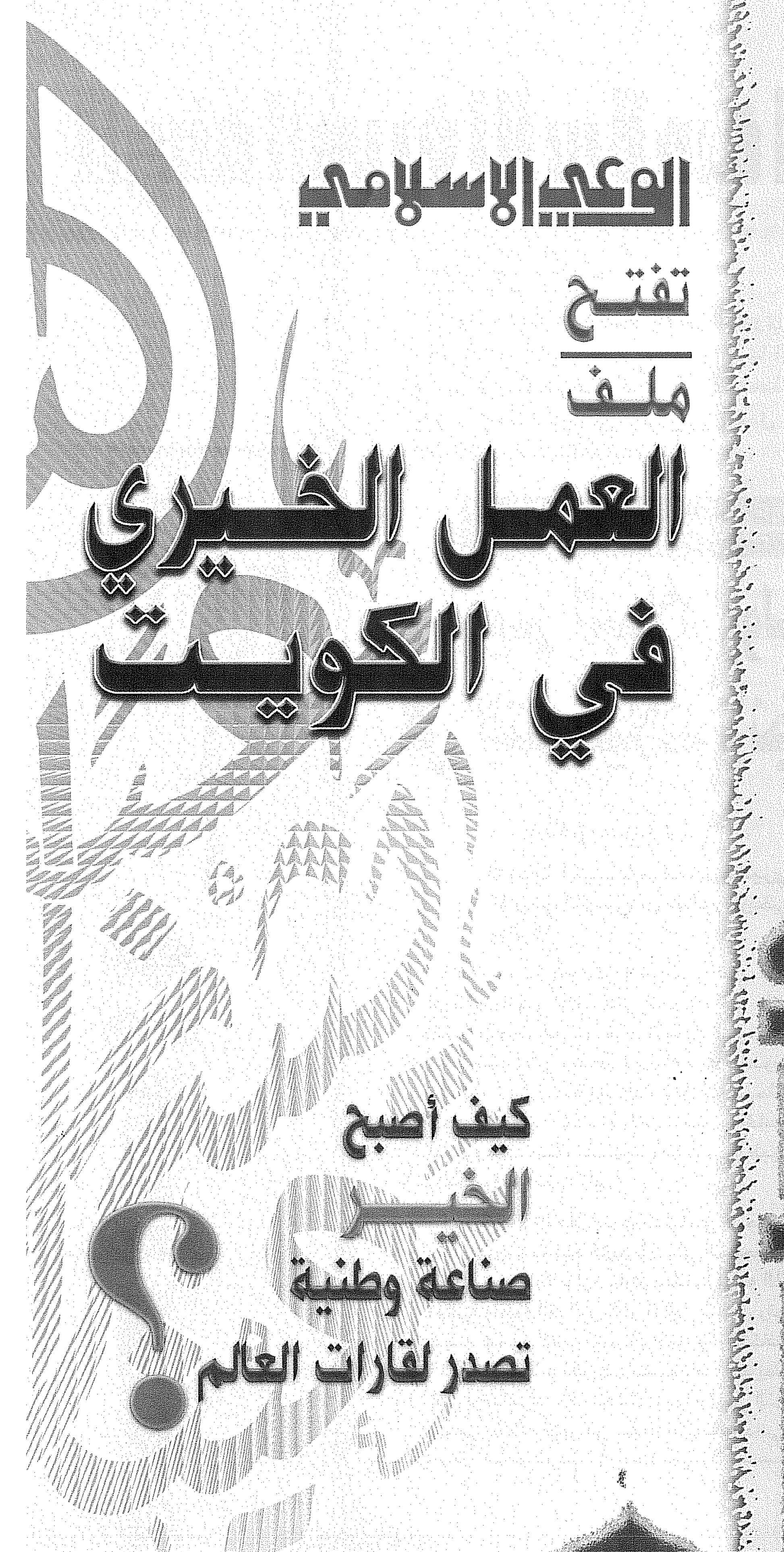
وهناك مجموعة من المراكز الأساسية في الخطاب الإعلامي العراقي فنجده كما قلت لديه شمولية وشيء جوهري وشامل في مثل هذا الموضوع.

وقد كتبت فيما كتبت ضمن مقال التباكي على مصالح الشعب في ١٨/٦/١٩٩٦م - أما ثالث نماذج خلط الأوراق فهو الحلف الشيطاني الذي أقامه البرزاني مع النظام في بغداد، وهو حلف يتميز بميزات كثيرة منها أن الجانبين البرزاني والصدامي يعتقدان جازمين أنه حلف موقت، وتبين طبعاً أنه حلف موقت.

بعد ذلك يختتم الدكتور محمد الرميحي الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، رئيس تحرير مجلة العربي حديثه حول هذا المحور بتأكيد أن قراءة الخطاب الإعلامي للآخر من الأمور المهمة. ■







امتاز أهل الكويت منذ القدم بحب الخير، والعمل من أجله والحرص على التراحم والتكافل في السراء والضراء. وقد سجل التاريخ مواقف خالدة لأهل الكويت في حبهم للخير رغم ضنك الحياة.

ومع ظهور النفط، اتسعت دائرة العمل الخيري بعد أن شملت المحتاجين داخل البلاد، انتقلت إلى الإخوة المسلمين في كل أرجاء المعمورة، لتقديم مساعدات أهل الكويت إلى الأيتام وطلاب العلم والفقراء.

وانتشرت مصانع الخير الكويتية في كل دول العالم الإسلامي، ولدى الأقليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية وراجت هذه الصناعة وأصبحت مصدر فخر واعتزاز لتقديم الدعم والتواصل مع الفقراء والمحتاجين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومع حدوث الغزو العراقي الغاشم لأرض الخير والعطاء لم تتوقف مصانع الخير عن الإنتاج والعطاء لإيمان أهل الكويت الراسخ بعدل قضيتهم، وعودة حقوقهم، فإن ما قدموه قبل الغزو كان تصديقاً لقول رسول الله - ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»، وبالفعل كانت صنائع المعروف وقاية حقيقية للفرد والمجتمع والدولة، حيث البركة والطمأنينة والتوفيق في العمل والرزق وتجنب الشرور والعقبات.

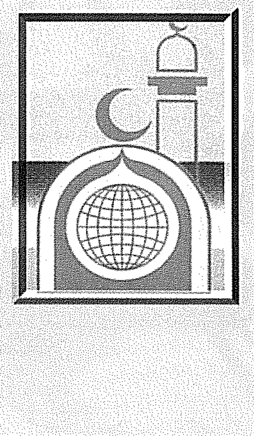
والوعي الإسلامي تسلط الضوء على مسيرة العمل الخيري الكويتي من خلال هذا الملف الشهري لتأكيد دور الكويت الخيري والحضاري دون منة ولتأكيد أصالة هذا الشعب وتمسكه بالقيم الإسلامية التي نادى بها كتاب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لتحقيق العدالة والمساواة والإخاء بين المسلمين في كل مكان.

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ٢

كتب: أحمد عثمان



في هذه الحلقة من ملف العمل الخيري في الكويت نسلط الضوء على مؤسسة محلية الإشعاع، عالمية الانتشار، إنها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي تأسست بالمرسوم الأميري رقم ٦٤ لسنة ١٩٨٦م برئاسة وزير الأوقاف الأسبق يوسف جاسم الحجي، أحد رموز العمل الخيري في الكويت، وكان لمجلة «الوعي الإسلامي» هذا اللقاء معه:



يوسف الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية:

أمير البلاد وولي العهد قدما كل التسهيلات لإنجاح أهداف الهيئة

منظور تاريخي

● **بداية: كيف ترى العمل الخيري الكويتي الشعبي من منظور تاريخي وعالمي؟**

- الكويت بلد طُبع على الخير حتى قبل حقبة الرخاء، وظهور النفط التي أنعم الله بها على الكويت وأهلها أصحاب الأيادي البيضاء والمكرمات التي وصلت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، تحدثاً بنعمة الله وأداء لحق الله سبحانه في مساعدة الفقراء والمحتاجين، وإقامة المشروعات، وبناء المساجد والمنشآت الطبية والتعليمية في بلدان كثيرة.

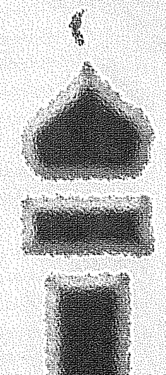
ولم يكن هذا العمل بتوجيه سياسي أو حزبي لعدم وجود شبه هذه التوجهات على الساحة في تلك الفترة، وإنما كان ومازال خالصاً لوجه الله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها)، وفي الوقت نفسه، كانت الأعمال الخيرية والتكافل النابع من مجتمع الكويت المسلم بطبعه، الحريص على إرضاء ربه، والارتباط الأسري والقبلي الذي تتم من خلاله كثير من جهود الاكتفاء الذاتي،

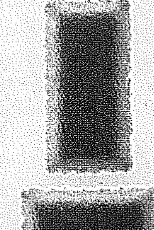


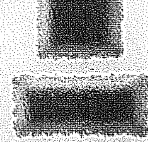
● يوسف جاسم الحجي

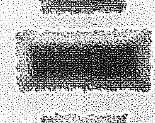
وسد الاحتياجات التي تنشأ على مستوى أفراد العائلة أو القبيلة بصورة تلقائية.

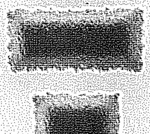
ثم جاءت حقبة الوفرة التي تولت فيها الدولة تلبية جميع الاحتياجات، من بنية أساسية إلى خدمات متكافلة، وامتدت الوفرة بحمد الله إلى الأفراد والقطاع الأهلي،





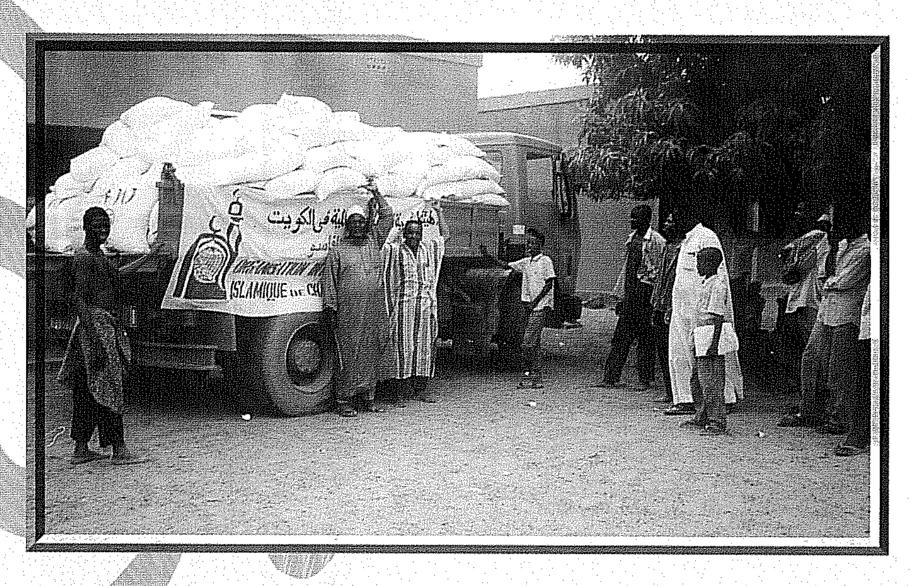






واستمرت طبيعة الخير، ولم يفتنها إقبال الدنيا، وكان من الطبيعي أن تتجه إلى خارج دولة الكويت، حيث تولت الدولة تغطية احتياجات الداخل، وأصبح من غير المنطقي أن يقوم القطاع الأهلي والخيري بإقامة منشآت تزيد على الحاجة، حيث يكون الأقربون في غير حاجة لمعروف سوى التكاتف والتآزر.

هذا ما نلاحظه في العمل الخيري في الكويت، فالاهتمام بالمساعدات الخارجية موجود وقديم ومستمر، ولكن اهتماماً بالعمل الخيري الداخلي بدأ يظهر وينمو، كما هو حاصل في الكثير من المشروعات المحلية.



بلورة جديدة

وها هي الهيئة بصدد بلورة خططها وأنشطتها لتواجه المتطلبات المحلية إلى جانب المسؤولية العالمية الملقاة على عاتقها.

كما أن لجانها وفروعها تحقق الدور المطلوب وفق تخصصاتها، فهناك لجنة ساعد أخاك المسلم، ولجنة مسلمي آسيا، ولجنة فلسطين، ولجنة وقفية الألف ألف، ولجنة الشروق، وهي خاصة بالشباب.

وليس غريباً أن ينطلق العمل الخيري في مسيرة التطور في الكويت وهي الرائدة في مجال الخير، والتي يمثل أميرها قمة الخير في العالم، حيث اختير الشخصية الخيرية لعام ١٩٩٥م. وعليه، فإن شجرة الخيرة الكويتية تتسابق فروعها بجذور راسخة في أرض الخير والعطاء.

فكرة التأسيس

● **كيف كانت فكرة تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ؟**

نهدف إلى تعليم الجاهل وتشغيل العاطل، وإطعام الجائع، وكساء العريان، وإيواء المشرد وعلاج المريض

ـ التقت مشاعر كل المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في ١٧ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٨٤م، على أرض الكويت الطيبة، وتوحدت قناعتهم بضرورة إنشاء هيئة إسلامية عالمية، وكان ذلك في مؤتمر ضم ١٥٠ شخصية من شتى أنحاء العالم.

وقد قام صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وحكومة الكويت بتقديم جميع التسهيلات لدفع عجلة الهيئة مادياً ومعنوياً وتسخير جميع الإمكانات لتؤدي رسالتها على الوجه الأكمل. وتهدف الهيئة إلى جمع ألف مليون دولار لاستثمار المبلغ والإنفاق من أرباحه على أعمال الخير في كل دول العالم، فجمعت بعضها وقررت أن تستثمر الأموال المجمعة حتى يشعر كل مسلم في كل مكان أنه عضو فعّال في هذه الهيئة.

مرسوم أميري

بعد الاطلاع على المواد ١٢، ١٤، ١٥ من الدستور، وافق مجلس الامة على القانون الآتي نصه وقد صدقنا عليه وأصدرناه :

مادة أولى :

تنشأ في الكويت هيئة خيرية إسلامية تسمى «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية»، تكون لها الشخصية الاعتبارية ويكون مقرها دولة الكويت، ولها أن تنشئ فروعاً لها خارج الكويت، وتباشر نشاطها وفقاً لأحكام النظام الأساسي الذي يصدر بمرسوم.

مادة ثانية :

تخضع الهيئة للقوانين السارية في دولة الكويت، ويصدر قرار من مجلس الوزراء بتحديد الوزارة المختصة التي تتولى الإشراف على هذه الهيئة.

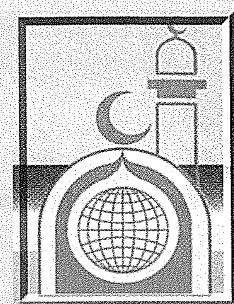
مادة ثالثة :

على الوزراء ـ كل فيما يخصه ـ تنفيذ هذا القانون ويُعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

أمير دولة الكويت

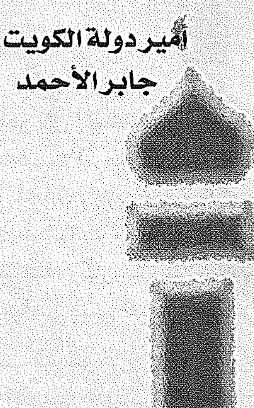
جابر الأحمد

صدر بقصر السيف في شوال ١٤٠٦هـ. الموافق ٢١ يونيو ١٩٨٦م



«إننا من واقع الغيرة على الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، نوجه النداء إلى ذوي الغيرة الإسلامية من حكام المسلمين وشعوبهم، لمد يد العون للهيئة، مستشعرين صفتها العالمية وغاياتها النبيلة، فإن إتاحة الفرص الجديدة لها لممارسة أنشطتها وتسهيل إجراءاتها عون لها على فعل الخير».

أمير دولة الكويت
جابر الأحمد



وقد تم افتتاح مكاتب خارجية للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في كل من قطر والبحرين والنيجر والسودان والأردن وأوغندا وجزر القمر وغيرهم.

وللتاريخ نذكر أن الفكرة نبعت من خلال فكرة طموحة طرحها فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي في حوار مؤتمر المصارف الإسلامية وتحولت الصرخة والفكرة إلى هيئة إسلامية عالمية تقدم الخير للإسلام والمسلمين في العالم.

أهداف الهيئة

● **ما أهداف الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ؟**

ـ للهيئة أهداف عدة وطموحات رائدة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين، فالهيئة تقوم على تعليم الجاهل، بإنشاء المدارس والمراكز التعليمية، وتشغيل العاطل، وتدريس العامل، وذلك ببناء المعاهد العلمية ومراكز التدريب المهني، وإطعام الجائع، وكساء العريان، وعلاج المريض، وإيواء المشرد، ورعاية اليتيم.

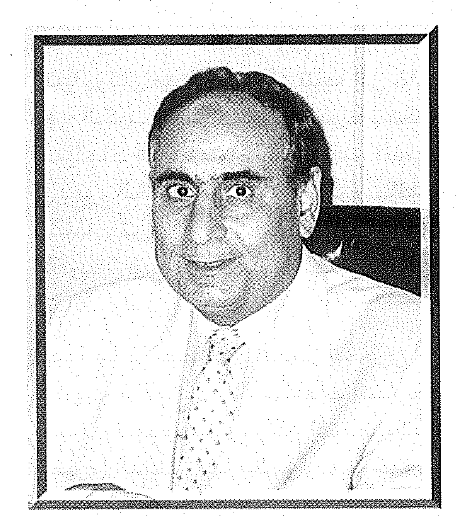
وإقامة هذه المؤسسات من معاهد ومدارس ومصانع، ومساجد يكون في النهاية الهدف منه رعاية المسلمين مما يتعرضون له من مشاكل وهموم دنيوية وحماية دينهم وعقيدتهم السمحة، مما يواجهونه من ضغوط وفتن، لذا كان شعار الهيئة: «ادفع ديناراً تنقذ مسلماً».

النظرة الخارجية

● **ما نظرة الجهات الخارجية للعمل الخيري الكويتي ؟**

ـ لقد حظي دور الهيئة وعملها بالتقدير من العالم حكومات وشعوب، الأمر الذي توجته بالعضوية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي في الأمم المتحدة، وبهذا تنطلق لتؤدي واجبها وتسهم في التخفيف من حدة الفقر في العالم، وتخفف من معاناتهم، وانطلقت الهيئة تشارك بفعاليات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة واللجان المنضوية تحته.

كما شاركت بالعضوية في هيئات عالمية كاليونسكو ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة الزراعة والأغذية الدولية، والصندوق الدولي



● ابراهيم حسب الله

للتنمية الزراعية، واليونيسيف، والهلال الأحمر، والصليب الأحمر، ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وقد لاقت الهيئة كل ترحيب من كل الدول وشعوبها، بعد أن حظيت بالثقة الكاملة وحققت الأهداف النبيلة والإنسانية لمختلف الدول.

معايير وانضباطات

● **ما المعايير التي تضعونها لتقديم المساعدات للجهات المستفيدة ؟**

ـ تخضع أعمال الهيئة ومشاريعها لأدق النظم وفقاً لمعايير وانضباطات محدودة،

إنجازات الهيئة خلال العام الماضي

المشروع	العدد
المساجد	١٢٧٣
الآبار	٨٧٧
المدارس والكليات	٤٧
المراكز الصحية	٤١
المراكز الإسلامية	٢٧
المشاريع الإنتاجية والمباني	٤١
مراكز التدريب المهني	٢٠
دور الأيتام	٥
الأضاحي	١٧٧٧٧
ولائم الإفطار	٨٦٧,٤٤٢
مدارس تحفيظ القرآن	٧٢
كفالة الأيتام	٣٠٧٥

وهي تسعى جاهدة إلى إنشاء ودعم المشروعات الخيرية، سواء كانت اقتصادية أو تنموية أو تعليمية أو صحية أو اجتماعية، فهي تسهم عن طريق هذه المشروعات في تنمية المجتمعات المسلمة، والارتقاء بها ضمن استراتيجية واضحة ونظام دقيق ودراسات علمية وميدانية مع التوسع في استخدام إمكانات وتقنيات عصرية، والاستفادة المثلى من تجارب الآخرين، وبما لا يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية، وبما يحقق أفضل الخدمات للفقراء ليكونوا عاملين ولبنات صالحة في مجتمعاتهم وذلك خلال رسالتها الواضحة.

ولعل من أسباب نجاح الهيئة واكتسابها هذه الثقة محلياً وعالمياً، يرجع إلى المعايير الدقيقة التي وضعتها الهيئة لتقديم المساعدات.

فالهيئة تصلها التقارير اليومية من خلال مكاتبها، فتخضع هذه التقارير للدراسات العلمية والتقييم، وتشبع درساً وتمحيصاً، من قبل الإدارة المختصة، فتمر على لجنة المساعدات، وقد يحتاج الأمر في بعض الأحيان للزيارات الميدانية لمواقع المشاريع المقترحة، وبعدها يتم توزيع الأعمال وفقاً لمبدأ الأوليات وعدم الازدواجية، وحاجة المسلمين في تلك المنطقة لهذا المشروع.

فتبدأ الهيئة بالتنفيذ تحت إشراف ومتابعة في غاية الدقة، من قبل مبعوثها الذين يقومون بزيارات دورية للتأكد من مطابقتها للشروط المتفق عليها، وهكذا اكتسب العمل الخيري مصداقية واسعة في قلوب أهل الكويت وخارجها.

وعلى مستوى الهيئة تتعمق مشاركتها العالمية ودورها العالمي وفق استراتيجية مستقبلية واضحة المعالم.

كما يصل للمتبرع أو المحسن عادة تقرير دوري بالمشروع المقدم منه منذ وضع حجر الأساس حتى الاحتفال بافتتاحه بالصورة والفيديو والتقارير والتكاليف.

استراتيجية العمل

● **ما استراتيجية الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية؟**

– تتركز استراتيجية الهيئة على دعم المشروعات التي تسهم في تنمية المجتمعات المسلمة والارتقاء بها بناء على أسس ومتطلبات من أهمها:

١ - ترسية معالم الأسلوب المؤسسي في العمل الخيري تنظيراً وممارسة.

٢ - تحقيق البعد العالمي الخيري تأسيساً وتحويلاً وإنفاقاً وتنسيقاً.

٣ - الوصول إلى منهجية تكاملية في تخطيط وإقامة المشروعات التنموية في المجتمعات.

٤ - الاهتمام بالإنسان وتنمية قدراته وإمكاناته وتمكين الفقير والمحروم ليكون عنصر إنتاج وبناء يساعد نفسه وأهله وغيره.

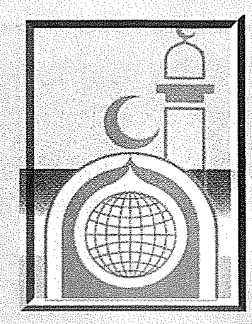
٥ - البعد عن المنازعات السياسية وتأكيد خيرية العمل وشفافية ووضوحه.

٦ - تقديم نموذج مشاكل للعمل الخيري التطوعي يوازن الأصالة والمعاصرة.

رغم محنة الاحتلال العراقي الغاشم واصلت الهيئة أنشطتها الخيرية العالمية

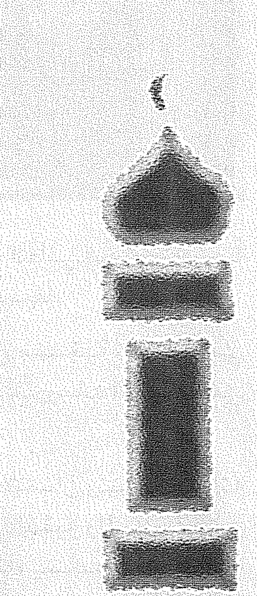






«إن الدور الذي ستقوم به هذه الهيئة كبير وضخم، وسنبذل كل ما نستطيعه لكي نمكّنها من تحقيق أهدافها وطموحاتها والتي تعود حقيقتها على المسلمين بالخير في كل مكان».

ولي عهد دولة الكويت ورئيس مجلس الوزراء سعد العبدالله الصباح



٧ ـ تقوم الهيئة باستثمار أصول التبرعات والصدقات وتنفق من عائدها على مصارف الخير ويبقى الأصل.

٨ ـ تتحول كل الصدقات والتبرعات في الهيئة إلى صدقة دائمة النفع ومتصلة الأجر والثواب إن شاء الله.

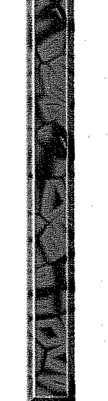
٩ ـ تتيح الهيئة الفرصة للمتبرع للتقرب إلى الله سبحانه ومضاعفة الأجر بإذن الله مع تحقيق توجهاته الخيرية بما يفيد الإنسان والمجتمع والدولة.

١٠ ـ تولي الهيئة اهتماماً خاصاً بالتأهيل ومراكز التدريب المهني والمشروعات الإنتاجية الزراعية الغذائية والمهنية وكأسلوب دائم النفع للمجتمعات الفقيرة.

١١ ـ التنسيق والتعاون مع الهيئات والمنظمات الخيرية المحلية والإقليمية والدولية لتحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف وفي أسرع وقت.

مشاريع تحققت

● ما أهم المشاريع التي تم تنفيذها من قِبَل الهيئة حتى الآن؟



نسعى إلى إنشاء جامعة أهلية في الكويت تستوعب من تعذر دخولهم في الجامعة والمعاهد

إحصائية مبسطة عن السنوات الأخيرة وعدد المشاريع

السنة	عدد المشاريع	التكلفة بالآلاف
١٤١٤	٨٢	١٨٢,٩٥٧ د.ك
١٤١٥	٩٥	١٧٠,٧٢٢ د.ك
١٤١٦	١٢٢	٣٨٢,٢٠٢ د.ك
١٤١٧	١٤٠	٤٧٤,٩٤٢ د.ك
١٤١٨	٤٤٦	٧٧٨,١٧٠ د.ك

ـ لقد تمت مشاريع الهيئة بشكل يدعو للفخر والاعتزاز في كل المجالات، وقد بلغت نسبة الزيادة الإجمالية في تكلفة المشاريع المنفذة للعام ١٤١٨هـ عن العام الماضي ٢٥٥,٨٪ في حين بلغت نسبة الزيادة في عدد المشاريع عن العام الماضي ٢١٨,٦٪ حيث بلغت عدد المشاريع ٤٤٦٨ مشروعاً للعام ١٤١٨هـ، وقد اختلفت فيها أنواع المشاريع في أكثر من ٦٠ دولة.

وقد ثمن الجمهور للهيئة هذه المشاريع، حيث ظهر ذلك جلياً من خلال مواصلة دعم المشاريع وأنشطة الهيئة وتخصيص التبرعات لصالح هذه المشاريع، وبما يخدم استراتيجيتها وتطبيق نظريتها في مجال تنفيذ المشاريع.

الاحتلال الغاشم

● ما تأثير الاحتلال العراقي الغاشم على مسيرة الهيئة والعمل الخيري؟

ـ أصاب الهيئة الخيرية العالمية في الكويت ما أصاب كل المؤسسات الحكومية والأهلية واللجان الخيرية نتيجة الاحتلال العراقي الغاشم لدولة الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م.

ولم تسلم الهيئة من الأضرار في مبانيها وممتلكاتها، حيث تم نهب مرافقها وأجهزتها، إلا أن الضرر البالغ وقع على المسلمين في العالم نتيجة تعطل خدماتها لهم، حيث إن نشاط الهيئة وخدماتها ممتدان على طول وعرض العالم، ويشمل البلدان العربية والإسلامية وأوساط الأقليات المسلمة.

وأمام هذه الضربة العراقية الموجعة لدولة الكويت على يد جار لم يرع حق العروبة والإسلام والأنساب والأرحام والأخوة والجوار، قامت الهيئة وغيرها من المؤسسات الخيرية بالتحرك لاستئناف عملها الخيري خارج الكويت. وكان للمملكة العربية السعودية حكومة وشعباً وبقية دول مجلس التعاون الدور الذي جعل الحركة تدب وتدور من جديد في كل المشاريع الخيرية التي ترعاها الكويت عن طريق صندوق خاص لتمويل الهيئات الخيرية الكويتية.

وقد كان للبنك الإسلامي للتنمية في جدة فضل دعوة جميع المؤسسات والهيئات

الخيرية التي تعمل في الكويت لاستئناف نشاطها مرة أخرى خارج الكويت. فكان التجاوب، حيث التقى ممثلون عن الهيئة الخيرية ووزارة الأوقاف وبيت الزكاة وجمعية الإصلاح ولجان التكافل مع ممثلي البنك للنظر في استئناف العمل الخيري، وقام البنك مشكوراً بتقديم الدعم المالي لما أعطى هذه الهيئات والجمعيات واللجان الخيرية دفعة قوية لاستئناف عملها وأنشطتها.

وهكذا، رغم محنة الاحتلال العراقي الغاشم، عملت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومازالت على مساعدة المعوزين والمحتاجين، وخدمة الإسلام والمسلمين في كل أصقاع الأرض، ولتبعث في النفس البشرية الاطمئنان والسكينة على مر العصور والأزمان، ونجحت الهيئة ولله الحمد وبرزت لأنها محل ثقة المجتمع الكويتي والإسلامي والدولي.

صعوبات وعقبات

● هل من مواقف تعرضتم لها خلال مسيرتكم الخيرية ؟

ـ لم يكن طريق العمل الخيري مليئاً بالزهور، فكل عمل خيري أو تجاري لا بد أن يواجه بالصعوبات والعقبات والمشكلات، ولكن ما يميز العاملين في المجال الخيري عن غيرهم أنهم يعملون لتحقيق أجر ديني، وأن هذا الأجر يزداد ويتنامى كلما ازدادت المشقة وازداد الجهد المبذول، وكلما تعرض العامل فيه للمشقة والمخاطر، في سبيل الوصول لغايته وهدفه المنشود كان أفضل بالنسبة له.

لذا نرى العاملين في المجال الخيري يتعرضون لبعض المخاطر، وبخاصة أثناء الزلازل والحروب الأهلية والفيضانات والكوارث المختلفة، لكن ذلك لا يمنع من تنفيذ ومزاولة الأعمال، خدمة للفقراء والمرضى وطلباً للأجر من رب العالمين.

وهناك صعوبات أخرى مثل : صعوبة التنقل وعدم توافر وسائل النقل بين المناطق الوعرة، وبخاصة في المناطق المحاصرة بالمستنقعات والجبال الشاهقة، والوديان المنخفضة، والغابات الموحشة لدى بعض الدول التي ترغب الهيئة في تنفيذ مشاريع الخير فيها، الأمر الذي يعطل ويؤجل تنفيذها. وأؤكد بأن رغبة العمل الخيري جاوز كل الصعوبات.



مشاريع مستقبلية

● ما مشاريعكم المستقبلية ؟

ـ استشرافاً للمستقبل، فإن الهيئة وضعت استراتيجية العمل المستقبلي ضمن رؤيا ودراسة موضوعية، ورغم عملها وتكوينها العالمي، فإنها لم تغفل العمل الخيري داخل الكويت.

فقد خصصت لجنة ساعد أخاك المسلم في كل مكان للعمل التعليمي والإنساني والخيري في الداخل، تسهم في مساعدة الفقير وتنوي التوسع المطرد والمدروس في مشاريع الخير في الكويت، بما يخدم فئات معينة كالمسنين وغيرهم، كما تسعى إلى إنشاء جامعة أهلية تستوعب من تضرر دخولهم في جامعة الكويت والمعاهد التطبيقية.

الافتراءات الموجهة إلى العمل الخيري تَجنٍّ واضح وباطل ويهدف لتجفيف منابع الخير

كما أن الهيئة تستعد حالياً لافتتاح مقرها الرئيسي في منطقة جنوب السرة، وهو صرح «خيري كبير»، يجمع الفعاليات الخيرية للهيئة في مكان واحد، والهيئة آخذة كذلك بالتوسع الأفقي في مشاريع التمكين والمشاريع التنموية والإنتاجية تحقيقاً لشعارنا الذي نرفعه معاً: «لا يعود السائل إلى السؤال».

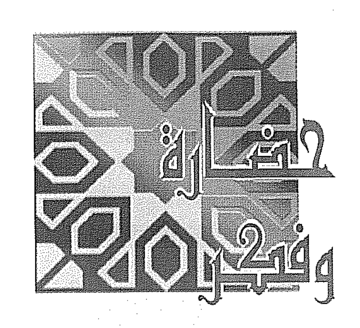
افتراءات باطلة

● ما ردكم على الافتراءات والأكاذيب بشأن العمل الخيري الكويتي ؟

ـ إن ما يثار من افتراءات حول العمل الخيري هو تجنٍّ على العمل الخيري، وادعاء باطل، ويهدف إلى تجفيف منابع الخير التي تقدمها الأيادي البيضاء من أهل الخير.

والحقيقة واضحة جلية ظاهرة، بأن العمل الخيري بعيد عن تلك الأكاذيب.

وشرعياً فإن ديننا الإسلامي المسلم ينبذ الإرهاب ويرفضه، بل يحاربه، ولذا أطلقها واضحة واقولها بصراحة إن إلصاق الإرهاب بالعمل الخيري تهمة باطلة يسعى الحاقدون من ورائها إلى الإساءة للإسلام، ولكن (يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). ■



يصاب القارئ عموماً بالدهشة حينما يقرأ التاريخ الفلسفي العلمي الحضاري من مثل قصة الفلسفة لـ «ويل ديورانت» - وهو كتاب ممتع بحق - أو تاريخ الطب، حيث يرى فجوة تاريخية يُحار أمامها، بل هناك قفزة لا يمكن تفسيرها ما بين أرسطو وفرانسيس بيكون، أي ما بين النهضة العقلية الهلينية والنهضة الأوروبية الحالية؟

هل وقف التاريخ ألف عام فلم يتحرك؟! أم هل بدأ العقل الغربي يتحرك من لا شيء؟! أم أن عقلية قتل المفكرين لأنهم سحرة ومارقين، تحولت من تلقاء نفسها إلى الحرية الفكرية، والبحث الخالد عن الحقيقة، والنهم بغير حدود عن المعرفة، والعطش الإبراهيمي إلى اليقين، والتعامل مع الطبيعة من خلال مفهوم السنن لتسخير نواميسها؟!

يبقى التساؤل القرآني الخالد ينطبق تماماً على هذه الحال كما كان في حواراته مع العقل الجاهلي القديم: (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون). لا يتم الخلق من لا شيء ولا يخلق الخلق نفسه، لا يستطيع الخلق أن يخلق نفسه لأنه غير مخلوق فكيف يخلق نفسه؟ ولا يأتي الخلق من مصدر غير موجود فكيف يوجد أو كيف ينبثق ولا وجود قبله؟

بل يبقى أمامنا مهمة اكتشاف هذه الحقيقة المهمة لمعرفة نظم التاريخ ونبضه الخلّاق، وبالتالي لا نصاب بالإحباط أو الحسرة والحزن، حينما يستولي علينا الشعور بأننا كنا على هامش التاريخ.

الحلقة المفقودة

بقلم : د. خالص جلبي

عندما أراد المؤرخ البريطاني جون أرنولد توينبي(١) دراسة التاريخ البريطاني وجده غير قابل للفهم وحده، بل لابد من دراسته ضمن حقل أوسع، وهو ما اهتدى إليه أخيراً في فهم المجتمع البريطاني ضمن حقل أعظم يمكن فهم تطور المجتمع البريطاني من خلاله بشكل واضح، أي فهمه من خلال «الحضارة الغربية»، عندها انتقل توينبي - وهو المؤرخ والحجة في التاريخ - لفهم حقول جديدة، فالحضارة الغربية هي خلق من خلق الله، وليست الحضارة الوحيدة التي مرت على ظهر البسيطة، كما أنها لن تكون الأخيرة والأفضل، ذلك أن حياة الحضارات قصير فلا تزيد عن ستة آلاف سنة، فيما لو قورن مع عمر الإنسان على ظهر الأرض ٢,٣ مليون سنة، على الأقل حسب كشف «الإنسان لوسي» شرق الحبشة على يد الانثروبولوجي «دونالد جوهانسون»، أو لو قورن مع بداية الثدييات أو عديدات الخلايات «٥٣٠ مليون سنة» أو عمر الأرض التي نعيش عليها (٤,٦ مليار سنة).

وصل توينبي إذاً إلى حقول جديدة وحضارات متنوعة، هي متمايزة عن بعضها بعضاً، ولكنها متجانسة للغاية ضمن حقلها الخاص، هذه الدراسة قادته وفي مدى يزيد عن نصف قرن إلى فهم عميق لظاهرة قيام «الحضارات» ونموها ثم تحللها وتفسخها واندثارها، كمثل أي كائن عضوي ينمو ويشتد عوده ثم يشيخ ويهرم ويسلمه الموت إلى انقطاع.

(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)(٢).

يرى توينبي ضعف الروح النقدية عند من يشتغل في التاريخ ويكتب فيه فيقول: «المؤرخون على وجه العموم، أميل إلى توضيح آراء الجماعات التي يعيشون ويكدحون في محيطها، منهم إلى تصحيح تلك الآراء»(٣)، وسبقه إلى المفهوم نفسه مع عبارة أوضح في الدلالة، وأعمق في الأثر «ابن خلدون» حينما انتبه إلى «مطب» العقلية النقلية دون تكوين العقلية النقدية، فسطَّر قلمه هذا المفهوم «السنني» ولكن بعبارات متألقة ومثيرة «لأن الأخبار إذ اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران، والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يُؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق»(٤).

كما انتبه العلامة ابن خلدون إلى فكرة القانون الاجتماعي الذي ينتظم حركة نهوض الدول وانبثاقها، ثم تطورها وقوتها، ثم شيخوختها وإذعانها إلى الأرض لتكمل دورة الحياة والموت: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)(٥).

ووصل في اكتشافه المدهش هذا إلى أن عمر الدولة في المتوسط هو (١٢٠سنة)، وإذا بقيت دولة تحكم بعد هذا العمر، فليس لأنها خرقت القانون، بل لـ«عدم وجود الطالب!»، ولكن ابن خلدون لم يتوصل إلى إدارك «فكرة القانون الحضاري» الأشمل وكان على مرمى حجر منه، وإن كان قد أشار إلى كلمة حضارة بمفهوم مجتمع المدينة، وليس على النحو الذي وصل إليه بعد توينبي أو شبينجلر، والذي ينتظم دولاً، وأنظمة حكم شتى، ولكنه حقل موحد يتنفس فيه الإنسان من

نفس الهواء الحضاري، ويسبح في البلاسما الثقافية نفسها.

يعتبر مفهوم «الحضارة» حديثاً نسبياً، وانتبه له المؤرخون المحدثون منهم توينبي الذي كرّس عمره لدراسة هذه الظاهرة على وجه البسيطة منذ أن تشكلت بدايات الحضارات، واستطاع الكشف ما لا يقل عن ٢٨ حضارة، انبثقت من «٦٠٠ مجمع بدائي»، مثل مجتمعات النمل والدجاج، فحيث يقف المجتمع في التاريخ لا يدخل الحضارة، وحيث يبدأ في التطور وهو يملك وسائل تطوره يدخل الحضارة، فالنمل أو النحل أو الطيور أو النمور، بل حتى أرقى الكائنات القريبة من الإنسان، مثل الشمبانزي والغوريلا والقرود من أمثال أورانج أوتان هي هي منذ آلاف السنين، تعيد دورة الحياة اليومية من دون أي رقي أو تطور في حياتها، في حين أن الإنسان «الذي دخل الحضارة» قفز في حياته الاجتماعية من اختراع الكتابة إلى الكمبيوتر، إلى الاتصال بسرعة الضوء، إلى بناء الحكومات والبرلمانات، إلى أسرار الذرة والنسبية وميكانيكا الكم والشيفرة السرية للوراثة.

إذاً فليس كل مجتمع بدأ بالحضارة، وليس كل مجتمع بدائي استطاع القفز إلى الحضارة، وهناك حتى اليوم مجتمعات لم تدخل الحضارة بعد، كما هو الحال في مناطق من الفيلبين أو أوستراليا، كما أن نكس مجتمع حضاري وارد، بل إن موت الحضارة هو قانون مرعب، والقرآن أشار إلى موتين: «موت الأفراد»، و«موت الأمم»، فأما موت الأفراد فقال عنه: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)(٦)، وأما موت الأمم فقال عنه: (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٧)، وساعة الأمم ليست كساعة الأفراد، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، كما أن هناك ظاهرة (القضم والهضم) بين حضارة ماتت وحضارة تبني نفسها، من مواد الخام «الخردة» من الأمة المتبقية، والحضارة حين تموت، لا يموت أفرادها لأن موتها ليس نوعياً مثل موت الأفراد بالضبط، فالفرد حينما يموت يحافظ على شكله أولاً ولكن من دون فعالية، ودون نبض حياة، ثم يدخل المرحلة المريعة الثانية حيث يبدأ بالتفسخ، وهو ما يحصل للجثث، بل إن الجثة قبل أن تتفسخ تمر في مرحلة عجيبة، يعرفها الأطباء هي مرحلة «الصمل الجيفي» حيث تتصلب الجثة، وقد تمر الأمم في مرحلة تشبه هذا حين تتخشب في شكلها، فيظن الجاهل أنها علامات قوة وعافية، وهي قد فارقت الحياة منذ زمن طويل!! وفي النهاية يرجع كل شيء إلى مصدره الذي خرج منه، فالإنسان في حقيقته ليس أكثر من برميل ماء وقبضة من كالسيوم العظام، وحفنة من حديد الدم و«يود» الدرق، ونثارة من «فوسفور» الدماغ، و«كلور» المعدة، و«آزوت» البول، وبذا فمع الموت يضيع الإنسان ككيان ووحدة عضوية وشخصية، ولكن لا يضيع منه شيء كـ «وحدات بناء أولية»، وهو ما أشار إليه القرآن: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)(٨)، كذلك يحصل للأمم حينما تموت حيث تتوقف «الوظيفة الحضارية» أولاً، ثم تدخل المرحلة الثانية من ضياع الشكل، والتحول إلى الوحدات الأولية، وهي هنا الأفراد، ليتم استخدامهم كـ«طوب ولبنات بناء» في حضارة ثانية، كما حصل مع الأمبراطورية الرومانية وهي تبتلع مخلفات ثلاثة مجتمعات ماتت «القرطاجني والغالي والفرعوني».

درس المؤرخ البريطاني ٢٨ حضارة بشكل موسع، منها خمس حضارات بشكل مكثف واعترف بحضور خمس حضارات في الوقت الراهن في التاريخ العالمي، منها الحضارة الغربية وخصيمتها الحضارةالإسلامية!!... وبذا بدأنا في الاقتراب من ملء الفجوة السحرية والحلقة الناقصة المفقودة!!.

لقد اتفق المؤرخون على «ظاهرة الحضارة» ولكنهم اختلفوا في النشأة والحياة، والمصير والمنتهى، ويعتبر المؤرخ والفيلسوف الألماني «اشبينجلر»(٩) من المتشائمين، لأنه وضع سفراً ضخماً بعنوان «سقوط الحضارة الغربية»، مدشناً النهاية التي لا محيص عنها للحضارة الغربية، وبخاصة إذا علمنا الفكرة التي فهم بموجبها تطور الحضارة، فهو يرى مثلما رأى «ابن خلدون» مع الفرق في مستوى الرؤية، حيث يراها ابن خلدون في مستوى الدولة في حين يراها اشبنجلر في مستوى الحضارة، أن الهرم إذا نزل بها فلا يرتفع فلا «يصلح العطار ما أفسد الدهر» (ومن نعمره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون)(١٠)، واختلف توينبي في هذا، الذي يتفاءل بمد فسحة الحياة للحضارة الغربية، من خلال التدخل في قانون نمو الحضارة الذي ينتظم نموها وتطورها.

مع هذا، فإن حديثنا الآن هو ليس عن النهاية التي هي في عالم الغيب والتي يُرجم فيها كما رجم الناس في عدّة أصحاب الكهف!! بل حديثنا عن البدايات... والآن إذا كانت الحضارة الغربية قد ولدت فهل لها أب وجد وأم وجدة؟ أي هل ولدت بالقانون الذي يسري عليها وعلى غيرها أم ولدت من دون قانون؟ هل هي كائن غير شرعي ولد سفاحاً وترك لقيطاً، فلا تريد الحضارة الاعتراف بأب وأم؟ أم هي كائن خارق فوق العادة، وكأنه المسيح الذي خلق من بويضة من دون نطفة؟

هذا السؤال عذبني كثيراً، ولم يشفني فيه مجرد كلمات المديح والثناء والانتفاخ، عن أثر الحضارة الإسلامية في إنجاب هذا الطفل «العاق والمتمرد» والمتنكر لأصله؟ فرحت أحاول مسك الخيوط التاريخية، وبالأسماء والتواريخ على وجه الدقة، فاصطدمت بمعالم واضحة ارتسمت محياها عبر التاريخ، وبخاصة منعطف منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، الموافق لمنتصف القرن السابع الهجري، حيث يشكل هذا لتاريخ «انعطافاً نوعياً» ليس في تاريخ الغربيين فحسب، بل في تاريخ الجنس البشري قاطبة، حيث خسر العالم الإسلامي قيادة الجنس البشري وبدايات تحول حضاري نوعي، من خلال التراكم المعرفي وتكدس الثروة.

في هذا المنعطف بدأ في التشكل تياران، مشى فيه المخطط الأول باتجاه القوم والتقدم، والثاني باتجاه الانحطاط والتراجع، وبذا انقلبت محاور العالم ليصبح الشمال جنوبياً، والجنوب شمالاً، ولنولد نحن في خط الجنوب، حيث تنقل لنا الإذاعات الأخبار التي لا تسر تنصب علينا مع كل شروق شمس!!

ولكن ما بالنا نستعجل التحليل التاريخي من دون مقدماته!!

لنرجع إلى التحليل التاريخي عند توينبي في محاولته فهم التاريخ البريطاني... عندما أراد توينبي فهم تاريخ الأمة البريطانية بشكل مستقل عجز في ذلك ورأى أنه «لن نقع على أمة بمفردها، أو على

دولة قومية في أوروبا تطلعنا على تاريخ يمكن أن يقوم مفسراً لنفسه بنفسه»(١١)، ثم يتساءل المؤرخ لو كان هناك حقل قابل للفهم بذاته ماذا يجب أن يكون تاريخ بريطانيا العظمى؟ الذي كانت والدته تقص عليه كل ليلة طرفاً منه!!.

يقوم المؤرخ توينبي بعملية عودة إلى الخلف، في محاولة تفكيك هذه الظاهرة للوصول إلى وحداتها الأولية، وللكشف عن جذورها الأصلية، أي القيام بعملية «حفريات» للمعرفة على حد تعبير فيلسوف الحداثة «ميشيل فوكو» لاكتشاف الطبقات الجيولوجية التاريخية التي تغطي الحقبة التي يعيش فيها المؤرخ، وهذا الشيء ينطبق أيضاً على الكيان النفسي المتراكم من خلال الخبرات عبر الزمن، حيث نرى دوماً طبقات اللاوعي مختبئة تحت طبقة الوعي، كما في القانون الجدلي التراكمي، فالإنسان هو المحصلة التراكمية البطيئة الجدلية للجهد الواعي من خلال وحدات الزمان.

عندما مشى توينبي في رحلته المثيرة هذه وصل إلى منعطفات متدرجة عبر التاريخ، وصلت فيها الطبقات الجيولوجية الفكرية التاريخية الاجتماعية الحضارية، إلى سبع طبقات منضدة فوق بعضها بعضاً «كما هي تماماً في حفريات شليمان الألماني في اكتشاف مدينة طروادة ذات الطبقات السبع ولكن أركيولوجياً»، هذه الطبقات كل منها يأخذ برقبة الأخرى، ويتداخل معها، ويولدها ويخرجها إلى النور، بحيث إن كل طبقة تفسّر التي بعدها، هذه الطبقات السبع عند توينبي بدأت منذ ولادة العصر الصناعي، ومرت بالحكومة البرلمانية، فالتوسع عبر البحار «يرجى الانتباه أننا نرجع إلى الخلف عبر الزمان»، فالإصلاح الديني، فالنهضة «وهي بشكل واضح من الفسائل التي غرست ما يشبه المحميات النباتية في شمال إيطاليا» فإقامة النظام الإقطاعي، فالتحول للمسيحية، وعندما يضع توينبي كل حقبة جيولوجية تحت الدراسة الأركيولوجية التاريخية، فإنه يكتشف أن العنصر الخارجي يشتد مع حركة القهقرى التاريخية بشكل مكثف أكثر، وهكذا فالمسيحية من الشرق الأوسط، والنظام الإقطاعي من الغزو النورماندي، والنهضة نسمة حياة هبت من شمال إيطاليا، والبرتستانتية التي شكلت المناخ النفسي للتحول الصناعي على النحو الذي شرحه «ماكس فيبر» في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) هي حركة ألمانية، ويصل المؤرخ توينبي إلى تقرير هذه الحقيقة «توضح هذه اللمحة العكسية التي ألقيناها على مجرى التاريخ الإنكليزي ابتداء من يومنا هذا أنه كلما رجعنا القهقرى ضعفت شواهد الاستكفاء الذاتي أو العزلة»(١٢).

فإذا كانت حلقات الارتباط على هذا النحو من الوضوح والترابط العضوي ضمن الحضارة الواحدة، فهل تشذ عن ذلك علاقة التأثير المتبادل المزدوج بين الحضارات المتعاصرة والمتصلة؟ فضلاً عن مجتمعات ممتلئة بالحضارة، في جوار مجتمعات تعتبر التفكير هرطقة، والعلم سحراً يُعاقب عليهما بالحرق، والمرض لعنة من إبليس يستخدمه فيها الله كأداة تعذيب للمذنبين، وانتشار الطاعون متعلق بالأبراج السماوية؟؟!! هل يعقل أن يصل نيوتن إلى قوانين الميكانيكا من دون مقدمات؟ أو باسكال إلى قانون الأواني المستطرقة من دون علم متراكم؟ أو غاليليو إلى حركة الأجرام السماوية من دون إرهاصات مبدئية؟

أما في كتاب قصة الفلسفة لـ«ويل ديورانت» فإننا نقفز قفزة أكبر من أبطال السيرك من دون أن تدق لنا عنق، متجاوزين ألف سنة بجرة قلم، توقف خلالها التاريخ، فنضبت العصارات الذهنية عن أي عمل خلّاق، وشح العقل الإنساني عن أي إنتاج مبدع، وعقمت الأرحام عن إنجاب أي عبقرية؟! ولا غرابة لأنه لا إبداع إلا مع جلد أبيض!! ولا عبقرية إلا مع عيون زرقاء! هكذا يفهم العقل الأوروبي المتمركز حول نفسه نبض التاريخ وحركته التي تطوي أكبر منه (وتلك الأيام نداولها بين الناس)(١٣) (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً)(١٤) (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها)(١٥).

أما في تدريسنا الطب عندما كنا طلاباً، فكانت فنون الطب تنشط بشكل سحري من غالينوس وأبقراط إلى هارفي ومالبيكي!! وكأن أدلارد الباتي وألبرت ماغنوس، وروجر بيكون، لم يقولوا: «لقد تعلمت عن أساتذتي العرب أن أسترشد بالعقل... إذ لا شيء أكثر ضماناً من العقل»(١٦). أين تم التحول الغربي الإسلامي؟ وفي أي وقت؟ وتحت أي ظروف؟ ما الملابسات التي طوقت ظاهرة الصعود ـ الهبوط؟ في مراجعة كتاب «قصة الفلاسفة العظام» لمؤلفه الألماني إيرهارد أورثباند(١٧) يقف المؤلف عند حادث مهم وفريد بل مفصلي في تاريخ العقل الأوروبي: إنه العام ١٢١٨م حيث انعقد المجلس الكنسي الرابع في «لاتيران».

في هذا المجلس وبحضور البابا «إينوسنس الثالث» وبتاريخ الثالث عشر من نوفمبر من العام المذكور، تمت مناقشة طبيعة الأمراض وانتشارها وكيف يمكن تعليلها؟ وخرج المجلس بالأفكار التالية: إن المرض وسيلة يستخدمها الله لغرض ينفرد بعلمه، قد يكون عقوبة للمذنبين، أو للكمال من خلال المعاناة، حيث يستخدم الله الشيطان كوسيلة لهذا الغرض، وهو يطابق ما جاء من تعليمات المسيح في الإنجيل، وبناء على هذا فكل وباء ينتشر يجب اعتباره عقوبة من الله، تخيم فوق رؤوس الناس، وعليهم مكافحتها بالصلوات وممارسة التطهير الروحي ودفع أموال الندم، من أجل تخفيف غضب الله، أو أن أمامهم الموت أو العذاب!! هكذا كان يفسر انتشار الأمراض في أوروبا في تلك الأيام، وهكذا كان يعالج مرضاً خطيراً مثل الطاعون، وبذا خلدت الكثير من اللوحات الفنية عقلية أناس تلك الأيام.

يقول المؤلف الألماني (أورثوباندت) معقباً على ما مر: في الوقت نفسه كان هناك طراز آخر من التفكير، وبشكل معاكس تماماً، ومن خلال الفهم السببي لعلوم الطبيعة، تلك التي كان المسلمون يمارسونها في الأندلس مثل الطبيب العربي الأندلسي «ابن الخطيب»، الذي كان يرى أن انتشار الأوبئة يحدث من خلال العدوى، وهنا يستشهد بما كتبه ابن الخطيب بالذات: «إن واقع العدوى يمكن الوصول إليها من خلال الخبرة، والبحث، والنظر في الواقع، وتشريح الجثث، والشهادات الميدانية، هذه الوقائع تعطينا الحجج التي لا يمكن دحضها أن المرض ينتشر من خلال العدوى المرضية عبر الاتصال بالمريض، وأن الذي لا يتصل بالمريض يبقى محفوظاً من المرض، كما أن الذين يحملون المرض ويأتون إلى الموانئ ينقلون المرض فإذا عزلوا لم ينتشر المرض».

يقول المؤلف الألماني معقباً على ما مر من هذا الاستشهاد «يمكن أن نقرر وجهة نظر المسلمين في كيفية فهمهم لآلية انتشار الأمراض أنها: «استخدام الحواس للفهم والإدراك، الخبرة العملية، جمع الوقائع وتقييمها الإحصائي، البحث في الأسباب وتقسيم وحدات الواقعة المذكورة، ويمكن إيجاز كل هذا بكلمات قليلة: المراقبة الدؤوبة الدقيقة لكيفية عمل الطبيعة، وكأن الطبيعة تقوم بالتجارب التي لا تنتهي، ولكن النتائج فقط هي التي تُكشف للعيان، وبهذه العقلية السببية للطبيعة بدأ تشكل الفلسفة المدرسية في أوروبا».(١٨)

إذاً مع منتصف القرن الثالث عشر الميلادي حصلت بدايات التحول الأولى، في توليد ما عرف بالمدرسة «السيكولاستيكية» ولكنها لتولد نتائج مريعة بسبب خروجها من بوتقتها الأصلية لتصطدم بمناخ ديني غير مناسب، وهكذا حصل الفصام النكد بعد ذلك بين الإيمان والعلم، وأصبحت كلمة «الظن» باللغة الألمانية تعني العقيدة، وهو الشيء الذي اصطدمت به أثناء إقامتي الطويلة في ألمانيا، في حين أن كلمة العلم تعني اليقين، وهي شيء آخر غير الاعتقاد الظني الوهمي الهلامي غير الراسخ، وتشبث في أرض سبخة من هذا النوع، يعني تمسكاً أخرق يطلق عليه (الدوغما)، وهو الشيء الذي حصل معي أثناء مناقشتي لهم، حيث كانوا يقولون لي هل «تعتقد= تظن» أو «تعلم = توقن»، بالطبع كان جوابي أن لا عقيدة من دون يقين، والعقيدة تبنى بالعقل، وهو المطمح الإبراهيمي الدائم ولكن ليطمئن قلبي (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)(١٩).

هنا أدركت عمق وجذر هذه الكلمة «الظن = العقيدة» المتصلة بالتاريخ، وفي هذا الوقت منذ ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادي، بدأت أوروبا في التشكل بخلق جديد، ونشأة مستحدثة، وطور مستأنف، حيث قام بعض الرواد الذين لا نسمع عنهم الكثير، مثل روجر بيكون، ودنس سكوتس، وأوكهام، ومارسيليوس، يشقون الطريق إلى عالم فكري جديد عبر مغامرة كبرى للعقل الأوروبي.

هذه الفلسفة المدرسية السيكولاستيك كانت هي النواة الجنينية الأولى المختبئة تحت الأرض، والتي ضربت جذورها لتقوم عليها بعد ذلك الحركة الإنسانية والنهضة الأوروبية العقلية الجبارة بعد ذلك.

كان من أخطر توجهات العقل الجديد المتأثر بالعقلية الإسلامية سواء من الأندلس أو صقلية مناطق حواف الاحتكاك، هي أن الفكر الكنسي لا يمكن أن ينتظم مع العقل العلمي، وبدأت بوادر الانشقاق الفكري التي ترى أن الحرية الفكرية لا يمكن أن تتماشى مع الفكر الديني جنباً إلى جنب، وبالطبع فإن الكنيسة تحمل الوزر الأكبر في هذه المعركة المشؤومة، ومازالت ذيول هذه المعركة تمتد حتى الوقت الراهن إلى الدرجة التي نشرت فيها مجلة الشبيغل الألمانية في عددها ٥١ ـ ٩٣ صورة لقس جديد يقول: نعم... لله لا ... للكنيسة تحت عنوان «الثائر الجديد درويرمان».

بالطبع قامت الكنسية بمحاولة توفيقية، من خلال الجهود الفكرية التي نظمها توماس الأكويني، في محاولة منه لبناء العقيدة مع العقل، واعتبر فكرة درع الكنيسة الحصين ضد فكر أبو الوليد ابن رشد، ثم قامت الكنيسة في بناء المراكز العلمية لمقاومة الغزو الفكري الإسلامي بالسلاح نفسه، ونشطت حركة الترجمة، حيث تمت ترجمة معظم الفكر الإسلامي ـ لحسن الحظ ـ لأن مئات الآلاف من المجلدات كانت تحرق في ذلك الوقت بيد الآلة الجهنمية المغولية الزاحفة من الشرق.

تمت الترجمة من اللغة العربية التي كانت لغة العلم العالمية في ذلك الوقت والتي كان يتقنها فلاسفة الفترة السيكولاستيكية، وتخمرت هذه الجهود في مدى قرنين من الزمان، إلا أن الذي حدث هو أن هذه المراكز تحولت فيما بعد إلى جامعات تكرس الفكر العلمي وتودع الكنيسة الوداع الخير، وبذلك وضع الختم النهائي على علاقة العلم ـ الإيمان.

وإذا كانت بدايات الصعود الأوروبي، قد تم إلقاء بعض الضوء على خلفياتها، فما سر الانحطاط الإسلامي المرافق في الوقت نفسه، حيث نلاحظ وفي مدى عشر سنوات بالضبط بين عامي ١٢٤٨م، التي تؤرخ سقوط اشبيليا، و ١٢٥٨م، التي تعلن سقوط كعبة العلوم بغداد، ومعهما يعلن سقوط جناحي العالم الإسلامي، كما يسقط الطير من السماء من دون جناحين مخضباً بدمه في مذابح مروعة، وحرائق مخيفة، تأخذ مع ألسنتها عصارات الفكر الإنساني في نكبة لا يضارعها شيء، ذلك أن ذبح ثمانمائة ألف إنسان في بغداد قابل للتعويض، فطبيعة الوجود هي بين أرحام تدفع وقبور تبلع، ولكن الذي لا يعوّض ولم يعوّض، هو ذلك التراكم المعرفي الذي كدّس في المكتبات العامرة للمدن الإسلامية الزاهية أمثال سمرقند وبخارى والرها ومرو وخراسان وأصفهان وتبريز وحلب، والذي يشكل أساس التحول النوعي الحضاري فتقوض تحت السيف المغولي الرهيب.

هذا الالتقاء المشؤوم في الصعود والهبوط، هو المنعطف الذي يشكل واقع العالم الإسلامي، ووضع العالم الغربي الذي يقول: (أنا أكثر منك مالاً، وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً)؟! ■

الهوامش والمراجع:

١ ـ الدارسة القيمة: مختصر دراسة التاريخ ـ أرنولد توينبي ـ ٤ مجلدات ـ ترجمة فؤاد شبل.
٢ ـ سورة الروم الآية رقم:٥٤. والآية في صدر المقالة سورة الطور الآية رقم ٢٥.
٣ ـ مختصر دراسة التاريخ ـ الجزء الأول ـ الفصل الأول ـ بحث وحدة دراسة التاريخ ص٣.
٤ ـ مقدمة ابن خلدون ـ فصل فضل علم التاريخ ـ ص٩.
٥ ـ الآية سورة الأنبياء رقم ١٠٤.
٦ ـ الآية ق: رقم١٩.
٧ ـ يونس: رقم ٤٩.
٨ ـ سورة ق: رقم٤.
٩ ـ اشبنجلر سقوط الغرب ـ ثلاث مجلدات ترجمة أحمد الشيباني.
١٠ ـ سورة يس: رقم ٦٨.
١١ ـ مختصر دراسة التاريخ ـ توينبي ـ الجزء الأول ص٤.
١٢ ـ مختصر دراسة التاريخ ـ الفصل الأول ـ ص٤ ـ ٧.
١٣ ـ سورة آل عمران الآية ١٤٠.
١٤ ـ سورة الكهف الآية: ٥٩.
١٥ ـ سورة الروم الآية ٩.
١٦ ـ قصة الحضارة ـ ويل ديورانت ـ المجلد ـ المجلد ١٧ ص٢٠٠.
١٧ ـ كتاب ايبرهارد أورثوباندت ـ مرجع ألماني ـ نشر دارداوسين.
١٨ ـ أورثوباندت ص ٢٢٠ / ٢٣٤.
١٩ ـ آل عمران الآية رقم ١٩٠.

حوار

رئيس مجلس علماء زيمبابوي لـ «الوعي الإسلامي»

الحفاظ على الهوية العقائدية ودعم مسيرة التعريب

أكد الشيخ «عمر بيلي» رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي - إحدى دول أفريقيا - أن أحوال المسلمين في بلاده قد تحسنت في السنوات الأخيرة إلى درجة كبيرة... وأن زيمبابوي تشهد صحوة إسلامية معاصرة... تتمثل في إنشاء المساجد والمعاهد والمدارس الإسلامية... وتأسيس الكثير من المؤسسات الإسلامية العاملة من مجالات الدعوة والتعليم.

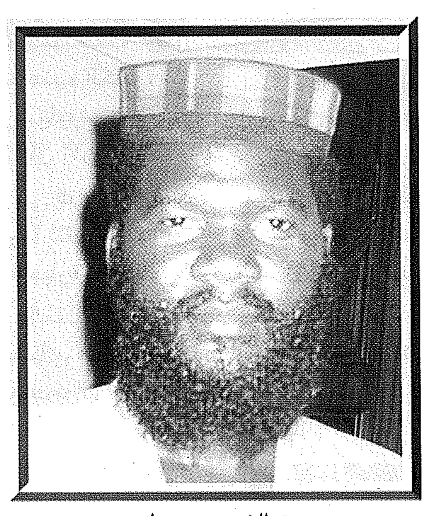
وأوضح في حواره أن الأقلية المسلمة في زيمبابوي من الأقليات النشطة... التي تسعى لتأكيد هويتها العقائدية والحفاظ على النشء المسلم وتربيته تربية إسلامية صحيحة... وتعمل على استرداد أمجاد المسلمين في الجزء الجنوبي من القارة الأفريقية... وقال إن الإقبال على اعتناق الإسلام يتزايد بشكل ملحوظ في زيمبابوي... وأن رقعة الخصوبة الإسلامية ستتزايد خلال السنوات القليلة المقبلة.

وأشار إلى أن المسلمين في زيمبابوي قد شيدوا مئة مسجد وجامع، بالإضافة إلى مئات المساجد المخصصة للصلوات الخمس يومياً... كما قام علماء الإسلام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المحلية المتداولة في زيمبابوي، وأنه تم إنشاء قسم للدرسات الإسلامية والعربية في الجامعة... وتناول الحوار العديد من القضايا الإسلامية المهمة.

تصحيح التاريخ الإسلامي

● الشيخ بيلي هل بإمكانك أن تعطينا نبذة عن تاريخ الإسلام والمسلمين في زيمبابوي؟

– لقد تعرض تاريخ الإسلام والمسلمين في بلادنا للتشويه خلال الفترة الاستعمارية... وذلك لقطع صلة المسلمين في زيمبابوي بأمجادهم الإسلامية وعزلهم عن إخوانهم المسلمين في إفريقيا وبلدان الأمة العربية والإسلامية... في حين كان الوجود الإسلامي قد تأصل في روديسيا الجنوبية - زيمبابوي حالياً - ... حيث قامت حضارة إسلامية راقية في بلادنا منذ القرن الهجري الأول... والقبائل الأفريقية التي يتكون منها سكان البلاد قد امتزجت فيها الدماء العربية بالدماء الأفريقية منذ وقت باكر. وأضاف الشيخ بيلي: لقد عثر على آثار إسلامية نادرة أكدت أن الإسلام كان حقيقة موجودة في زيمبابوي منذ القرن الهجري الأول ومن هذه الآثار بقايا مسجد بني في العام ٩٥ هجرية، كما عثر على بعض الأحجار المدوّن عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة وأسماء لبعض الدعاة، منهم الشيخ «سلام بن صالح» الذي ينتمي إلى قبيلة «وارمبا» الأفريقية... كما توجد بعض القبائل التي تدعي أن أصولها عربية... كما قامت في زيمبابوي دولة إسلامية في القرن العاشر الهجري... وقامت في ظل هذه الدولة حضارة إسلامية راقية... لذا فقد عملنا على تصحيح تاريخ الإسلام في زيمبابوي بناء على ما عثرنا عليه من آثار ترجع إلى القرن الهجري الأول.



● الشيخ عمر بيلي

حوار أجراه : محمود بيومي

أقلية مسلمة نشطة

● ما عدد المسلمين في زيمبابوي؟ وما المؤسسات الإسلامية التي تتولى الإشراف على شؤون المسلمين؟

– بدءاً أود أن أوضح أن المسلمين في زيمبابوي كانوا أغلبية في العام ١٨٨٨م، حيث كانوا أكثر من مليوني نسمة، في الوقت الذي كان فيه عدد سكان البلاد أقل من مليوني نسمة... وعندما تمكن المستعمر «سيسيل رودس» في العام المذكور آنفاً من إقامة علاقة صداقة مع الملك «لوبنجويلا» ملك زيمبابوي... كان ذلك بدءاً لوقوع البلاد تحت وطأة المستعمر البريطاني. وأضاف: ولم يوافق المسلمون في زيمبابوي على منح الإنكليز العديد من الامتيازات لاستغلال ثروات البلاد... بل قاوموا المستعمر البريطاني، إلا أن الغلبة كانت للمستعمر الذي قام باضطهاد

المسلمين وعزلهم في محاولة للقضاء نهائياً على المقاومة الإسلامية. وأضاف رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي: أما اليوم، فإن نسبة المسلمين ٢٪ فقط من إجمالي عدد السكان البالغ أكثر من عشرة ملايين نسمة... وبالرغم من أن المسلمين أقلية، إلا أنهم أقليمة مسلمة نشطة، حيث قاموا بتأسيس الكثير من المؤسسات والجمعيات الإسلامية منها: مجلس علماء الإسلام، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وبعثة مسلمي زيمبابوي... وهناك الكثير من الجمعيات الإسلامية الأخرى العاملة في مجال الدعوة والتعليم الإسلامي.

الإسلام لا يقر التفرقة العنصرية

● عانى شعب زيمبابوي من التفرقة العنصرية... فكيف واجه المسلمون هذه التحديات وكيف تغلبوا عليها؟

ـ فعلاً، لقد عانى المسلمون وكل سكان زيمبابوي من سياسة التفرقة العنصرية، التي مارسها المستعمر الإنكليزي ضد الأفارقة... فكان رودس يتسلى بقتل المسلمين في بنادق الصيد، كما انتهج رودس سياسة الاستيطان فمكن البيض من الاستيلاء على ممتلكات الأفارقة وبخاصة المسلمين... وعزل المسلمين واعتقلهم في سجون مفتوحة في مناطق جرداء بحجة استصلاح الأراضي هناك... وأرغمهم على العمل في المناجم في ظل ظروف اجتماعية وصحية قاسية. وأضاف: لقد نظم المسلمون إضرابات متتالية منذ العام ١٩٢٧م، وتأسست الجمعيات الإسلامية السياسية في عام ١٩٤٦م للمطالبة بالاستقلال، وقد نجح المسلمون في رفض الاتحاد الذي أعلنته الأقلية البيضاء بين روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ـ زامبيا وزيمبابوي ـ وبين نياسالاند ـ مالاوي ـ فاستقلت مالاوي العام ١٩٦٤م، واستقلت زامبيا في العام نفسه، بينما أعلن المستوطنون الإنكليز في زيمبابوي استقلالهم عن بريطانيا في نوفمبر ١٩٦٥م، وزادت موجات الاضطهاد العنصري في بلادنا... ونظراً لأن الإسلام لا يقر العنف ولا التفرقة العنصرية أو التمييز بين البشر بسبب اللون أو العقيدة، فقد قاد المسلمون المقاومة حتى نال الأفارقة حقهم في حكم أنفسهم بأنفسهم... حيث أعلن استقلال زيمبابوي في ١٨ أبريل العام ١٩٨٠م وعاد الوطن الأفريقي إلى الأفارقة.

التعليم الإسلامي

● نرجو تسليط دوائر الضوء على واقع التعليم الإسلامي في زيمبابوي؟

ـ يقول الشيخ عمر بيلي: لقد خرج الأفارقة من تحت وطأة المستعمر الإنكليزي... ليجدوا أنفسهم أمام واقع تعليمي هش... فكانت نسبة تعليم أبناء الأقلية البيضاء ١٠٠٪ في المراحل الدارسية الابتدائية، و ٩٠٪ في المراحل الدارسية الثانوية... أما بالنسبة للأفارقة فكانت نسبة التعليم العام ٠,٣٪ حيث وضعت خطة التعليم لإبعاد الأفارقة عن التعليم... كما تم إغلاق ألف مدرسة إسلامية في العام ١٩٧٨م، وطرد أكثر من ٣٥٠ ألف تلميذ من مدارسهم. وأضاف: أما واقعنا التعليمي اليوم فقد تحسّن إلى حد كبير... حيث تأسست في البلاد مئات المدارس الإسلامية، كما يوجد مئة مسجد جامع ومئات المساجد المخصصة للصلوات الخمس يومياً، وملحق بكل مسجد منها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم النشء المسلم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، بالإضافة إلى المواد الدراسية الأخرى، كما أنشأ مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي الكثير من المعاهد الإسلامية الثانوية ـ للبنين والبنات ـ وكما أسست بعثة مسلمي زيمبابوي معاهد إسلامية مماثلة. وأضاف الشيخ بيلي: تأسس في جامعة زيمبابوي قسماً للدراسات الإسلامية والعربية... وقد تخرج في هذا القسم عدد لا بأس به من الدعاة والمسلمين... كما خصصت الكليات الإسلامية في بعض دول العالم العربي العديد من المنح الدارسية لأبناء المسلمين في زيمباوي لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية.

مسيرة التعريب

● ما دور المؤسسات الإسلامية في زيمبابوي لنشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة الإسلامية الصحيحة؟

ـ لا أخفي عليكم أن جهودنا في مجال نشر اللغة العربية مازالت في المهد في زيمبابوي... فالجهود قاصرة إلى حدّ كبير بسبب عدم وجود المدرسين اللازمين للعمل في مجال التعريب، والمدارس القرآنية تقوم بدور إيجابي في تحفيظ القرآن الكريم وتعويد النشء المسلم على التحدث باللغة العربية... بل لا أخفيكم القول إن كثيراً من علماء المسلمين في زيمبابوي لا يجيدون التحدث بها... ونحن نحرص على إبقاء الدعاة للتدريب في معهد إعداد الدعاة التابع للأزهر... كما نعقد دورات تدريبية لأئمة المساجد والمعلمين من أجل نشر اللغة العربية في البلاد... فاللغة العربية غير منتشرة بين المسلمين في زيمبابوي. وأضاف: إن المجتمع المسلم في زيمبابوي حريص على نشر اللغة العربية بين المسلمين في البلاد... وقد توصلنا إلى إصدار قرار يقضي بأن من حق كل ٥٠ أسرة أن تنشئ مدرسة إسلامية عربية في المنطقة التي توجد بها، بالإضافة إلى حقهم في إقامة مسجد... وقد تم إنشاء هذه المساجد وهذه المدارس فعلاً... ولكن المشكلة التي تواجهنا حتى اليوم أننا في حاجة إلى مدرسين للغة العربية. وقال: إنني أناشد الدول العربية أن تدعم مسيرة التعريب في زيمبابوي... عن طريق إبقاء وإرسال المزيد من المعلمين والمدرّسين اللازمين للعمل في مدارسنا بالإضافة إلى توسيع دائرة المنح الدراسية لأبناء المسلمين في بلادنا لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية.

ترجمات معاني القرآن الكريم

● هل توجد ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغات الأجنبية واللغات الأفريقية المتداولة في زيمبابوي؟

ـ نعم لدينا ترجمات لمعاني القرآن باللغة الإنكليزية، كما توجد ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغتي «الشونا» و «الزولا» وهما من أهم اللغات الأفريقية انتشاراً في زيمبابوي... كما قامت المؤسسات الإسلامية بترجمة بعض الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة... وبعض الكتب الدينية في الفقه والشريعة والعقيدة وغيرها من المعارف والعلوم الإسلامية... وتوجد لدينا بعض المخطوطات الإسلامية النادرة نقوم بتحقيقها ونشرها بعد ترجمتها للتأكيد أن المسلمين في زيمبابوي قد أسهموا في ترقية المعارف الإنسانية.

الخريطة العقائدية

● ما أهم معالم الخريطة العقائدية في زيمبابوي؟

ـ الحقيقة التي أود أن أؤكد عليها أن أكثر من ٧٥٪ من سكان زيمبابوي من القبائل الوثنية مازالت تعيش على الفطرة... وأن ٢٪

من المسلمين... وتوجد نسبة ٢٣٪ أتباع للديانات الأخرى، وقد اتضح أن القبائل الوثنية تشيع بينهم العادات والسلوكيات الإسلامية، فهم لا يأكلون الأطعمة التي حرّمها الإسلام، كما يدفنون موتاهم في اتجاه القبلة ويكرمون الضيف ويتجاوبون مع دعوة الإسلام. وأضاف الشيخ بيلي: لقد ثبت لنا أن هذه القبائل تقبل على اعتناق الإسلام... حيث أشهر ٢٠٠ شخص إسلامهم حديثاً، كما أن بعض أبناء قبيلة «الوارمبا» قد اعتنقوا الإسلام بصورة جماعية في قرية اسمها «موهير» وغيروا اسم قريتهم إلى «إسلام أباد» لأن الدعاة الذين نشروا الإسلام بينهم من أصل آسيوي، وقد أجريت بعض الدراسات حول قبائل «الوارمبا» فاتضح أنهم ينتمون إلى أصول عربية، لذا تنتشر الأسماء العربية بينهم. وقال رئيس مجلس علماء الإسلام في زيمبابوي: إن جهود الدعاة تتجه إلى القبائل الوثنية لترشيدها إلى الإسلام ونشر هدايات الدين الحنيف بينهم... حتى يمكن زيادة رقعة الخصوبة الإسلامية في بلادنا... فأكثر من سبعة ملايين وثني مهيأون لاعتناق الإسلام.

حزام الأمن الإسلامي

● ترى المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين أن القارة الأفريقية سيتم تفريغها من الوجود الإسلامي مع مطلع القرن المقبل... فما ردكم على هذه الافتراءات؟

ـ لقد عرفت أفريقيا الإسلام منذ العهد النبوي الشريف، كما انتشر الإسلام سلماً من شرق القارة الأفريقية وفي غربها وجنوبها، بينما أدت الفتوحات الإسلامية دورها الإيجابي في شمال أفريقيا، وقامت ممالك إسلامية زاهرة في أفريقيا أسست حضارة إسلامية راقية، وانتشرت اللغة العربية انتشاراً كبيراً في الكثير من المجتمعات الأفريقية المسلمة، ومازالت اللغات الأفريقية وثائق حيّة تؤكد مدى التأثير القرآني في هذه اللغات مثل «السواحيلية» و «الفولاني» و«اليوربا» وغيرها... فالواقع يؤكد أن حزم الأمن الإسلامي يلف القارة الأفريقية كلها... ولولا وقوع القارة الأفريقية في براثن المستعمر الغربي لكانت قارة إسلامية خالصة. وأضاف: نحن نتابع مسيرة الإسلام في أفريقيا، ونرى كيف تحولت الأقليات المسلمة إلى أغلبيات في الكثير من الدول، فالإسلام بخير في أفريقيا، وستتسع رقعة الخصوبة الإسلامية، وستتزايد أعداد المسلمين في السنوات القليلة المقبلة إن شاء الله، مما يؤكد أن الافتراءات والمزاعم المعادية باطلة ولا أساس لها من الصحة لأن أفريقيا هي قارة الإسلام والمسلمين ولو كره أعداء الإسلام والمسلمين.

الإقبال على اعتناق الإسلام يتزايد في زيمبابوي و ٧ ملايين وثني مهيؤون لاعتناق الإسلام

زيمبابوي: الدولة والناس

● نرجو أن نتعرف على زيمبابوي الدولة الأفريقية... فما رأيك في ذلك؟

ـ زيمبابوي هي إحدى دول القارة الأفريقية... التي كانت تعرف باسم «روديسيا الجنوبية»... نسبة إلى الحاكم الإنكليزي «سيسيل رودس»، أما زيمبابوي فهذا الاسم نسبة إلى أحد الأنهار الشهيرة... وقد حصلت زيمبابوي على استقلالها في ١٨ أبريل العام ١٩٨٠م.

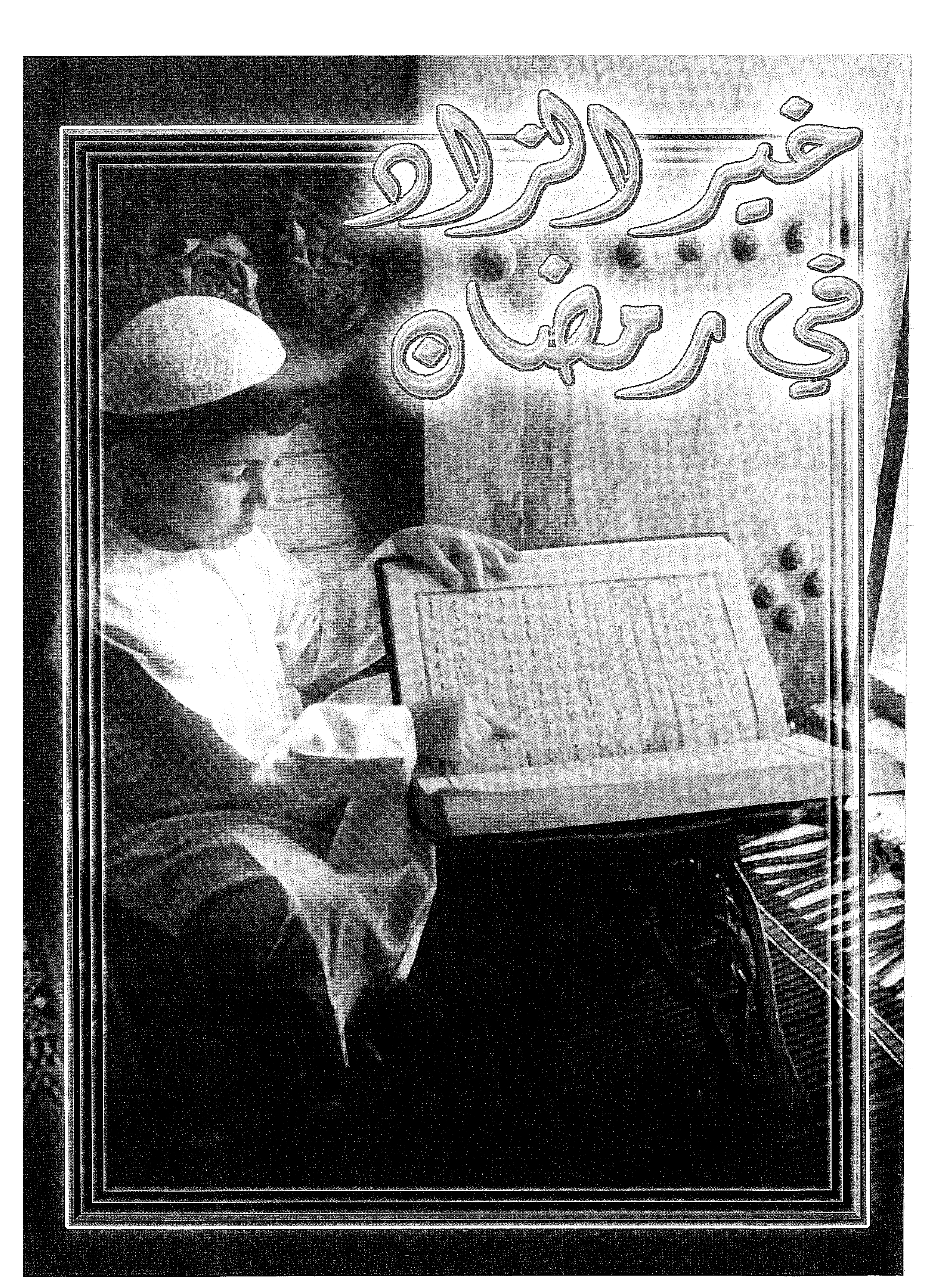
وتبلغ مساحة زيمبابوي ٣٩٠,٧٥٩ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها ١٠ ملايين نسمة، وتقع زيمبابوي في منطقة الجنوب الأفريقي، والعاصمة هي مدينة «هراري»، أما العاصمة القديمة فهي مدينة «سالسبوري»... ونظام الحكم فيها جمهوري، تحدها من الشرق موزمبيق، ومن الغرب بتسوانا، ومن الشمال زامبيا، ومن الجنوب جمهورية جنوب أفريقيا، وعلى هذا زيمبابوي ليس لها إطلالات على المحيط، سواء الهندي أو الهادي، وتعتمد على جيرانها من ناحية الشرق للوصول إلى مياه المحيط الهندي. وأضاف: أما سكان زيمبابوي فينتمون إلى قبائل «البانتو» الأفريقية، فأكثر من ٩٥٪ من إجمالي السكان من الأفارقة، وتوجد هناك قبائل أفريقية منها قبائل «الماشوان والوارمبا»، وتوجد في البلاد أقلية بيضاء أكثر من ربع مليون نسمة، وأقلية آسيوية يبلغ عددها أكثر من ٣٠ ألف نسمة.

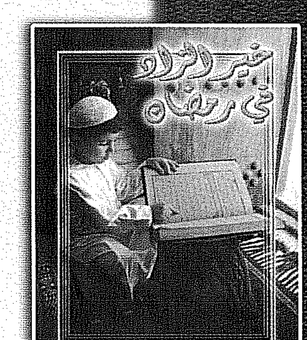
جهودنا في مجال التعريب ما زالت في المهد !! ولدينا ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغات الأفريقية

مطالب المسلمين

● ما أهم مطالب المسلمين في زيمبابوي من إخوانهم المسلمين في بلدان العالم العربي والإسلامي؟

ـ نحن نعلم أن الأمة العربية والإسلامية تدرك أن الأقليات المسلمة في العالم جزء من كيان الأمة الإسلامية، ونحن نعمل بكل طاقاتنا لتبليغ هدايات الدين الإسلامي الحنيف إلى المسلمين في بلادنا، ولكن أمامنا مهمة إبلاغ الإسلام إلى القبائل الوثنية، ونحن في حاجة ماسة إلى مساعدة المؤسسات الإسلامية العالمية في هذا المجال، وذلك عن طريق إيفاد قوافل الدعاة إلى زيمبابوي، ودعم مسيرة التعريب في بلادنا عن طريق إنشاء المدارس العربية الإسلامية، وتأسيس الكثير من المراكز الإسلامية، وموافاتنا بالكتب الدينية وترجمات معاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، ومراقبة الترجمات التي قمنا بإعدادها باللغات المحلية، بالإضافة إلى تطوير مدارسنا الإسلامية وتزويدها بالمناهج الدارسية والمعلمين، وزيادة المنح الدراسية لأبنائنا بالجامعات الإسلامية، ودعوتنا للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في بلدان العالم العربي والإسلامي. وأضاف: كما نرجو أن تنظم المؤسسات الإسلامية العالمية مؤتمراً يعقد في زيمبابوي لدراسة أحوال المسلمين والتعرف ميدانياً على أهم مطالبهم وذلك من أجل ترقية الأقلية المسلمة في بلادنا. ■


خير الزاد
في رمضان



رمضان كريم

من القضايا البارزة في محيط الفلسفة الإنسانية قضية ثنائية الإنسان، والتقاء الجانب المادي بالجانب الروحي في تكوينه، ومن هنا فإن حياة الفرد تعاني من صراعات المثل العليا والمطالب الدنيا.

ولما كان الدين الإسلامي الحنيف يتجه إلى هداية الإنسان في خضم هذه الصراعات عن طريق الوسطية العادلة، تلك التي تتآخى وتتكيف في كنفها الروح والمادة، فلا يهوي الإنسان إلى حضيض المادية ولا يسلك مسلكاً روحياً صرفاً يجعله يتجاهل حقيقة الحياة ويعيش على هامشها فتتعطل معها رسالة الإنسان التي خلق من أجلها مصداقاً لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) البقرة:١٤٣، وقوله: (يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) الجمعة: ٩و١٠. والتشريع الإسلامي هو الإطار الذي يحوي الإنسان منذ لحظة الإخصاب حتى الكهولة أو الشيخوخة. والعبادات من بين ضروب التشريع الإسلامي تتحمل هذا العبء التربوي الكبير حتى تتحقق الوسطية المنشودة في الإنسان وتتسلم الروح قيادة المادة حتى تستفيد الإنسانية من خيراتها، ويتحقق العمران وترفرف الحضارة وتستمر دون تطرف أو مغالاة، والصيام من بين العبادات يتحمل جانباً كبيراً من هذا العبء ويقطع شوطاً عظيماً شطر هذه الغاية النبيلة.

الصيام وتربية الضمير الإنساني

بقلم: د. عبدالفتاح محمد العيسوي

تعريف الصيام لغة واصطلاحاً

الصيام في اللغة هو الإمساك والكف عن الشيء، وفي اصطلاح علماء الشرع هو الإمساك عن الأكل والشرب والاتصال الجنسي، من الفجر إلى غروب الشمس ابتغاء مرضاة الله، ولقد حدد القرآن مهمة الصيام في قوله: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣. فالصيام فريضة قديمة كتبها الله على المؤمنين في كل دين سبق الإسلام وفي ذلك ما تستريح له النفوس وييسر القبول والطاعة والامتثال وعدم الحرج لأن المسلمين ليسوا منفردين بما يطالبون به.

الآثار النفسية للصيام

لاشك أن الصيام يزكي النفوس ويطهرها وينقيها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ويرهف الحس وينقي الوجدان، ويوقظ الضمير فلا يهزم الإنسان أمام الشهوات والملذات ولا تعصف به الأهواء والنزوات وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ - : «طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء»، رواه الماوردي في آداب الدين والدنيا، والصيام يذكر بألم الجوع والعطش، فيولد في النفس عاطفة البر والإحسان على الفقراء، كما أن فيه كبح لجُناح النفس عن الشهوات والملذات والنزوات، فضلاً عن أن الصائم تمنعه تقواه وخشيته عن إبطال ثواب صومه بالمعصية، لأنه يعلم أن الله تعالى فرض الصيام ليكون أداة للتقوى، وهي ولا شك خير زاد، إذ يقول الحق: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) البقرة:١٩٧. ولتكون لها الآثار الواضحة في ضمير صاحبها وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ - : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري.

فالصيام عبادة تربوية جاءت من السماء وباعتبارها عبادة تلزم كل من اهتدى إلى عقيدة الإيمان الخالص في كل زمان، لتقوي إيمانه إلى مرتبة الورع، تلك التي يستشعر معها المؤمن الحق بمراقبة الله له، وعلمه بسره ونجواه، فيدفعه ذلك الشعور النفسي إلى التقى حتى يقي نفسه من غضب الله تعالى عن طريق اتباع أوامره واجتناب نواهيه، فيتربى الوازع الداخلي أو ما يسمى في علم النفس الحديث بالضمير الأخلاقي، ويكاد يكون الصيام العبادة الوحيدة التي تؤدي إلى الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق، حيث ترتبط مشاعر الإنسان وعواطفه وأحاسيسه ووجدانه بالله العظيم، ولذا لا يستطيع الرياء أو النفاق أن يتسلل إلى قلب المؤمن الصائم لأن جوهر عبادة الصيام وفحواها يقوم على الصلة الخفية التي هي سر بين الإنسان وخالقه، وتنمو هذه الصلة وتتوثق عراها بممارسة المؤمن المخلصة لعبادة الصيام وصدق الله العظيم القائل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» رواه البخاري، وإذا

وصل الإنسان بصيامه إلى هذا المستوى العقائدي والروحي سما إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها إنسان حيث تستضيء المادة فيه بنور الروح وتسخر لتحقيق المثل العليا في هذا الوجود ولكن كيف يحقق الصيام هذه الأهداف والغايات؟

أهداف الصوم

من بين أهداف الصيام أنه درع يحمي إيمان المؤمن من ضلالات الأهواء مصداقاً لقول الرسول - ﷺ - «الصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل» رواه البخاري، وطالما كان الصيام قوياً استحكمت حلقات الجنة، فضلاً عن أن عبادة الصيام رياضة بدنية تقي الجسم من الإصابة بالأمراض كالسكر والتخمة وضغط الدم وتصلب الشرايين وأمراض القلب والكلى ومن آفات الجوارح والأعضاء، فالصيام وسيلة تربوية تهدف إلى تعود البُعد عن الحرام والتمسك بالعفة والرضا والقناعة والزهد وكل الفضائل. هذا وقد صرح التشريع الإسلامي لصاحب العذر كالمريض أو المسافر أو الرجل الكبير أو المرأة الحامل أو المرضع أن تفطر في رمضان: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)البقرة:١٨٤ . ولكنه لايتسامح لمسلم أو مسلمة أن يتخلف عن الوصول إلى الهدف أو الغاية، وهي الخوف من الله تعالى، وما يستتبع ذلك من آثار في النفس والسلوك ومن هنا فإن للصيام أهدافاً حيوية وغايات عملية ترتبط كلها بخواطر الوجدان والشعور وجوانب الأخلاق والسلوك وتدور جميعها في فلك المنهج الرباني لتربية النفس البشرية وتكوين ضميرها وإعداد مقوماتها، وصقل أمرها لتنهض بأمانة الدين وأمانة الدنيا، والتقوى بطبيعة الحال أول هذه الأهداف وأوسعها دائرة وأكثرها حجماً وأجزلها عطاء وأبرزها بأمور الدنيا وأوفاها بشؤون الآخرة.

فالإسلام الحنيف يدعونا أن نمنح التقوى حقها وقدرها المستطاع من الطاقات والقدرات والإمكانات في النفوس والضمائر والأخلاق والسلوك وفي شتى مناحي الحياة لنجعلها زادنا إلى الله، ونستلهم منها يقظة الحس وحيوية النفس وصحوة الضمير واستواء الخلق واستقامة السلوك فتكون بمثابة الوقاية الذاتية والمتابعة الأمنية والمحاسبة الدائبة والمراجعة الدقيقة لكل ما يصدر عن الإنسان، فالتقوى حال تتكون في النفس نتيجة الإيمان بالله، والصيام هو المعاناة العملية لتوطين النفس ورياضتها على تربية النزعة الإيمانية في الفرد والمجتمع، ويتخذ ذلك مظهرين:

أ - مظهر الرياضة على الصبر والخشونة في مواجهة متاعب الحياة.

ب - مظهر المراجعة العامة وكشف الحساب مع النفس وهو عمل مناط بالضمير الإنساني في تلك الدورة التدريبية أمدها شهر عربي إسلامي يتجه فيه الإنسان المسلم إلى الله طالباً العون على مجابهة التحديات ويتكاشف فيها الإنسان مع نفسه، محاسباً لها قبل أن تحاسب ثم يعود إلى ربه تائباً.

فإذا الضمير حي، والنفس شفافة وصافية والوجدان دقيق ورقيق والشعور حساس ومرهف والصدر سليم ونقي، والقلب طهور وزكي والخلق سوي، والسلوك راض والمجتمع كله في استقامة وسلام ووئام وألفة وانسجام، وحب وإيثار ومشاركة روحانية رفيعة المستوى إنها جميعها إشراقات الصوم التي يصل مداها إلى كل بعد ويتغلغل أثرها إلى أعماق الضمير، والصائم بسلوكه هذا تتربى عنده مراقبة الله له في السر والعلن والحركة والسكون والخلوة والجلوة وصدق الحق إذ يقول: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) المجادلة:٧. ويكفي أن القرآن الكريم نزل في هذا الشهر: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) البقرة:١٨٥ .

رمضان شهر الانتصارات

وكما ينتصر المؤمن على نفسه بالصيام، فإن الله تعالى قد نصره على غيره في كل زمان خلال شهر رمضان، حيث كان أول نصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر، وكان فيه فتح مكة دون إراقة دماء، وكذلك كان فيه انكسار الروم في تبوك حينما ولوا مدبرين من الرعب بفضل جنود الرحمن التي سخرها لنصرة أمة محمد - ﷺ -، وكان فيه أيضاً انتصار المسلمين في معركة عين جالوت على الزحف التتاري، كما تم فيه فتح الأندلس على يد القائد المغوار طارق بن زياد، وفي العصر الحديث انتصر المسلمون على دولة البغي والعدوان «إسرائيل» في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، بهذا العرض السريع تتضح لنا أبعاد المهمة الكبيرة التي تؤديها عبادة الصيام في النفس البشرية تخلصها من أهوائها باتصالها بربها، وتثبتها على قيم الحق والخير والجمال والزهد والقناعة والعفة والكرم والجود والبذل والعطاء والبر والإحسان والتقوى والورع وتحيي فيها الوازع الذي يرفع الإنسان إلى مرتبة الملائكة، ولن يتحقق ذلك إلا على قاعدة من الإيمان الصادق، هذا وقد كرم الله تعالى الصائم بأن جعل دعاءه مستجاباً حيث قال تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة:١٨٦، وفي هذا الصدد قال الرسول - ﷺ - «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» رواه ابن ماجة، ويقول أيضاً: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري، ويؤدي ذلك إلى الراحة النفسية.

نسأل الله أن يوفق الأمة المسلمة إلى الاستجابة للحق الذي أنزله الله ليحيوا في الدنيا حياة السعداء، ويكون لهم في الآخرة جزاء الأوفياء. ■

المراجع:

١ - القرآن الكريم.
٢ - صحيح البخاري.
٣ - عفيفي عبدالفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين - بيروت لبنان.
٤ - عمر محمد النومي الشيباني، من أسس التربية في الإسلام - منشورات الجامعة المفتوحة - ليبيا - ١٩٩٠م.
٥ - أبو بكر محمد ذكرى، الأخلاق الاجتماعية والعملية ونصوص الأخلاق الإسلامية، دار التأليف، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦ - أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - القاهرة ١٩٥٥م.
٧ - أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.
٨ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار القلم، بيروت.
٩ - محمد شديد، منهج القرآن في التربية، دار الأرقم، بيروت.
١٠ - عبدالكريم عثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٣م.

الصوم تربية وإعداد

رمضان كريم

خير الزاد في رمضان

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

ها نحن نستقبل الوافد الحبيب، والشهر المبارك العظيم، شهر رمضان.

ليت شعري! هل علم المسلمون حقيقة هذا الشهر المبارك الكريم؟

إنه شهر الصيام، والقيام، وغض البصر، وحفظ اللسان.

شهر نزول القرآن، الذي أنشأ أمة، وبنى جيلاً، وأسس دولة.

شهر ليلة القدر، التي جعلها الله خيراً من ألف شهر.

شهر الدعاء المستجاب، والعمل الصالح المقبول.

إنه شهر الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الأعداء، على كل الأصعدة، وفي شتى الميادين.

إن شهر الفرقان، فيه نصر الله نبيه ببدر يوم التقى الجمعان ـ ففرق ـ بذلك ـ بين الحق والباطل، إلى يوم الدين.

شهر جعل الله أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النيران.

شهر حبا الله فيه أمة الإسلام من الإنعام، والإكرام، والأفضال، ما لم تنله أمة نبي قبل محمد ﷺ.

روى البيهقي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «أعطيت أمتي في رمضان خمساً، لم يعطهن نبي قبلي :

أما واحدة :

فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية :

فإن خلوف أفواههم ـ رائحتها ـ حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة :

فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة.

وأما الرابعة :

فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا، إلى داري وكرامتي.

وأما الخامسة :

فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً.

فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر ؟

فقال ﷺ : لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»؟

أرأيتم أيها الإخوان هذا الخير العظيم، والجود العميم، يتفضل به الرب الكريم على عباده الصالحين؟ لقد وعى المسلمون الأولون هذه الحقائق، فكان رمضان عندهم غنيمة من الغنائم، يتسابقون لنيل أكبر قدر من ثوابه العظيم.

إن للناس في صيامهم ألواناً من العادات والتقاليد، توارثوها على مر الأجيال، منها البعيد عن الإسلام بعداً كاملاً، ومنها ما يقترب من الإسلام قرباً يجعله ذا صبغة إسلامية، ومنها ما هو من صميم الإسلام ولبه.

فمن الناس من يرى الصوم أسلوباً صحياً، وعلاجاً وقائياً، يبعده عن الأمراض، أو يكسبه مناعة ضدها، فأيام رمضان عنده وصفة طبية يتناول حباتها الثلاثين، في كل يوم حبة، ولا علاقة له بعد ذلك بأخلاق الصيام، ولا بآداب الصيام، ولا بالحكمة الربانية التي شُرع من أجلها الصيام.

ومن الناس من يرى الصوم إمساكاً عن الطعام، والشراب، وسائر المفطرات، فإن هو فعل ـ بزعمه ـ فقد برئت ذمته، وأدى الذي عليه، وفات هذان الصنفان من الناس أن عملهم هذا بعيد كل البعد عن الحكمة التي كان صوم رمضان من أجلها ركناً من أركان الإسلام.

آداب الصيام

١ ـ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «الصيام جُنة ـ أي وقاية ـ فإذا كان يوم

صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم».

٢ - روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - «من يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

٣ - روى ابن حبان، وابن خزيمة في صحيحهما: أن رسول الله - ﷺ - قال : «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث».

الصوم نظام حياة

من هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها، نلاحظ أن للصوم آداباً رفيعة، وأن له حكمة سامية، وأن الصوم نظام حياة متكامل، وليس موسماً عابراً.

إنه دعوة إلى كل فضيلة، ورادع عن كل رذيلة، وسياج دون كل معصية، فلا صخب في حياة الصائمين، ولا شتيمة ولا شجار.

صامت ألسنتهم، فلا كذب، ولا بهتان، وصامت أبصارهم: فلا تقع على حرام، وصامت أسماعهم عما سوى الحلال، استجابة لتوجيهات قائدهم الكريم - عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم - «إنما الصيام من اللغو والرفث».

وهكذا نرى الصائمين نماذج ربانية، عافت لذيذ الشراب والطعام، وأقبلت على الصلاة والقيام، وجادت ابتغاء مرضاة الله بالأقوات والأموال.

تسامت أرواحها، وعلت نفوسها، وتعلقت منها القلوب بما عند الله من نعيم لايزال، لقد رأت هذه الدنيا على حقيقتها، رأتها لقمة طعام فعافتها، وشربة باردة فتركتها، أو شهوة عابرة فتسامت عنها، وخلعتها، ولسان الحال منها يردد «وعجلت إليك ربي لترضى». هذه غاية النفوس المؤمنة، وأمنية القلوب الصادقة، أن تفوز برضاء الله، ليس لها غاية سواه، وهل هناك غاية أسمى وأغلى من رضاء الرحمن؟

الصوم جهاد

لذلك نجد أمة الصيام أمة جهاد وتضحيات، أمة تعلمت صناعة الموت في ظلال القرآن، وأتقنت حياة المجاهدين في مدرسة النبوة، كلما ذهب إلى ربه قائد مجاهد تلقف اللواء من بعده مجاهد آخر، يفديه بالنفس والولد والمال، حتى غدا نشيد المؤمنين على الأجيال: «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

نعم، نحن أمة الصيام، ورثنا البطولات كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف، فيوم بدر كان يوم الفرقان، فيه اندحر الشرك وأهله أمام عصبة الصائمين، وفي رمضان كان الفتح العظيم - فتح مكة - الذي فتح للإسلام مغاليق القلوب، ومنيعات الحصون، فانطلق الصائمون ينشرون دين الله فوق كل مكان، بعدما أعلن مؤذنهم الأذان من فوق الكعبة، بيت الله الحرام. ولا تزال هذه بطولاتنا حتى في العصر الحديث، عصر المادة والفساد، والانحراف والإلحاد.

فهل لقي اليهود الويلات في ربى فلسطين، وذاقوا مر الهوان إلا من الأيدي المتوضئة، والنفوس الصائمة عن كل ما حرم الله.

سلوهم فهم لا ينكرون: كم ليلة باتوها آمنين من كل الجيوش التي انتهت مسرحية قتالها بتسليم فلسطين، ولم يقلقهم إلا تلك الهجمات المؤمنة من شباب الإسلام، التي كانت تدك عليهم مستعمراتهم، وتحرق حصونهم على من فيها من الرجال، وما فيها من العتاد والأموال. سلوهم فهم لا ينكرون: أليست تلك الهجمات المؤمنة الصامدة هي التي جعلتهم يخططون لنشأة كيانات هزيلة، وحكومات عميلة من حولهم، حتى تقضي على الإسلام وشباب الإسلام.

نعم، هم الذين فعلوا ذلك، وصنائعهم هم الذين نفذوا ولا يزالون ينفذون لهم ما يريدون، لأنهم كلهم يعلمون أنه لا حياة لليهود مع وجود هذه النماذج العفة النظيفة المؤمنة النقية، التي تربَّت في مدرسة الإسلام، وتحلت بأخلاق الأنبياء.

الصوم تكافل

يحقق الصوم في نفوس الصائمين معنى الرجولة والتضحية والجهاد، فهو كذلك يربي النفوس على البذل والسخاء، وعلى الجود والكرم والعطاء.

إن الغني الذي يعضه الجوع، ويضنيه الظمأ في شهر رمضان، تتبدل مشاعره، ويختلف إحساسه، ويدرك أن هناك إخواناً له يعانون طوال العام مثل الذي يعانيه في رمضان، فيسارع إلى مواساتهم، ويستجيب لنداء الرسول الكريم الذي يؤكد له أن الصوم معلق بين السماء والأرض، لا يقبل عند الله إلا بإخراج صدقة الفطر، وتطالعه سيرة الرسول الكريم الجواد السخي الذي كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، عندها تهون في نفسه الأموال، ويتلفت إلى من حوله من المحتاجين، يواسيهم، ويؤازرهم، ويقدم لهم ما يصلح حالهم، ويسد حاجتهم من غير منٍّ ولا أذى، إنما واجب الأخوة التي فرضها الإسلام، وحقق معانيها الصيام، وبذلك نجد المجتمع الإسلامي قد تحقق بالتكافل بين أبنائه، وقامت حياتهم على المحبة والمودة والإخاء.

خاتمة

أمة الإسلام : إذا صام الناس عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فاعلموا أن صومكم يجب أن يكون كصوم الأنبياء والصديقين.

وإذا رأى الناس في رمضان موسماً لألوان الطعام والشراب، فلابد أن يكون رمضان عندكم موسماً للطاعات والعبادات وزيادة القرب من الله.

وإذا ما سهر الناس في رمضان مع وسائل الإعلام - غثها وسمينها - ليناموا بعدها ما طال من النهار، فإن ليلكم يجب أن يكون قياماً بين يدي الله - تعالى - ضارعين، خاشعين، متبتلين، قانتين، تطلبون من الله نصر دينه، وإعزاز شريعته، والأخذ بأيدي إخوانكم الذين يحملون السلاح، ويقاومون الظلم والطغيان، ويجب أن يكون نهاركم عملاً دائباً، وسعياً حثيثاً لتبلغوا مرضاة ربكم.

فما شهر رمضان بشهر كسل، ولا نوم ولا خنوع، إنه شهر الجهاد، فيه كانت غزوة بدر، وفيه كان الفتح العظيم - فتح مكة - وغير ذلك من الغزوات. فهنيئاً لكم صومكم، وهنيئاً لكم صلاتكم وقيامكم، وثقوا بأن الله معكم ما دمتم معه، ناصركم، ومؤيدكم، فأصبروا، وصابروا، ورابطوا واتقوا الله، لعلكم تفلحون. ■

الصيام... وسيلة وقائية لأمراض النفس البشرية

بقلم: د. محمود صالح العادلي

جاءت الشريعة الإسلامية لعلاج النفس البشرية وهدايتها إلى الطريق القويم، وتتعدد سبل هذا العلاج، ويمثل العقاب الوسيلة الأخيرة لذلك، إذ يسبق العقاب وسيلتين أخريين، هما: تهذيب النفس وتكوين رأي عام فاضل.

ويكون تكوين هذا الرأي بعدم إظهار الشر، ووضوح الخير، لذا، فإن الجريمة المعلنة تعتبر جريمتين: جريمة الفعل، وجريمة الإعلان، إذ يقول النبي - ﷺ - : «أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات، فاستتر فهو في ستر الله، ومن أبدا صفحته أقمنا عليه الحد».

أما وضوح الخير فمن أبرز صوره: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، حيث يقول الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران:١٠٤.

أما تهذيب النفس البشرية فيكون بتربية الضمير، والعبادات جميعها تشترك في تربية الضمير، ومن ثم تهذيب النفس، وإذا اقتصر الحديث على الصوم، فإننا نلاحظ أنه له مكانة سامية وظاهرة في كبح جماح النفس البشرية.

ولفظ «الصوم» يشترك مع لفظ «الصيام» في المصدر، فكلاهما مصدره «صام»، ويستخدمان دون تفرقة بينهما، والمعنى الأولى للكلمة هو «يهدأ أو يستريح»، أما المعنى الشرعي للصوم فينصرف إلى: الإمساك عن المفطرات مع النية على اليقين بالنسبة لليوم كله.

ويدّخر الإسلام للصوم قيمة عالية، فهو عبادة تضم أسراراً عظيمة، فالصوم في ذاته وفي آثاره يرتكز على مجموعة أسرار، فهو في حد ذاته ليس فيه عمل يُشاهد، وجزاؤه له خصوصية عظيمة، ألا وهي أن تقديره من الأسرار الإلهية، إذ قال فيه النبي - ﷺ - عن ربه: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

ويفرض الصوم - ضمن ما يفرض - على المرء الامتناع عن الطعام والشراب، وهذا الامتناع - في نفسه - هو جهاد للنفس البشرية من أن تنجرف إلى تيار المعاصي والجرائم.

إذ يقول رسول الله - ﷺ - : «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش».

الجوع والعطش في اليهودية والمسيحية

والدعوة إلى الجوع والعطش كوسيلة للتقرب لله تعالى عرفتها - أيضاً - المسيحية واليهودية، إذ يقول عيسى - عليه السلام - «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»، وقيل مكتوب في التوراة: «إن الله ليبغض الحبر - أي العالم - بكسر اللام - السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل، وذلك قبيح خصوصاً بالحبر.(١)

لا ينحصر الصوم في الجوع والعطش

ولكن، ليس بالجوع والعطش فحسب يُحتسب الإنسان ضمن زمرة الصائمين، إذ يستحسن أن تسكن وتهدأ جوارح الإنسان جميعها، فلا تتحرك تجاه ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

فاللسان يكف عن الحديث غير النظيف وعن النميمة والأكاذيب والشتائم، ويحبذ أن يتحرك هذا اللسان تجاه حمد الله - سبحانه وتعالى - وشكره، كما يحبذ - من باب أولى - أن يتحرك لتلاوة القرآن الكريم للصائم نفسه أو لغيره.

وعلى العموم يُستحسن أن يتجنب المرء الأفعال التي وإن لم تكن منهياً عنها بالفعل، إلا أنها قد تثير الشهوة في المرء أو في غيره، إذ روي عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم»، متفق عليه، كما روي عن أبي هريرة - أيضاً - أنه قال: قال

رسول الله - ﷺ - : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (رواه الجماعة إلا مسلماً والنسائي).

الصوم وقاية من الانزلاق في المعاصي

والصوم بهذا المعنى يمثل سياجاً قوياً يمنع الصائم من اقتراف المعاصي التي يستفزه «غيره» للوقوع فيها، ومن باب أولى يستحسن أن يتجنب الصائم المعاصي التي يمكن أن تحدث منه تلقائياً دون استفزاز من أحد كالكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة.

وجلي من ذلك أن الصوم يلعب دوراً كبيراً في كبح جماح النفس البشرية، ومن هنا نستطيع أن نفهم ما كتبه حجة الإسلام الإمام الغزالي، بشأن تقسيم الصوم على ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو: كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، أما صوم الخصوص فهو: كفُّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، أما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.(٢)

وينبع الدور الوقائي للصوم من كونه يكبح الشهوات، تلك الشهوات التي يتوسل بها الشيطان لبلوغ غاياته، فالشهوات هي مرتع الشياطين ومرعاهم، ومادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم، وماداموا يترددون لم ينكشف لعبد جلال الله - سبحانه وتعالى - وكان محجوباً عن لقائه.

من أفضل الكلام

روي عن النبي - ﷺ - أنه قال : «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب». ■

الهوامش :

١ - راجع: حجة الإسلام الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - دار الكتبي بالقاهرة - ج٣ - ص٧٠.

٢ - المصدر السابق - ج١ - ص٢١٠.

أهلاً يا رمضان

بقلم : ميسون صافي

ملاذ الروح ..

لتهنأ بأريجة ... وتقتات بسراجه

والناس في رمضان أشبه بالملائكة... يسرحون في رحابة إنهم خفيفو الظل... كأنهم الفلّ.

ابتسامة الصائم كأنما رسمت بريشة القمر... ولوّنت بإشعاعه... شفافة... نديَّة... سخيَّة بالصدق... والحبّ.

ونظراته وديعة.... وكلمته مهابة.

ابتسامة ومشاعر عبقة برضي الله تعالى هدية الصائم إلى العالم من حوله ليسبح في عوالم الخير والبرّ والإحسان في أرقى صورة وأبهى لون... وأنضر وجه.

الصائم...

ذلك الحرّ المنتصر...

فقد علا فوق التخمة والشهوة والهوى وأسر العادة

صار نقيّاً صافياً بريئاً...

صار الجمال بعينه.

وهو إذ يعيش رمضان بهذا التحليق الفريد فهو يؤكد أن الإيمان واليقين أقوى من الفتن.

وأن حب الله تعالى ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فوق أي هوى ويجتمع الصائمون في صلاة ... أو في محراب عالم... أو في ساحة جهاد ضد العدو

يا له من اجتماع عظيم... كمثل اجتماع النجوم... لا تخفت... ولا تضعف إنما تتلألأ.

وتتبادل الأفراح والمسرات والأنوار.

ومثل اجتماع العصافير في بستان الربيع... رفرفة أجنحة وروعة دائمة.

ومثل اجتماع الورد عند صحوة الفجر... عطر دائم وألحان أمل.

شهر الخيرات والانتصارات العظيمة

بقلم : محمد مرسي محمد مرسي

ان شهر رمضان من اعظم المواسم الاسلامية ومن أجل الشهور قدراً، واكثرها خيراً، واعمها براً، هو خير كله. في اوله وفي اوسطه وفي آخره، فهو كالروضة المزهرة الفيحاء، او كالحديقة المثمرة الغناء، من اي نواحيها اتيتها تشم أريجها، وتستمتع بشذى طيبها، فأوله رحمة، واوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال يوما وقد حضر رمضان : «اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل» أخرجه البيهقي والطبراني.

وحسب هذا الشهر المبارك من الفضل وعظم القدر أن الله تبارك وتعالى : اختصه بما لم يختص به غيره، واختاره من بين الشهور، ليكون غرة في جبين الدهر، ولتكون لحظاته الباسمة اسعد لحظات نَعم بها الكون.. وأي زمان أكرم على الإنسانية من شهر كريم، تنزل فيه القرآن العظيم هبة السماء للارض وهداية الخلق الى الحق، ومشكاة تضيء للناس طريق العظمة والخلود، قال الله تعالى:(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون) البقرة/١٨٥.

ومن هنا نعلم ان شهر رمضان شهر القرآن، بماله من صلة قدسية، ففيه تنزّل فشع النور على العالم الضارب في الظلام، الغارق في بحار الجهالة والأوهام قال تعالى:(آلر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) ابراهيم/١ ففي ليلة من لياليه جليلة القدر، عظيمة الشأن أشرقت الارض بنور ربها، وبزغت فيها كواكب العرفان بنزول القرآن على أكرم انسان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. (نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين) الشعراء/١٩٣/١٩٥.

وانه ليس في الليالي والايام اشرف من ليلة كانت فاتحة السعادة، وبداية الهداية، ومشرق النور، ومبعث الخير والفلاح تلك هي ليلة القدر: (انا انزلناه في ليلة القدر. ومأدراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من الف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر

وقال جل شأنه : (حم. والكتاب المبين. إنا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) الدخان/١-٦. أي ان الله بدأ بإنزال القرآن العظيم في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي تفضل الله بها على عباده بما أنزل فيها من هداية وارشاد وتعليم وتهذيب فقد اراد الله انذار الناس واخراجهم من الظلمات الى النور فبعث رسوله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق، وانزل عليه القرآن في تلك الليلة، التي اعلى فيها منزلته بالوحي، وشرفه بالرسالة، ورفع ذكره بالكتاب الخالد الجامع لألوان الهداية الإلهية .. ونزل القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة من شهر رمضان، وكلما هلّ هلاله طاف بالأذهان ذكرى نزول هذا الكتاب الخالد الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه معجزة الاسلام الكبرى، التي ستظل باقية الى ان يرث الله الارض ومن عليها. عن أبي هريرة رضي الله عنه : ان النبي ﷺ قال : « مامن الانبياء نبي إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة»اخرجه البخاري وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن، ويتبادلان التلاوة والاستماع حين يسجو الليل،

ويهدأ الكون فيواطىء القلب اللسان، ويتذوقان حلاوة القرآن وعذوبته. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ: اجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن وكان جبريل يلقاه كل ليلة من ليالي رمضان: فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل: أجود بالخير من الريح المرسلة» أخرجه البخاري لقد كان رسول الله ﷺ اجود الناس وأكرمهم واكثرهم سخاء، كان جوده قبل ان يبعث كرما إنسانيا فلما اكرمه ربه بالرسالة صار جوده كرماً ربانياً، ومَن أوْلى من رسول الله ﷺ في ان يتخلق بأخلاق مولاه، فإذا جاء شهر التنزيل: فمن دونه البحر فيضا وصفاء، ومن دونه الريح انطلاقا ورخاء. ان شهر رمضان هو شهر الأمة الاسلامية، والدولة الفتية وهو كما اراده الله لنا شهر التدريب الروحي والجسمي لتخريج النماذج الربانية الصلبة في إرادتها، الشفافة في صفاء روحها، القوية التي تتغلب على نزواتها ونزعاتها. الأبية التي لاتستكين لاعدائها، ولاتعطي الدنية في دينها.. إنه شهر الصبر بكل ماتحتمله هذه الكلمة من معني ومدلول، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم والصيام نصف الصبر»رواه ابن ماجة. فلن يؤدي الصوم رسالته التهذيبية إلا اذا زجّ بالصائم الى ساحة الصبر الجميل، والخلق النبيل، فهو بهذا وسيلة المقاومة، ومبعث القوى النفسية التي تقارع الشدائد، وتدافع الاهوال، وفيه تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة، ومقاومة الاحداث فيها.. وقد اظهرت ازمات الحياة وشدائدها كثيراً من الصفات الجيدة في الانسان، ولاجدال في أن أمجدها واشرفها قوة الاحتمال التي يتحلى بها افراد وهبهم الله قلوبا كبيرة، ونفوسا عظيمة تجعلهم يتحملون في سبيل مبادئهم، ومصالح بلادهم واوطانهم اعنف الصدمات.. فهذه الفضيلة استطاعت ان تقيم بناء المجد في ربوع البلاد، وتمكن بها القادة المصلحون،والزعماء المخلصون من ان يصدوا تيارات الانحراف والفساد، ولهذا كان شهر رمضان على مر التاريخ شهر العروبة والاسلام بأمجاده وانتصاراته.. والتاريخ الاسلامي حافل بطاقات هائلة، ومواكب انتصارات ساحقة كان مسارها وميقاتها شهر رمضان .ففي السابع عشر من هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى وهي اول لقاء مسلح بين شعبتي الحق والباطل بين الايمان والكفر.. ولقد تجلى في هذه الغزوة الميمونة قوة إيمان الصحابة وشدة شكيمتهم رغم قلة عددهم وضآلة عُددهم، وكثرة عدوهم لانهم كانوا قد خرجوا لايريدون حربا، ولايحسبون للعاقبة حسابا، ولكن ايمانهم بالله كان امضى من الحسام، واقوى من الحديد، واحمى من النار.

وفي الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة وصل المسلمون مكة بقيادة النبي ﷺ فتم فتحها، واستسلم اهلها دون قيد أو شرط .. وكان فتح مكة درساً قاسياً للطغاة، حطم ماتبقى في نفوسهم من عنجهية وطغيان، وصلف وغرور وكبرياء، كما كان تعبيراً صادقاً عن ان الله عز وجل لن يتخلى عن دعوته ولن يدعها نهباً لاعدائها.. وإذا كان فتح مكة قد أقام صرح الحق على أساس من القوة والعدل، فإنه ايضا اقام صرح السلام على اساس من الخير والرحمة لقد وقف رسول الله ﷺ يخاطب قريشا: ماتظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فإن تعف فذاك الظن بك، وان تنتقم فقد أسأنا!!قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف من قبل: (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) يوسف/٩٢. وفي رمضان من السنة التاسعة من الهجرة. وقعت غزوة تبوك بين المسلمين والروم، وبالرغم من ان هذه الغزوة لم يحدث فيها قتال بين الجيشين إلا انها سجلت للمسلمين نصراً عظيماً، فقد انسحبت الجيوش الرومانية وحلفاؤها من البيزنطيين والقبائل العربية المقيمة على حدود الشام من مواقعهم بعد ان عرفوا قوة الجيش الاسلامي، والروح العالية التي يتميز بها جنوده المتشوقون الى خوض المعركة، مع هذا العدو المتفوق المتجبر، وعاد الجيش الاسلامي الى قواعده، بعد ان قضى على خرافة الجبروت الروماني.

وفي شهر رمضان من العام الخامس عشر من الهجرة وقعت معركة القادسية وانهزمت فيها جيوش الفرس، وارتفعت بعدها رايات الاسلام عالية خفاقة على ارض فارس. وفي شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة عبر المسلمون البحر بجيش جرار يقوده الشاب المسلم الاسمر والبطل المغوار طارق بن زياد، ليخلص الاندلس من الاستبداد، والظلم، وتم النصر على مائتي ألف قوطي كان قد عبأهم حاكم الاندلس الطاغية. وفي شهر رمضان سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة حدثت موقعة حطين كعلامة بارزة على طريق النصر الاسلامي، فقد حقق صلاح الدين الايوبي نصره الخالد بإجلاء الصليبيين عن الارض العربية وبخاصة فلسطين بعد احتلال استمر ثمانية وثمانين عاما.. وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة وقعت موقعة عين جالوت، لتسجل نصرا للعرب والمسلمين على موجة التتار العارمة التي جرفت العالم العربي والاسلامي فترة من الزمن في بربرية ووحشية لم يعرفها التاريخ إلا في العصر الحديث.

وفي شهر مضان سنة ستمائة وست وستين من الهجرة استولى الملك الظاهر على إنطاكية، وأخرج منها التتار، واسر منهم عشرة آلاف مقاتل واذا كان التاريخ يعيد نفسه، ووعد الله لايتخلف، حسبما قال الله تعالى:(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) غافر/٥١.

ففي العاشر من رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين استطاع العرب والمسلمون ان يستردوا كرامتهم، وان يستعيدوا امجادهم فلقنوا اسرائيل درساً لن تنساه، ولن ينساه التاريخ، فحطموا الكبرياء، وقضوا على الغرور المصطنع، وحطموا اكبر سد مانع عرفه التاريخ، وهو خط «بارليف» لقد ظهرت الروح الاسلامية في العاشر من رمضان قوية ظافرة. وكان لصيحة.. «الله اكبر» دوى زلزل حصون الباطل وأذهب سحره، واوقع الرعب في قلوب العدو الذي ولى مدبراً ولم يعقب. وكان لسلطان هذه الكلمة النوارنية قوة دحرت جبروته فضل ضلاله، وضاع صوابه، واعتراه التخبط، فالتوت امامه السبل فوقع فريسة للشجعان الابطال، والجنود البواسل المناضلين عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وامتهم، وتم النصر الذي قلب موازين العالم الذي خُدع طويلاً بالدعايات المسمومة. قال تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الروم/٤٧ ■

بـدر ...
من هنا انطلـق التاريـخ !

بقلم : سعيد كامل معوض

(وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحقّ الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) الأنفال:٧.

إذا أتيح للأماكن أن تمتلك لغة الكلام .. لتفصح عما شهدته من مشاهد أو أحداث كانت لها أو عليها، فإن بدراً أولى بذلك لتشهد بمعجزة، مشيرة إلى حدث غيّر وجه التاريخ وحوّل مسار البشرية، لكن الله - جلّت حكمته - لم يمنح الأماكن مزية الكلام، وتركنا نستقرئ ما وراء الأماكن من تاريخ، لنكتب - نحن البشر - التاريخ !

فإذا استقرأنا تاريخ بدر وجدنا أن هذه العين رغم ما كان لها من أهمية حيوية، إلا أن الأيام كانت ستجعلها نسياً منسياً، فقد كانت - كغيرها من العيون - تنفع الناس والدواب بالماء وحسبها ذلك، إلا أن الله منّ عليها بالذكر فصارت بين عشية وضحاها ملء الأسماع والأبصار ... ففي صبيحة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة، وقعت عند بدر تلك الواقعة التي غيَّرت ملامح التاريخ الإنساني، ورسمت خريطة جديدة للعالم كله بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة، فكانت في القرآن الكريم: «يوم الفرقان»، و«يوم التقى الجمعان» و«يوم البطشة الكبرى»، وكانت في كتب التاريخ «غزوة بدر الكبرى» و«غزوة بدر العظمى»، و«يوم وقعة بدر» إلى غير ذلك من أوصاف التعظيم والإجلال. ولأن بدراً لن تتكلم فلننوب عنها فنروي ما رأته في ذلك اليوم المشهور.

قبل الحدث

سمع رسول الله - ﷺ - بقافلة تجارية لقريش قادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان بن حرب، فندب المسلمين إليها لينالوها نظير ما تركوا من أموال في مكة.

وبلغ أبا سفيان عزم المسلمين وهو في طريقه إلى مكة، فسارع إلى إرسال ضمضم بن عمرو الغفاري ليخبر قريشاً بالخبر، فتهب لنجدته واستنقاذ أموالها ... وسرعان ما تجهزت قريش برجالها الصناديد الذين خرجوا فيما يقرب من الألف مقاتل. «وشاء الله أن تنجو القافلة عندما غيّر أبو سفيان مسارها»، وبلغ الرسول خبر خروج قريش، وكان ومن معه لا يزيدون عن ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً - وقد خرجوا لا يبغون حرباً - إذ لا تكافؤ بين القوتين، وكان لابد من اتخاذ قرار... إما الإقدام وإما التراجع، فالقافلة التي خرج المسلمون للاستيلاء عليها قد نجت، وخروج المسلمين لم يكن خروج حرب فعددهم وعدتهم لا يسمحان بقتال أبطال قريش الذين خرجوا للقتال ... وكان لابد من الشورى، فهي من الأسس الثابتة التي أقام عليها الرسول مجتمع الدولة الإسلامية، واستشار الرسول من معه: هل يقدمون على معركة لم يخرجوا لها؟ أم يتراجعون؟! .. وكان الجواب دليلاً على الثقة في الله ورسوله : «يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك» هكذا تكلم المقداد بن عمرو من المهاجرين، ومضى غيره يتكلمون، والرسول - ﷺ - ينظر إليهم، فكأنه يستشف ما في داخل صدورهم، ولم يتخذ القرار بعد!، وهنا تكلم سعد بن معاذ قائلاً: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟... قال أجل، فقال سعد: لقد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك!)، وهنا ملأ البِشْر وجه الرسول وتملكته السعادة فقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»... وكان القرار!

الحدث

نزل الرسول ومن معه عند أدنى ماء من بدر،

فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الحرب والرأي والمكيدة، فقال: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض الرسول وتحوّل إلى المكان الذي أشار به الحباب ﷺ. (سيرة ابن هشام). وفي مساء الخميس السادس عشر من شهر رمضان أخذ الرسول يضرع إلى ربه، ويجأر إليه بالدعاء قائلاً في يقين صادق: «اللهمّ هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك، اللهمّ نصرك الذي وعدتني، اللهمّ احنهم الغداة» (سيرة ابن هشام).

وفي صبيحة الجمعة التقى الجمعان... جمع يدافع لله عن الحق، وجمع يدافع للشيطان عن الباطل، وبدأ القتال فأخذ الرسول حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، ثم نفخهم بها فلم يبق فيهم رجل إلا امتلأت عيناه منها، واحتدم القتال، واشتد البأس، وإذا بجنود من السماء تهبط إلى صفوف جنود الحق فتقاتل معهم وتشد أزرهم (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) الأنفال:٩. وأعلن ميزان المعركة النهاية، فكان الانتصار الساحق للمسلمين، وكانت الهزيمة النكراء للمشركين، وانكسر الطاغوت بمقتل سبعين من جند العدو وأسر سبعين، واحتسب المسلمون عند ربهم أربعة عشر شهيداً.

وجيء بالأسرى إلى رسول الله - ﷺ - فاستشار أصحابه في أمرهم، فأشار أبو بكر أن يفتدوا بالمال، عسى أن يرشدهم الله إلى الحق، ويكون المال عوناً للمسلمين، وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم حتى تقطع دابرة الكفر ويقهر الكفار، وأخذ الرسول برأي أبي بكر، لكن الله أنزل في ذلك قرآناً عاتب فيه الرسول وأيّد رأي عمر: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم) الأنفال: ٦٧ - ٦٩.

وتبقى كلمة

قلنا في بداية حديثنا هذا، إن انتصار بدر غيّر وجه التاريخ، وأعاد رسم خريطة العالم، ولعل سؤالاً يفرض نفسه بقوة علينا في هذا المقام: كيف تحقق هذا الانتصار؟! والسؤال لا يخرج من فراغ... فهناك أسباب عدة تدعو إليه أولها: إن خروج المسلمين لم يكن خروج حرب، بل كان لمهاجمة القافلة التجارية والاستيلاء عليها فحسب، بمعنى أن المسلمين لم يكونوا مستعدين للقتال لا بالعدد ولا بالعدة، وثاني الأسباب: عدم التكافؤ بين القوتين... فعدد المسلمين تجاوز الثلاثمئة بقليل، بينما قارب عدد المشركين الألف، وعدة المسلمين لم تتجاوز السبعين من الإبل، بينما عدة المشركين تساوي عددهم، وثالث الأسباب : أن خروج المسلمين كان في رمضان، ورمضان عند العرب من الأشهر الحرم التي لا قتال فيها ولا سفك دم، اللهم إلا إذا اقتضت الضرورة القصوى ذلك كرد الاعتداء والدفاع عن المال أو الأرض أو العرض، إذاً كل الظروف لم تكن مهيأة لحدوث هذا الانتصار أو حتى لنشوب هذا القتال الشرس الذي فوجئ به المشركون بقوة عقيدة المسلمين وثقتهم بالنصر رغم قلة عددهم وعدم استعدادهم!

ولكن حدث هذا الانتصار الحاسم، لأن الله عندما فوّت على المسلمين اقتناص قافلة التجارة، كان يخفي لهم ما هو أعظم وأثمن... وأراد أن يعلّمهم الدرس الأول من دروس العزة والشموخ، وأراد أن يثبت لهم بالدليل العملي القاطع أنهم إذا نصروا الله ورسوله فلن يهزمهم عدو مهما كانت قوته وجبروته، وأراد الرسول ما أراد الله فوضع أمام أصحابه حقيقة الوضع: العير أو النفير؟!، ومادامت العير قد نجت لم يبق أمام المسلمين إلا النفير!، ولأن الرسول لا ينطق عن الهوى فقد أجابه المسلمون إلى ما يرمي إليه، ودخلوا المعركة... كانوا يعلمون أنهم أقل عدداً وعدة، ولكن العقيدة الصادقة كانت سلاحاً قاطعاً لهم، والرغبة في الشهادة كانت قوة لهم لا تقهر، والثقة في قائدهم الرسول كانت عوناً يشد من أزرهم ويدفعهم دفعاً إلى الأمام، وكانت معركة، وقف أمام طرفيها العقل البشري حائراً... فمن يتصور أن النصر سيكون من نصيب الفئة القليلة؟! ومن يتصور أن الهزيمة ستحيق بجيش كبير صنعته القتال؟! ولم يكن نصر المسلمين محض مصادفة أو مجرد ضربة حظ، بل كان عن جدارة واستحقاق، فرغم قوة جيش الشرك، إلا أن جند الحق كانوا على يقين من نصر ربهم الذي نصروه، فأمدهم الله بجنود لم يروها... الملائكة... وكانت هذه هي المعركة الوحيدة التي أنزل الله فيها ملائكته ليقاتلوا في صفوف المسلمين، وكان لابد من نزولهم، فقد كان نصر المسلمين كفيلاً بنشر الدين الجديد، وتقوية من آمنوا به، وكان لابد من نزولهم ليثبتوا لأهل الشرك أن هذا الرجل الذي كذبوه وعذبوه وحاربوه وسخروا منه، أنه رسول الله بحق، ونزول الملائكة معجزة تضاف إلى معجزته الخالدة القرآن الكريم.

ولابد في هذه العجالة أن نقف قليلاً عند موضوع الأسرى فقد قال الرسول - ﷺ - في عمر بن الخطاب : «إن الحق على لسان عمر وفي قلبه» ... ومع هذا لم يأخذ برأيه الذي أشار بقتل الأسرى، ونزل القرآن معاتباً الرسول في هذا الأمر كما أسلفنا، وهذا يدلنا فيما يدل على مدى سماحة الرسول ورحمته، ومدى رغبته في هداية قومه باللين، ولعل قولته الخالدة لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، مازال صداها يتردد في أسماع الدنيا شاهداً على عظمة هذا الرسول وحُسن خلقه وصدق رسالته التي كان قوامها الرحمة والدعوة بالموعظة الحسنة لا العنف وفرض الدعوة بالسيف كما يدعي البعض!

وبعد ... فقد كانت بدر الدرس الأول للمسلمين تعلموا فيه أن للنصر مقومات أهمها الإخلاص لله، والانقياد لتوجيهات القائد، وقوة العزيمة، والثقة في النصر، وكانت تجربة مفيدة رفعت هامات المسلمين ومنحتهم الثقة في أنفسهم، وأثبتت لأعدائهم مدى قوتهم، ولعل موضوع الأسرى كان من أعظم دروس هذه الموقعة الخالدة، فمنه تعلّم المسلمون أن الدنيا يجب ألا تكون غاية همهم، وإنما الغاية هي إعلاء كلمة الله في الأرض. ■

مفاهيم خاطئة في الصيام

بقلم : عدلية محمد علي



لشهر رمضان منزلة عظيمة في نفوس الأمة الإسلامية، ذلك لأنه شهر الخيرات وأكثرها زخراً بالنفحات الروحية دون غيره من الأشهر، والمسلم العاقل من يغتنم هذا الشهر المبارك في طاعة ربه عز وجل حتى يحظى بالمنزلة العالية، فقد روي عن النبي - ﷺ - أنه قال : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وإذا كان هذا الشهر الفضيل يأتي في العام مرة واحدة، فليس معنى هذا أن أثره يقف عند هذا الشهر، بل إن الدروس التي يجنيها المسلم الصائم من هذا الشهر يمتد أثرها ليشمل الأحد عشر شهراً الأخرى فتصير السنة كلها رمضان، والصوم يُعَدّ قمة امتثال المؤمن لربه عز وجل، فهو صائم دائماً عن الحرام ويأتي رمضان ليصوم عن الحرام والحلال فيكون أشبه بالملائكة: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم:٦.

ولن يتحقق الامتثال الكامل لله سبحانه، ولن يستفيد الصائم من صومه استفادة كلية إلا إذا تخلص من بعض المفاهيم الخاطئة التي اعتاد عليها بعض الصائمين، والتي لا تمت للصوم بأي صلة، ولا تتناسب مع سلوكيات المسلم الحضاري.

وفي هذه السطور سنلقي الضوء على بعض هذه المفاهيم الخاطئة والسلوكيات التي تنقص ثواب الصائم ذلك إن لم تفسده :

الإسراف في الطعام والشراب

الإسراف في الطعام والشراب في وجبة الإفطار من الأمور المعتادة عند كل أسرة، حيث تُحشد ألوان مختلفة ومتعددة من الأطعمة والأشربة ولا يُتناول منها إلا القليل والباقي مصيره القمامة!! ومعلوم أن الإسراف ليس من أخلاق المسلم الصائم، بل هو من أخلاق الشياطين، وقد نهى المولى تبارك وتعالى عن هذا الخلق فقال: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف :٣١.

والإسراف يعود بالضرر على المجتمع صحياً ومالياً، والصوم يصلح الجسم ولا يرهق ميزانية الأسرة، وهذا السلوك عكس ذلك تماماً.

ولما نبتعد عن الهدي النبوي؟! ألسنا مقتدين بالرسول - ﷺ - في كل أفعاله وأقواله ؟! إنه - ﷺ - كان يفطر على تمرات، فإن لم يجد فعلى قليل من اللبن فإن لم يجد فعلى ماء، وهذه الأنواع التمر - اللبن - الماء، لها فوائدها الصحية كما أنها متوافرة ولا ترهق مالية الأسرة، ثم كيف نفعل هذا الإسراف، ولنا أخوة في أنحاء كثيرة لا يجدون ما يفطرون عليه؟! ألسنا نسأل عنهم يوم القيامة؟! ماذا قدمنالهم؟! وهل ساعدناهم؟!

تأخير الإفطار وعدم تناول السحور

البعض يبالغ في صيامه، وتأخذه العاطفة الدينية، فلا يتناول إفطاره إلا بعد صلاة المغرب، ويظل صائماً، وهو في ذلك ربما لا يعرف أن الرسول - ﷺ - يحث على تعجيل الفطور، ثم الصلاة.

ولايعني التعجيل هنا الإقبال على الإفطار قبل تحقق غروب الشمس، بل يعني أنه بمجرد أن تحقق غروب الشمس، وأعلن عن ذلك، فإن على الصائم أن يفطر ثم يصلي بعد ذلك.

ومن الأفضل صحياً أن يعجّل الصائم بالإفطار لئلا يصاب الجسم بهبوط عام وإنهاك

واضطراب، فالجسم بحاجة عاجلة إلى ما يعوض النقص الذي يحدث في سكر الدم نتيجة الصيام، وهو بحاجة كذلك أن يعوض ما فقده من ماء في نهار رمضان حتى يزول عنه الظمأ أو تبتل لديه العروق.

وأما في السحور فقد روي عن الرسول - ﷺ - قوله : «تسحروا فإن في السحور بركة»، والحق إن السحور بركة وخير وضرورة، ومن بركاته أن الصائم يتوسل به إلى استكمال حاجته الغذائية اليومية التي لا يمكن لوجبة الإفطار وحدها أن تسدها، والصائم الذي لا يتسحر يشعر بصداع شديد وإعياء، وربما تصيبه رعشة، كما يصاب بالإرهاق عند قيامه بأقل مجهود هذا فضلاً عن العطش الشديد الذي يستشعره، ولابد أن ينتهي به الشهر وهو منهك، ناقص الوزن، تبدو عليه أعراض نقص التغذية.

كما أن الصائم الذي لا يتسحر ويكتفي بوجبة إفطار كبيرة، يجلب على نفسه الكثير من المتاعب والاضطرابات وبخاصة في جهازه الهضمي.

ولذا فإن السحور ضروري لجميع الصائمين، وخصوصاً المراهقين وكبار السن والناقهين والحوامل.

وإذا كنا قد عرفنا أن السحور ضروري من الناحية الصحية، فإن لتأخيره استجابة طيبة لأمر الرسول - ﷺ - : «لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»، وهذه الاستجابة لها الكثير من الفوائد الصحية منها: أن تأخير السحور يمنح الجهاز الهضمي فرصة زمنية مناسبة «بمتوسط ٧ - ٩ ساعات»، لاستكمال هضم الطعام بصورة شبه كاملة وفي يُسر وسهول.

كما أنها خلال هذه الفترة يتخلص الجسم من فضلات الطعام المتراكمة، وتصبح قناة الهضم خالية تماماً من كل المراحل الهضمية، وتكون على استعداد لتلقي وجبة السحور دون أن يختلط طعام لاحق ببقايا طعام سابق.

وأخيراً فإن الصائم ينتفع بما أكل في سحوره أطول فترة ممكنة في اليوم التالي، مما يقلل ساعات صيامه الفعلية، ولذا يقل لديه الإحساس بالجوع والعطش.(٢)

السهر في غير طاعة

هذا السلوك في غير رمضان منهي عنه، لذا في رمضان يجب أن يغتنم الصائم ليل هذا الشهر العظيم في الصلاة وقراءة القرآن، فقد روى أبو هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»(٣).

لكن البعض ما أن ينتهي من تناول إفطاره حتى يجلس أمام التلفاز الذي يحشد مجموعة من البرامج المقننة في كيفية إفساد صيام هؤلاء، ناهيك عما يسمى بالبث الفضائي المباشر الموجّه من شعوب لا تعرف شيئاً عن الحياء والأدب ويظن البعض أن هذا يُسَلّي يومه وليله وأنه الآن في إفطار فليجلس كيف يشاء، ويمتد هذا العبث حتى طلوع الفجر فبالله عليكم كيف لهؤلاء أن يعملوا وينتجوا؟!!

ونقول لهؤلاء إن مشاهدة هذه البرامج في غير رمضان غير مباح، وبالتالي فهو أكثر وأشد حرمة في رمضان نهاراً وليلاً.

أين نحن من المسلمين الصائمين الذين يشغلون وقتهم نهاراً في الصوم والعلم وفي الليل بالقيام وقراءة القرآن لقد أطاعوا رسول الله - ﷺ - فقد كان : «إذا دخل عليه العشر الأواخر أحيا الليل كله وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر».(٤)

اختصار ساعات العمل والبطالة

تلجأ كثير من قطاعات العمل في وطننا الإسلامي إلى اختصار ساعات العمل في هذا الشهر العظيم، وذلك تخفيفاً على الصائمين العاملين، فضلاً عن ابتداء العمل متأخراً، فإنه ينتهي مبكراً، وهذا وقوع في الكسل لا يعرفه الإسلام ولا الصوم.

ففي الوقت الذي نحتاج فيه إلى مضاعفة العمل لزيادة الإنتاج، نأتي في رمضان لنحد من أوقات العمل حتى أن سويعات العمل التي يقضيها العامل في عمله لا يُخْرِج الإنتاج على أكمل وجه والحجة في ذلك «رمضان والصوم». إن رمضان وصومه بريء من كل هذه التهم.

وانظر - أخي القارئ - في تاريخنا الإسلامي، هل عرف المسلمون الكسل والركون في رمضان؟

ألم تقرأ عن بدر الكبرى، وفتح مكة، وعين جالوت، وحطين...؟! فهل كان يختصرون الساعات الحربية فانتصروا؟! إن رمضان والصوم لا يعرفان الكسل، بل هو شهر النشاط والاجتهاد ومراقبة الله في أداء الأعمال فلنتقِ الله فيما نفعل.

نفسية الصائم

شيء عجيب حقاً، ولا يليق في هذا الشهر الكريم ولا يعبر عنه في هذا الشهر أن نجد العبوس يرتسم دائماً على وجوه البعض، وإن سألت قيل لك أما تدري أننا في رمضان!! ويكون أقرب إلى الغضب منه إلى الرضا. وإني أتساءل هل الصوم يتطلب ذلك؟! هل الصوم مكروه إلى هذا الحد؟!!

هل هذا خلق الصائم حتى لا يفسد صومه؟! أم تلك عادة ورثناها ولا نعرف لها سبباً؟ هل الابتسام يتعارض مع الصوم؟!

أخي الصائم الكريم : اعلم أن رمضان موسم الخير واكتساب الحسنات، فيجب اغتنامه؟ ألا تعرف أن تبسمك في وجه أخيك صدقة؟

أما تدري أن الغضب يدل على ضعف المؤمن، وأنه من الشيطان؟ إن المسلم الصائم في كل حركاته وسكناته، وظاهره وباطنه، يعطي مفهوماً حضارياً لمن حوله فهو مسرور بحلول هذا الشهر المبارك بكظم غيظه عن الجهلة والسفهاء.

وبعد - أخي الصائم - هذه بعض المفاهيم الخاطئة التي ورثناها عن جهل منّا، فعليك أيها الصائم الكريم أن تأخذ حذرك من ذلك حتى يكون صومك مقبولاً. ■

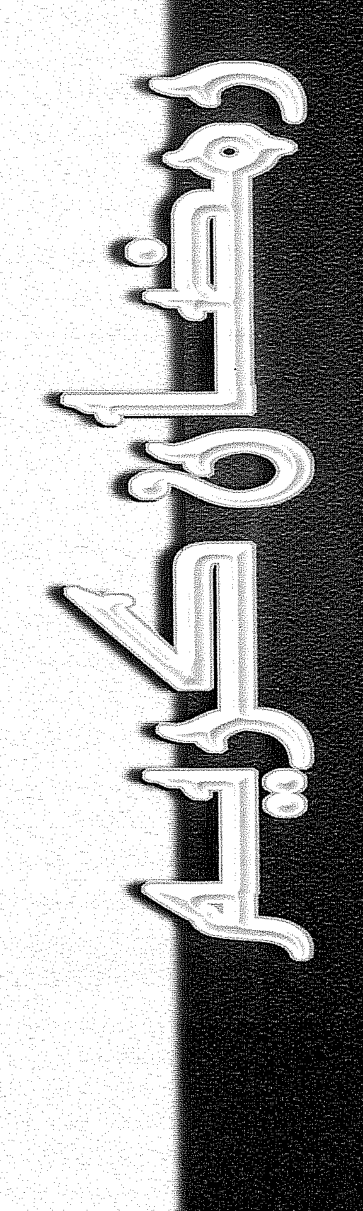
الهوامش :

١ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتبة التوفيقية - القاهرة - ب.ت،ص ٤٤٥.

٢ - مجلة الفيصل، شهرية عدد ٢٠٧٠، رمضان ١٤١٤هـ - ثلاثون وصية حول مائدة رمضان الصحية، د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي ص ١٠٤، ١٠٥، الرياض.

٣ - رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

٤ - رياض الصالحين، ص ٤٣٦.



مريض جهاز الهضم يصوم أو لا يصوم؟

لعل تأثير الصيام على جهاز الهضم هو في طليعة ما يُسأل عنه الطبيب في رمضان، فالصيام بالنسبة للأصحاء راحة للمعدة والأمعاء، فيجد الصائم نفسه مضطراً لتنظيم أوقات طعامه خلال شهر كامل، وهو ما يعطي جهاز الهضم فرصة كافية لأن يصلح الكثير من اضطراباته التي تراكمت طوال العام.

بقلم : د.حسان شمسي باشا

فوائد الصيام لمرضى الجهاز الهضمي

وفي حين يُحذر الطبيبُ المريضَ من الصيام في حالات محددة معينة، فإنه ينصح بالصيام في بعض أمراض المعدة والأمعاء.

فشهر رمضان يعتبر شهر إجازة لجهاز الهضم الذي يستريح من هضم الطعام خلال النهار، وفيه تخف الأعباء الملقاة على المعدة والأمعاء.

والمصابون ببعض الاضطرابات الوظيفية في المعدة والأمعاء يجدون في الصيام راحة من عناء، إذ إن إبعاد الطعام عن جهاز الهضم مدة طويلة «في نهار رمضان» يساعد في شفاء الكثير من تلك الاضطرابات، ويعطيها دفعة إلى الأمام في طريقها للشفاء بإذن الله.

عسر الهضم

كلمة شائعة تشمل عدداً من الأعراض التي تعقب تناول الطعام وتشمل هذه الأعراض: الألم البطني والغثيان وغازات البطن، والتجشؤ، وحس لعدم الارتياح.

وكثيراً ما تتحسن أعراض هؤلاء المرضى بصيام رمضان، شرط ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة أو الاثنى عشر، أو التهاب في المريء أو مرض عضوي آخر.

وينصح هؤلاء المرضى بتناول وجبات صغيرة من الطعام، وتجنب التخمة والأطعمة الدسمة والحلويات.

قرحة المعدة أو الاثنى عشر

يشكو المصاب بالقرحة الحادة من آلام في المعدة عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم، ويخف ألم قرحة الاثنى عشر بتناول الطعام، ويتم تشخيص المرض بتنظير المعدة أو بإجراء تصوير ظليل للمعدة.

والسؤال المطروح دوماً: هل يستطيع مريض القرحة الهضمية الصوم؟

والحقيقة أن ذلك يعود إلى تقدير الطبيب للحال، وفيما إذا كانت القرحة قد شفيت تماماً بالعلاج أم لا.

فالصوم قد يزيد في آلام المصابين بالقرحة المعدية أو الاثنى عشرية إذ إن بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة ساعات طويلة، يجعل الإفراز المعدي الحامض يتراكم في جوف المعدة الفارغة، وهذا الإفراز الحامض يحتاج إلى ما يعدّله، ويبدد أذاه، وقد اعتاد المريض أن يستخدم الأطعمة في فترات متعددة من اليوم لتعديل تلك الحموضة.

كما قد يحتاج المريض إلى تناول مضادات الحموضة لمرات عدة في اليوم.

وقد يستطيع المصابون بقرحة مزمنة ولا يشكون من أي أعراض صيام رمضان شرط تناول الأدوية المثبطة لإفراز الحمض المعدي عند السحور وعند الإفطار.

متى يجب على مريض القرحة الإفطار ؟

يجب على مريض القرحة الإفطار في الحالات التالية:

١ - القرحة الحادة: حين يشكو المريض من أعراض القرحة الحادة كالألم عند الجوع في المعدة أو في حال الشعور بألم يوقظه في الليل من النوم.

٢ - عند حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة.

٣ - عند حدوث مضاعفات القرحة، كالنزيف الهضمي، أو في حال عدم التئام القرحة رغم الاستمرار بالعلاج الدوائي.

فتق المعدة

قد يحدث لسبب أو لآخر اتساع في عضلة الحجاب الحاجز عند الفتحة التي يمر بها المريء فيعود جزء من المعدة من تجويف البطن إلى تجويف الصدر.

ويكثر حدوث هذه الحال عند البدينين، وبخاصة عند النساء في أواسط العمر، كما يزداد حدوثها عند المدخنين، وقد يولد الإنسان بهذا العيب خلقياً، وقد يشكو البعض من حرقة وحموضة في المعدة وبخاصة عند امتلاء المعدة أو الانحناء إلى الأمام.

ويُعطى المريض مضادات الحموضة لتخفيف حموضة المعدة، وعلى البدينين أن يتوقفوا عن التدخين، وينصح المريض بمراجعة الطبيب الاختصاصي المسلم، فهو الذي يقيّم حالته، وينصحه بتناول وجبات صغيرة بين الإفطار والسحور، مع تناول الأدوية بانتظام.

هل يستطيع المصاب بالإسهال الصيام ؟

الإسهال نوعان :

الأول : هو النوع الحاد: وفيه يبدأ الإسهال بشكل مفاجئ ويستمر من ساعات إلى يومين أو حتى ثلاثة أيام أو أكثر، أسبابه التهاب المعدة والأمعاء الحاد.

والثاني : هو الإسهال المزمن: وفيه يحدث الإسهال على شكل نوبات متكررة.

ومن أسبابه التهاب القولون التقرحي، وتشنج القولون والزحار المزمن وغيرها.

والإسهال مضعفٌ للجسد، مفقدٌ لسوائل الجسم ومنهكٌ للقوى، ويحتاج المريض إلى تعويض السوائل والأملاح المفقودة بالإسهال، فقد يكون الجفاف قاتلاً إذا لم يعالج.

وقد يحتاج الأمر إلى تعويض السوائل عن طريق الوريد، وينصح المصاب بالإسهال بالإفطار، وبخاصة إذا كان الإسهال شديداً.

وإذا صام المصاب بالإسهال الحاد فقد يصاب بالجفاف وهبوط ضغط الدم، أو الفشل الكلوي.

مريض الكبد في شهر الصيام

ينصح المصابون بأمراض الكبد المتقدمة التي يحدث فيها تليف شديد في الخلايا الكبدية بالإفطار، حيث تنقص في تلك الحالات قدرة الكبد على اختزان المواد السكرية الضرورية، فقد يؤدي الامتناع عن الطعام إلى حدوث غيبوبة «سبات»، كما ينصح بالإفطار المصاب بالتهاب الكبد الفيروسي الحاد، والمصابون بدوالي المريء أو الاستسقاء«الحبن».

حصيات المرارة

يختلف تأثير الصوم على مرضى الحصيات المرارية، فمنهم من تزداد نوباته

بالصيام، ومنهم من تهدأ آلامه، وينبغي على المريض استشارة الطبيب المسلم المعالج قبل بدء رمضان.

وصايا للحفاظ على سلامة الجهاز الهضمي

للأسف الشديد فإن جهاز الهضم معرّض لتعب وبخاصة في بلادنا العربية، حيث يمتاز الطعام الشرقي بكثرة دسمه، وتعقد طرائق طبخه، وتعدد أنواعه.

ومثل هذا الطعام المعقد يحمِّل جهاز الهضم أعباء شديدة خلال فترة طويلة من السنة، حتى يأتي رمضان فيعطي المعدة والأمعاء فترة راحة ضرورية، ولا شك في أن الإكثار من خلط الطعام، واختيار الأنواع الثقيلة منه يزيد من اضطرابات الهضم والتخمة.

وليس هناك أدنى شك في أن الإفراط في الطعام والمشروبات عند الإفطار مدعاة لمشاكل هضمية وبدنية تبدأ فور الانتهاء من الطعام، وقد تستمر لأيام عدة، هذا إضافة إلى الشعور بالخمول والكسل والنعاس، حيث يتجه قسم كبير من الدم إلى الجهاز الهضمي لإتمام عملية الهضم.

فينصح بالاعتدال في تناول الطعام وتجنب المقالي والمسبكات والإقلال من التوابل والشطة والبهارات والمخللات، والإكثار من الخضراوات والفواكه والسلطات.

ورحم الله الشاعر معروف الرصافي حين وصف بعض الصائمين الذين يتهافتون على الطعام غير مبالين بالعواقب.

ولو أني استطعتُ صيام دهري
لصمتُ فكان ديدني الصيامُ

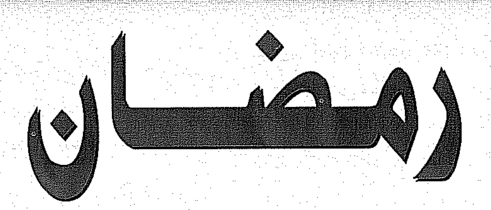
ولكن لا أصومُ صيامَ قوم
تكاثرَ في فطورهم الطعامُ

فإن وضح النهارُ طووا جياعاً
وقد نهموا إذا اختلط الزمانُ

وقالوا يا نهارُ لئن تُجعنا
فإن الليلَ منك لنا انتقامُ

وناموا متخمينَ على امتلاءٍ
وقد يتجشؤونَ وهم نيامُ

فقل للصائمين أداءَ فرض
ألا ما هكذا فُرِضَ الصيامُ



للشاعر: يس الفيل

أقبل علينا رحمة وسلاماً
إنَّا بصومك لم نزل نتسامى

رمضان ... يا أملاً يداعب أمة
في البدء سابقت البكور قياما

نشرت على الظلمات ستر ضيائها
فارتد ليلٌ ... وانحنى أقداما

ومشت إلى جزر اليقين ... يظلها
عدلٌ ... به الشرك المكابر هاما

عزّت بعزة دينها وتطلعت
لذرى عليها البغي حط وناما

وتلاحقت ضرباتها، فإذا به
وأمام سطوتها.. يخرُّ حطاما

وإذا بها تتسيد الملأ الذي
كم صال جندا ... وازدهى أعلاما

وإذا بصوت الحق يهتف: يا ربا
تيهي عطاء ... واصدحي أنغاما

رمضان جاء ... فكبري لمجيئه
واستقبليه محبة ووئما

●■●

أقبل علينا رحمة وسلاماً
وأنر مشاعر، ماخبت إلهما

إنّا - وإن قصم الخلاف ظهورنا
ثقة نعيش، ولا نمل غراما

ننحاز للإيمان، ندرك أنه
إن صح فينا، عالج الأسقاما

لكننا ... والصحو مدَّ بساطه
من حولنا، لما نزل نتعامى

الكيل فاض... وتلك بعض جراحنا
ما أيقظت - رغم النزيف نياما

فإلامَ يا رمضان، نركض لا تعي
وَمَنْ الذي يهب الحشود إماما؟

ومن الذي يحيي عزائم أمة
ما هادنت - عند اللقاء - صداما؟

رمضان ... عد بالمؤمنين لأمسهم
وأعد لسابق عهده الإسلاما

وأعد «أبا بكر» ينافح ردة
عن كل أرض ألّهت أصناما

وأعد لنا «عمراً» يلم شتاتنا
فقد انفرطنا عدة ونظاما

وأعد لنا «عثمان» يصرخ هامساً
يا قوم نحوًا عنكم الأوهاما

وأعد «علياً» في رابطة جأشه
لم يخشَ عند الالتحام سهاما

إنا وحقك لا نزال كما ترى
نكبوا وننهض ... لا نمل خصاما

●■●

أقبل علينا رحمة وسلاما
وارفع من التمسوا خطاك مقاما

ما أضيع الأيام إن هي أدمنت
شرهاً ... وزلت ملبساً وطعاما

إنا نصوم ... وللصيام حلاوة
ليست تحق لمن أضاع صياما

إن الشهور تمر دون توقف
لكن أمامك أنت... كلٌ قاما

كلٌ يود لو التحفت على الربا
أشواقنا، وأقمت فينا العاما

يا ليت... معذرة... فأنت كما ترى
ضيف يروح... كما أتى - بسّاما

فانقل إلى ملأ السماء غرامنا
بك ما رحلت، وما أطلت مقاما

وارجع إلينا بالهداية... إننا
بسواك أنت، على الصراط يتامى

دراسات تاريخية

لمناسبة مرور خمسين سنة على قيام الدولة العبرية:

الأمة الإسلامية بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية



قامت الدولة اليهودية في ١٥ مايو ١٩٤٨م في فلسطين، وكانت قد قامت مملكة صليبية في القدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، وشكلت هاتان الهجمتان الصليبية واليهودية حالياً خطراً على الأمة، وقد نجحت الأمة في التصدي للخطر الصليبي وإزالته، وما زالت تعاني في مواجهة الخطر اليهودي، وتنتقل من تعثر إلى آخر. فكيف كان النجاح في التصدي للخطر الصليبي؟ ولماذا كان الفشل في التصدي للخطر اليهودي؟ وهل يمكن الاستفادة من النجاح السابق في مواجهة الخطر الحالي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في السطور التالية.

بقلم : غازي التوبة

الحملات الصليبية

خطب أربان الثاني بابا روما لمناسبة انتهاء مجمع كليرمون في نوفمبر ١٠٩٥م داعياً فرسان أوروبا إلى حملة صليبية لإنقاذ فلسطين من أيدي المسلمين، فلسطين التي وصفها الكتاب المقدس بأنها أرض اللبن والعسل وبأنها ميراث المسيح، وحدد لها موعداً في أغسطس ١٠٩٦م، وبدأت الحملة الصليبية الأولى لتتبعها ست حملات أخرى استمرت مائتي عام، وقد اشتركت فيها كل أصناف المجتمع الأوروبي: الملوك، والنبلاء، والفرسان، ورجال الدين، والفلاحون، والأثرياء، والفقراء إلخ...، وقد استولت الحملة الصليبية الأولى على نيقية عاصمة السلاجقة في ١٩ يوليو ١٠٩٧م، ثم استولت على مدينة الرها في شرقي تركيا وأقامت فيها أول أمارة صليبية، ثم حاصرت أنطاكية في ٢١ أكتوبر ١٠٩٧م ثم فتحتها وهكذا قامت الإمارة الصليبية الثانية، وتحركت جموع الصليبيين نحو القدس في يناير من العام ١٠٩٩م، ثم فتحتها في ١٥ يوليو ١٠٩٩م، وأعقب ذلك مذبحة رهيبة، وأبيحت المدينة للسلب والنهب والقتل أياماً عدة وفاض الدم، وظلت الجثث مطروحة في الشوارع إلى أن اجتمع الصليبيون وقرروا اختيار ريمون السانجيلي حاكماً لبيت المقدس تحت لقب «حامي الضريح المقدس» ثم تحولت القدس إلى مملكة تحت حكم بلدوين، وهكذا أسفرت الحملة الصليبية الأولى عن مملكة في القدس وأمارتين في الرها وأنطاكية.

ثم تتابعت الحملات الصليبية، والواضح أن كل الشعوب والدول الأوروبية اشتركت في الحروب الصليبية: الإنكليز، والألمان، والفرنسيون، والإيطاليون إلخ...، ولم تقتصر الحروب الصليبية على تهديد أرض فلسطين وبلاد الشام، بل تعدت ذلك إلى تهديد مناطق أخرى مثل مصر وتونس، فقد تعرضت الأولى لغزوات عدة، وقد اختصها الصليبيون في إحدى المرات بحملة صليبية خاصة هي الحملة الرابعة، أما تونس فقد غزتها الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي لقي حتفه في تلك الغزوة.

فماذا كانت ردود فعل الأمة الإسلامية؟

لقد أدرك المسلمون هول الغزو وأخطاره، فأخذ الفقهاء والعلماء يخطبون من فوق منابر المساجد في فضل القدس الشريف، وفضل الجهاد والمجاهدين، ولم تكن حلقات الدروس تخلو من حديث حول القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما أُلّفت الكتب والقصائد التي تحرض وتتناول هذا الموضوع بشكل أو بآخر، وقد أثارت أعداد اللاجئين الهاربين من مذابح الصليبيين مشاعر الاستياء في كل مكان ذهب إليه اللاجئون. لقد أدرك المسلمون أن الصليبيين جاءوا إلى بلادهم بقصد البقاء، وكانت تلك صدمة مؤلمة.

وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري بين أبناء الأمة، وتجاوبت معها جماهيرها، وأصبحت حركة يقودها الأمراء، وفي خضم هذه الحركة ولدت القيادات المقاتلة وعلى رأسها عماد الدين الزنكي الذي برز عام ٥٢١هـ - ١١٢٧م رافعاً راية الجهاد، حاكماً للموصل، ثم حكم حلب عام ٥٢٢هـ، ثم استولى في العام التالي على حماه، ثم استولى على حمص عام ٥٣٢هـ - ١١٤٣م، ثم انتزع الرها من أيدي الصليبيين عام ١١٤٤م، بعد حصار دام ٢٨ يوماً، وكان سقوطها صدمة نفسية مؤلمة للصليبيين في كل مكان، لأنها كانت أول إمارة صليبية تقوم على الأرض الإسلامية، ولأنها كانت مرتبطة بتاريخ المسيحية المبكر، وكان سقوط الرها من الناحية العسكرية كسباً كبيراً لأنه جعل وادي الفرات منطقة تخضع للسيطرة الإسلامية، وكان هذا الانتصار بداية النهاية للصليبيين.

خلف نور الدين الشهيد والده عماد الدين

الزنكي إثر اغتيال الأخير على يد الباطنية ١١٤٦م، وسار على نهج والده في توحيد البلاد الإسلامية، وكانت دمشق هي البلد الوحيد الخارج عن نطاق التوحيد شمال الخلافة الإسلامية، وكان حاكمها معين الدين أنَرْ يمثل عقبة في وجه نور الدين محمود، وفي كل مرة كان يظهر فيها نور الدين محمود أمام أسوار مدينة دمشق كان الصليبيون يهبون لنجدتها، ثم عقد تحالفاً ضعيفاً معها بعد موت حاكمها، إلا أنه استطاع أن يدخلها في النهاية برغبة أهلها الذين سئموا ظلم حاكمهم.

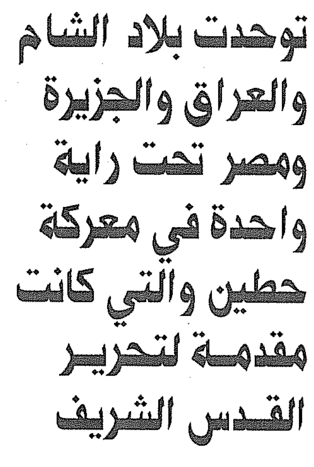
وهكذا استطاع نور الدين محمود أن يوحد الجبهة الشرقية، ثم اتجهت أنظاره إلى مصر، وكانت تحكمها الخلافة الفاطمية، وتسابق في الوصول إليها مع الصليبيين، واستغل المنازعات الداخلية، فأرسل أسد الدين شيركوه وبرفقته شاب في السابعة والعشرين من عمره هو ابن أخيه صلاح الدين يوسف الأيوبي، الذي خلف أسد الدين شيركوه في الوزارة بعد وفاته عام ٥٦٤هـ - ١١٦٩م، ثم استطاع صلاح الدين أن يلغي الخلافة الفاطمية ويلحق مصر بالخلافة العباسية، وذلك عام ٥٦٧هـ - ١١٧١م.

وهكذا توحدت كل من بلاد الشام والعراق والجزيرة ومصر تحت راية واحدة، ثم حدثت معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م، والتي كانت مقدمة لأخذ القدس من أيدي الصليبيين في ٢/ أكتوبر/١١٨٧م، وسارعت بعد ذلك المدن والقلاع الصليبية إلى الاستسلام لصلاح الدين فلم يبق في أيدي الصليبيين إلا بعض مدن محدودة هي: صور، أنطاكية، طرابلس، وهكذا تأكدت نهاية الحروب الصليبية كثمرة لعملية التوحيد التي قامت بها الدولتان: الزنكية والأيوبية.

لقد حققت القيادات الإسلامية الانتصار على الصليبيين بعد أن قامت بخطوتين مهمتين هما:

الأولى: الاستفادة من الرصيد الثقافي الذي تقوم عليه الأمة، والذي يعد محوراً أساسياً من أساسيات وجودها وهو الجهاد والمجاهدين، وفضلهما، وأهميتهما في الحفاظ على المقدسات الإسلامية والحرمات الشرعية، واستثارته وتحريكه، والبناء عليه.

الثاني: التوحد تحت راية الجهاد، وهو ما



توحدت بلاد الشام والعراق والجزيرة ومصر تحت راية واحدة في معركة حطين والتي كانت مقدمة لتحرير القدس الشريف

بدأه عماد الدين الزنكي، حيث حكم الموصل ثم حكم الرها وحماه وحمص، ثم جاء نور الدين الشهيد واستمر حاملاً راية الجهاد، وضم دمشق إلى الدول المتوحدة، ثم جاء صلاح الدين الأيوبي وضم مصر، وأصبح الصليبيون محصورين بين جناح الأمة الشرقي الذي يضم الموصل والجزيرة وبلاد الشام، والجناح الغربي الذي يضم مصر، ثم كان الإطباق الذي حقق الانتصار على الصليبيين في حطين، هذا ما يتعلق بالحروب الصليبية. والآن: كيف سارت الأمور بالنسبة للحروب اليهودية؟

الحروب اليهودية

عقدت القوى اليهودية في أوروبا المؤتمر الصهيوني الأول لها في بازل في سويسرا عام ١٨٩٧م، وحددت أرض فلسطين هدفاً لإقامة دولتها، واختارت هرتزل أميناً عاماً لها، ثم وقعت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م، وانهزمت الخلافة العثمانية التي وقفت إلى جانب ألمانيا في الحرب، وكانت

في أغسطس ١٠٩٦م بدأت الحملة الصليبية الأولى لتتبعها ست حملات أخرى استمرت مائتي عام

نتيجة الحرب سقوط الخلافة العثمانية، وتقسيم بلاد الشام، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم بدأت الهجرة اليهودية تتوالى إلى فلسطين، ومكن الانتداب البريطاني اليهود من إقامة دولتهم، فساعد الوكالة اليهودية على شراء أراضي العرب المسلمين، ونقل إليها كثيراً من الأملاك الحكومية، ثم أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، واندلعت المواجهات بين العرب واليهود، ودخلت الجيوش العربية فلسطين في ١٥ مايو١٩٤٨م، وانهزمت أمام الجيش اليهودي، وقامت الدولةالعبرية على أرض فلسطين، ونزح نتيجة ذلك عشرات الآلاف من الفلسطينيين، ثم خاض العرب حروباً عدة بعد ذلك مع الدولة اليهودية هي حروب ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٧٣م، ثم دخل العرب في سلام مع اليهود، فوقّعت مصر اتفاقات كامب ديفيد مع مناحيم بيغن عام ١٩٧٨م، ثم وقّعت منظمة التحرير اتفاق أوسلو مع إسحاق رابين عام ١٩٩٣م، ووقعت الأردن اتفاق وادي عربة مع إسحاق رابين أيضاً عام ١٩٩٤م، والسؤال الآن: ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين الحملات الصليبية والحروب اليهودية؟

١ - تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأن أوروبا كانت ذات دور رئيسي في الحربين، وقد حلت الآن أميركا مكان أوروبا في دعم الكيان اليهودي بعد أن ضعف وضع أوروبا الاقتصادي والعسكري، وتقلص نفوذها السياسي.

٢ - تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأنهما استهدفتا العالم العربي والإسلامي وليس أرض فلسطين وحدها، فقد أقامت الحملات الصليبية دولاً وممالك لها في نيقية، والرها، وطرابلس، وأنطاكية، والقدس، وهاجمت مصر وتونس. وأفرزت الحروب اليهودية احتلال أرض في لبنان، وسورية، ومصر، وتتطلع إسرائيل الآن إلى السيطرة على العالم العربي انطلاقاً من مقولة «أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل».

٣ - تتفق الحملات الصليبية والحروب اليهودية بأنهما تستهدفان اقتلاع الوجود الإسلامي واستبداله بوجود آخر صليبي في

الماضي، ويهودي في الحاضر. ولذلك لا تتوقف أهداف الصليبيين واليهود على الاستغلال الاقتصادي، إنما تتعداه إلى إقامة وجود مغاير ودائم.

٤ ـ تختلف الحملات الصليبية عن الحروب اليهودية بأن بداية النهاية بالنسبة للحملات الصليبية بدأت بعد أقل من خمسين عاماً عندما احتل عماد الدين الزنكي الرها في عام ٥٢٨هـ ـ ١١٤٤م، في حين أن الدولة اليهودية مازالت تزداد تمكيناً بعد مرور خمسين عاماً على قيامها، ويدل على ذلك اتفاقات الاستسلام التي وقعتها أكثر من دولة عربية معها، فما السبب في ذلك؟

السبب في ذلك ثلاثة أمور:

الأول: لقد تواصلت القيادات العباسية أثناء الحملات الصليبية مع ميراث الأمة الثقافي المرتبط بقيم البذل والعطاء والتضحية والجهاد والشهادة والمقدسات وتفضيل الآخرة على الدنيا الخ...، فاستفادت منه وحركته لدفع الأمة إلى الجهاد والقتال، في حين أن بعض القيادات العربية المعاصرة التي تصدرت الساحة السياسية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وبعدها تنكرت لميراث الأمة الإسلامية الثقافي، فهونت من شأن الدين ورابطته وأعلت القومية ورابطتها بحجة تجاوز العصر لرابطة الدين، ولقد قال أحد شعراء القومية:

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

وشككت في بعض حقائق القرآن الكريم بحجة العلم حينا والتاريخ حينا آخر، كما حدث مع طه حسين عندما شكك في حديث القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما الكعبة، وزينت السلوك الغربي القائم على انفلات العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى بحجة الحرية الشخصية وعدم توليد الكبت حسب نظريات فرويد، وروّجت الفنون الهابطة القائمة على العري بحجة تذوق الجمال، ونادت بأنه لا حكم في الإسلام، وأن الحكم الذي مارسه الرسول كان شيئاً خاصاً به، لذلك فإننا يمكن أن نختار الحكم الذي يناسبنا كما جاء في دعوى علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، ثم زاد الطعن في الدين والاستهزاء به في المرحلة الاشتراكية التي بدأت في الستينات من هذا القرن في معظم الدول العربية، ولم يتوقف الأمر عند هذا فحسب بل تعداه إلى اعتباره أساس التخلف، ويجب اقتلاعه من واقع الحياة والمجتمع والاقتصاد والأسرة والتربية لأنه أفيون الشعوب، ولأنه يقوم على الخرافة والأوهام ومناقض لأصول العقل والنهضة، وقد روّج لهذه المقولات كثير من الكتّاب منهم: جلال صادق العظم، نديم البيطار، غالي شكري، لويس عوض الخ...، وبالفعل وضعت البرامج والمناهج التي تحقق ذلك في أجهزة الإعلام والتربية والاقتصاد والاجتماع والسياسة الخ...، فكانت نتيجة ذلك تمزيق أوصال الأمة، وتوليد التناقضات في كيانها، واضطهاد علمائها، وتغييب طلائعها المؤمنة في السجون، وانهزامها في المعارك التي خاضتها أمام اليهود.

الثاني: لقد اعتبر المجتمع العباسي أن مقاتلة الصليبيين واجب الأمة جميعها، لذلك اشتركت في مجاهدتهم كل الأعراق والأجناس: العرب، والفرس، والأكراد، والأتراك الخ...، ثم سارت القيادات في خطة توحيدية شملت مختلف المدن الإسلامية، ومنها: الموصل، وحماه، وحمص، وحلب، والشام، والرها الخ...، حتى توصلت إلى إجلائهم عن الأرض الإسلامية، لكن القيادات السياسية المعاصرة اعتبرت أن مقاتلة اليهود واجب الفلسطينيين، لذلك أنشأ مؤتمر القمة العربية عام ١٩٦٤م منظمة التحرير الفلسطينية التي اعتبر دورها الدور الرئيسي والأساسي في مواجهة اليهود، واعتبر دور الدول العربية دور الداعم ويكون ذلك حسب ظروفها وإمكاناتها، لقد أدى هذا التقسيم إلى حصر الصراع بين منظمة التحرير وإسرائيل، وجعل انتصار إسرائيل مؤكداً لأنه أبعد طاقات الأمة وإمكاناتها عن ساحة الصراع.

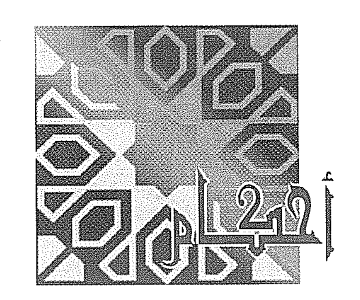
لم تقتصر الحروب الصليبية على تهديد فلسطين وبلاد الشام بل تعدت إلى تهديد مناطق أخرى مثل مصر وتونس

استهدفت الحملات الصليبية والحروب اليهودية اقتلاع الوجود الإسلامي واستبداله بوجود صليبي ويهودي

الثالث: رفعت القيادات العباسية شعار الجهاد منذ اللحظة الأولى لبدء الحملات الصليبية، واستمرت في رفعه إلى أن انتهى الوجود الصليبي، وكانت تتولد الأسر المجاهدة واحدة تلو الأخرى: فكانت الأسرة الزنكية، ثم الأسرة الأيوبية، ثم المماليك الشراكس، ثم المماليك البحرية. في حين أن القيادات المعاصرة أنزلت راية الجهاد بعد أقل من خمسين سنة من مقاتلة اليهود عندما اعترفت منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ وبإيقاف الانتفاضة والكفاح المسلح ضد إسرائيل وذلك قبل أن تعترف إسرائيل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الأقل، لذلك صارت تهمة الإرهاب تهمة جاهزة لكل من يفكر بمقاتلة اليهود، ولكل من يعد العدة لاسترداد حقه وأرضه السليبة، مع أن أطماع اليهود في قيام إسرائيل الكبرى مازالت تداعب خيال قطاع كبير من المجتمع الإسرائيلي، ومازال السعي إلى تحقيق ذلك قائماً وتدل عليه مؤشرات عدة.

الخلاصة

لقد انتصرنا على الحملات الصليبية لكننا خسرنا الحروب اليهودية لأن القيادات المعاصرة حاربت ميراث الأمة الثقافي وتنكرت لثوابتها الدينية، ولأنها غلّبت الجانب القطري على حساب توحيد الأمة، ولأنها أنزلت راية الجهاد قبل انتهاء المعركة. ■



العقوبات في الإسلام هدفها مصلحة الفرد والجماعة

إن رسالة الدين في الحياة هي السمو بالعواطف والمشاعر، وتهذيب الأخلاق والسلوك، وتطهير النفوس والضمائر، ورعاية كرامة الإنسان خليفة الحق سبحانه وتعالى في أرضه، والدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات، والنهوض بالمجتمع البشري، والسير به قدماً نحو النور والهدى، والطهر والخير، والعزة والحرية، والأمن والأمان، والطمأنينة والسلام.

والدين هو شريعة الإصلاح، ينظمها قانون سماوي، له في النفوس الحب والتقديس، وهو الناموس الخالد لدعوة التجديد والبناء، والنهضة والحضارة، والنبع الأزلي للحقيقة والإيمان، والعدالة.

ويعد الإسلام هو الشريعة التي احتفلت بالإنسان، واهتمت بشؤونه، ورعته في كل ما يتصل به: مبدؤه، ونفسه، وروحه، وعقله، وعقيدته، وفكره، وعمله، وبدايته، ونهايته، وثوابه، وعقابه، وتفرده، ووحدته، واندماجه، وجماعته، وأبناؤه، وزوجته، وأمواله، والأمل فيه، واليأس منه... إلى غير ذلك من الأمور الأخرى التي تتصل به، من قبل أن يخلق آدم عليه السلام وحتى آخر الزمان، هي مصدر كل أحكام القرآن الكريم، بل كل الإسلام بكتابه وسنته، وإجماعه وأقيسته، ووسائله كلها في التشريع والتقنين.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل الإنسان أساساً ومصدراً، ثم جعله وسيلة وغاية، ثم جعله مجالاً للبحث، ثم جعله رائداً يبحث وينقب، وينظر في نفسه، وفي الآفاق، وفيما حوله، وفيما سبقه، ليهتدي عن بصيرة، وإعمال فكر.

والتشريع الإسلامي الإلهي استوعبه كتاب جامع لمعاني الرشد والخير، وأفاض في شرح الحقوق والواجبات إفاضات واسعة، وأعطى أحكاماً جامعة، ولم يترك المجتمع يتخبط في غير نظام، أو البشر يسيرون دون أحكام.

الخير والشر والجزاء

للخطيئة أنواعها، وللأوزار أشكالها، ولها نتائجها الشريرة التي تصاحبها على الدوام، وهذه النتائج تعمل عملها بطريقة ظاهرة أو خفية، في نفس مرتكب الخطيئة، فقد قيل قديماً: إنه لأنكى على المرء أن يرتكب الشر من أن يتحمله.

وهذه القضية صادقة كل الصدق، إذ إن الأضرار التي تلحق بمن يصيبه الشر أضرار خارجية، لأنها تؤذي النفس، ولا تلحق بها خبثاً، بخلاف الأضرار الناتجة عن ارتكاب الفرد للشر، فمرتكبه يحط من نفسه في ميزان الحياة، ويجني على نفسه ما لا يستطيع غيره أن يجني عليه.

بقلم : محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي

بيد أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الآثار التي تلحق بالفرد من جراء جنايته ليست على الدوام ظاهرة له أو لغيره، فكثيراً ما يظهر له أو لنا أنه قد خرج من الأمر سالماً، إلا أننا نترقب بنظرتنا الجزاء لكل فرد أقدم على جرم وارتكبه، وهذا هو الذي يتفق مع المعنى الطبيعي للعدالة.

ومن هنا كانت القاعدة العامة للإسلام أن العقوبة تسير مع الجريمة بالنسبة للكبر وللصغر سيراً مضطرداً، فتكبر الجريمة من الكبير وتتبعها العقوبة، وتصغر الجريمة من الصغير وتتبعها العقوبة.

العقوبات في الإسلام

إن الشريعة الإسلامية وضعت نظاماً كاملاً لكل ما يتطلبه المجتمع الإسلامي، في جميع مجالات الحياة على اختلاف أنواعها، لكي ينعم بالأمن والهدوء والاستقرار.

والعقوبات في الإسلام وضعت على أساس علم الحق سبحانه وتعالى بالنفس البشرية، وتقدير دقيق للغرائز والميول والاتجاهات، وشرعت لمحاربة الجريمة، والحفاظ على مصلحة المجتمع.

ولقد حرصت الشريعة الإسلامية وهي تضع نظام العقوبات، على أن تسبق العقوبة بأمرين اثنين، هما:

١ ـ إصلاح نفسية الجاني.

٢ ـ كفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته.

فالبنسبة لإصلاح نفسية الجاني، وضعت الأسس التالية:

أ ـ مقاومة الجريمة قبل وقوعها: وذلك عن طريق توجيه الأفراد إلى الإيمان الكامل، الذي يحقق الخوف من الحق سبحانه، وتقويم الأخلاق وتهذيبها، وترويض النفس على حب الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأليف القلوب بالتعاون والتناصح.

ب ـ تشريع العقوبة: لأن تشريع العقوبة يمنع الكثيرين من الاقتراب من الجريمة، ويدفعهم إلى عدم اقترافها، وذلك لأن العقوبة جزاء وضعه الشارع للردع عن ارتكاب المنهي عنه، أو ترك ما أمر بتركه، فهي قبل الفعل موانع، وبعد الفعل زواجر.

ج ـ فتح باب التوبة أمام كل مذنب مهما كثرت جرائمه: ونجد هذا في قول الحق سبحانه وتعالى، الذي يخاطب فيه عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بدعوتهم إلى التوبة، وعدم اليأس من رحمته، فهو غفَّار لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، يقول سبحانه وتعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله

يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر:٥٣.

د ـ الإعلام العملي من الشريعة الإسلامية بأن العقوبات الواردة فيها لا يقصد بها تعذيب الجاني: فالقصد ليس هذا، وإنما المقصود كفّ الجاني عن ارتكاب الجريمة، وحماية المجتمع من الأذى، وذلك بما أخذت به من التشدد في إثبات الجريمة، ودرء الحدود بالشبهات.

وأما بالنسبة لكفالة الوسائل الضرورية لحفظ حياته، فالشريعة الإسلامية تفرض على المجتمع المسلم أن يوفر لأفراده جميع حقوقهم بمختلف أنواعها، بحيث لا تتجاوز حدود الضرورة.

أقسام العقوبات

لقد قسّم الفقهاء العقوبات إلى قسمين، هما:

١ ـ القسم الأول: العقوبات المحددة، وهي الجزاءات والعقوبات النصية، التي حددها القرآن الكريم، والسنّة النبوية الشريفة، تحديداً دقيقاً، كمًّا وكيفاً.

والعقوبات المحددة تتنوع إلى نوعين :

النوع الأول : الحدود

وهي وصف للعقوبات التي تجب حقاً خالصاً للحق سبحانه وتعالى، عن جرائم بالغة الخطورة على المجتمع الإسلامي، ولذلك قدرت من المولى سبحانه مقدماً، فلا يملك القاضي أو الحاكم إلا أن ينزلها بالجاني كما هي دون زيادة أو نقصان، كما أنها لا تقبل التنازل عنها مادام لا حقّ للأفراد فيها، ومن هنا كانت الجرائم التي تستوجب هذه العقوبات، والتي تسمى بـ «جرائم الحدود» محصورة في عددها، إما بالنص القرآني الكريم، وإما بالسنة النبوية الشريفة.

والجرائم التي تستوجب الحدود فيها اعتداء على حقوق المولى سبحانه وتعالى، وعلى حقوق المجتمع، وتعد انتهاكاً لحمى الفضيلة التي أوجب التشريع الإسلامي حمايتها.

وبناء على هذا، فعقوبة الحد يجب أن يتوافر فيها شرطان، أن تخلّف أحدهما لا تسمى عقوبة حد، وهذان الشرطان هما:

١ ـ أن يكون في الجريمة اعتداء على حق المولى سبحانه وتعالى، وقد مسّت حداً من حدوده التي رسمها وعيّنها، ومنع الناس من ارتكابها، أو أن يتجاوزوها.

٢ ـ أن تكون العقوبة مقدّرة من الشارع، ولم يترك للعباد تقديرها، بل تولى الشارع تقديرها.

وإذا كانت الجريمة فيها اعتداء على حق المولى سبحانه وتعالى، وعلى حق المجتمع، فإن العبرة في هذه الحال تكون بغلبة أحد الحقين على الآخر، وتبعاً لذلك يكون الحق إما خالصاً لله، وإما غالباً على حق العبد.

وتفسير ذلك: أن حق المولى سبحانه وتعالى يمسّ المجتمع، والجناية الشخصية تكون فيه مطلوبة في جانب المعنى الاجتماعي العام، وربما لا يكون هناك اعتداء واضح على شخص، ولكن المعنى الاجتماعي العام هو الأوضح، وحينئذ يكون مناط العقاب صالح المجتمع، وذلك كحد الزنى، وحد القذف، وحد السرقة.

النوع الثاني: القصاص

جرائم القصاص، هي جرائم الاعتداء على النفس، سواء أدّى هذا الاعتداء إلى إزهاق الروح، أو إتلاف بعض أعضاء الإنسان، كالعين، والساق، والأيدي، والأرجل.

والقصاص هو: المقابلة، أو المماثلة... والأصل فيه أن يوقّع على الجاني مثلما أوقعه بالمجني عليه من اعتداء، فإن قتله قُتل، وإن جرحه جُرح، وإن أتلف له عيناً أو أنفاً، أو قطع له إصبعاً، عوقب بمثل هذا الإتلاف تماماً، عملاً بقول الحق سبحانه: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة:٤٥.

وكما قضى الحق سبحانه: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) النحل:١٢٦.

ومثلما روي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم» رواه البخاري.

وقد يُصاب المجني عليه بإصابة في موضع من جسده، يصعب إنزال مثلها تماماً في جسد الجاني، فقد لا تقطع الأنف كلها، أو اليد كلها، أو الذارع كله، ومن هنا فقد أجاز الشرع أن يحل محل القصاص الفعلي القصاص المالي، وهو ما يسمى في الشرع بـ«الدية»، ولذلك فقد قسّم الفقهاء القصاص إلى قسمين:

١ ـ قصاص صورة ومعنى: وهو الاقتصاص من جسم الجاني مباشرة، بإنزال جرح به مشابه لما أحدثه في جسم خصمه.

٢ ـ قصاص معنى فقط: وهو القصاص المالي، أي: التعويض، وهو المسمّى بـ«الدية».

وفي القصاص تطبيق لمبدأ المساواة بين الناس، فيد القوي كيدِّ الضعيف، والعكس، ويدُ الحر كيدِّ العبد.

ولقد حدد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نطاق هذا القصاص، فمن حقِّ المجني عليه أن يقتصّ، أو يعفو، أو يأخذ الدية، أما إذا ابتغى ما وراء ذلك، عن طريق تجاوز حقه، بالإسراف في العدوان، فلا يحق له ويُمنع.

بيد أن عفو المجني عليه لا يزيل عن الجاني صفة الجرم، ولذلك فمن حق القاضي أو الوالي أن يعاقبه تعزيراً، إذ إن التعزير يعد من العقوبات التي يفرضها القاضي أو الوالي على أفعال لم يرد بشأنها حكم في الكتاب، أو في السنة النبوية الشريفة.

٢ ـ القسم الثاني: العقوبات غير المحددة، وهي جرائم التعزير:

تعد الجرائم التي عاقب عليها الإسلام بنص صريح في الكتاب، أو في السنة النبوية الشريفة جرائم قليلة، وجرائم القصاص وهي: القتل، والجرح، والضرب، وما عدا ذلك من المفاسد والشرور والآثام، والأعمال التي تلحق بالأفراد والجماعات الضرر، فلم يرد بشأنها نص يجرّمها، ولم تُوَضَّح العقوبة المساوية لها، فالوالي تجاه هذه الأعمال يستهدي بأقرب الجنايات التي يعاقب عليها الدين بنصّ صريح من الكتاب أو السنّة، عن الفعل الذي يريه أن يفرض عليه عقوبة.

ولقد قال «ابن تيمية» في كتابه «السياسة الشرعية» عن مرتكبي هذه الجرائم غير المنصوص عليها مانصه: «فهؤلاء يعاقبون تعزيراً، وتنكيلاً، وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي، على حسب كثرة الذنب في الناس وقلته، فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة، بخلاف ما إذا كان قليلاً، وعلى حسب حال المذنب، فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته، بخلاف المقلّ من ذلك، وعلى حسب كبر الذنب وصغره.

وقد أورد «ابن تيمية» ثبتاً طويلاً من الأعمال التي تقع من الأفراد على اختلاف مسؤولياتهم، مثل: جرائم الرشوة، وخيانة الأمانة.

وتتراوح العقوبات بين القتل - على ما قرر أكثر الفقهاء - إذا لم تحقق غرض التشريع عقوبة سواها، وبين مجرد التوبيخ، أو مجرد إحضار مرتكب الجرم إلى مجلس القضاء أحياناً.

«وإباحة القتل كعقوبة تقريرية، تستند إلى حديثين رويا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولهما: «ستكون هنّات وهنّات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

وثانيهما: ما روي من أن «ديلم الحميريّ»، قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّا بأرض نعالج بها عملاً شديداً، وإنّ نتّخذ شراباً من القمح نتقوّى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا»، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «هل يسكر؟»، قلت: «نعم»، قال: «فاجتنبوه»، قلت: «إن الناس غير تاركين»، قال: «فإن لم يتركوه فاقتلوهم».

وقد تكون الجريمة من جرائم الحدود أو القصاص، ولكن لم يقم الحدّ أو القصاص لشبهة، فيجوز في هذه الحال أن يعاقب القاضي أو الوالي تعزيراً على جزء من العمل المنهي عنه المتيقن، والذي لا يكفي وحده للحد أو القصاص.

وقد ينهى الوالي عن الجرائم التعزيرية، ويقوم بتحديد عقوباتها، ويجعل لها حدّين: «أعلى، وأدنى، ليعمل القضاة رأيهم في هذه الحدود، وقد يترك تقدير العقوبة كلية لرأي القاضي».

أساس العقوبات في الإسلام

إن أساس العقوبات في الإسلام هو المصلحة، فأحكام الشريعة الإسلامية في العقاب هي «دفع المضرة، وجلب المصلحة»، فما من أمر جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في موضع نهي إلا وكان لدفع ضرر ناشئ عن ارتكاب الفعل المنهي عنه، أو في موضع طلب إلا وكان فيه جلب مصلحة، وقد ثبت ذلك بالاستقراء، وبتقدير العقل السليم للمصالح والمضار.

ولقد جاءت العقوبات للمخالفة على المصالح المعتبرة في الإسلام، ولم يترك تقدير هذه المصالح يجرى تبعاً لأهواء الناس، بل إن الفقهاء قرروا عن طريق الاستنباط من مصادر الشريعة أن الإسلام إنما جاء للمحافظة على أمور خمسة، وهذه الأمور تقوم عليها الحياة الإنسانية الكريمة، وهي من المصالح المقررة الثابتة.

يقول الإمام «الغزالي» ما نصه: «إن جلب المنفعة، ودفع المضرة، مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة».

موقف الإسلام من العقوبة

إذا كانت المسؤولية نتيجة طبيعية للالتزام بما يأمرنا به الحق سبحانه، أو ينهانا عنه، فإن الجزاء هو النتيجة الحتمية المترتبة على قيام الإنسان بمسؤولياته أو مخالفته لها، فالجزاء أمر مترتب على المسؤولية وناشئ عنها.

ولقد حدد الإسلام للعقوبة أموراً، من بينها:

١ - كون العقوبة غير قاتلة للضمير الإنساني، بل تكون حامية للمجتمع من سيئات الإثم، مع الاحتفاظ بكرامة الفرد، وحماية حياته التي هي مناط الأخلاق الفاضلة.

٢ - العناية بتهذيب الضمير والوجدان، وذلك عن طريق تربية روح الإحساس بالواجب في نفس المؤمن، حتى يفعل الخير، استجابة لداعي الحق سبحانه، والرغبة في طاعته، والقيام بالواجب، لا لمجرد الخوف من العقاب، لأن الخوف من العقاب وحده للامتناع عن المعاصي ليس هو المرتبة العليا لأهل الإيمان، بل طلب رضوان الله سبحانه، هو الغاية المثلى لأعمال المؤمنين.

٣ - الاتجاه إلى العدالة، مصداقاً لقول المولى سبحانه: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) النحل:٩٠.

فالإسلام مع عنايته في شرائعه بالمصلحة العليا الإنسانية، وتربية الوجدان والأخلاق ليتجه نحو الكمال، وكل مبادئ الإسلام وقيمه ومثله تتجه نحو العدالة.

والعقوبة في الإسلام تتكافأ بين العقوبة والجريمة، بالمماثلة في الفعل ذاته، أو في آثاره، ولذلك يقول الحق سبحانه: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) النحل:١٢٦.

والصبر يكون خيراً في حال ما إذا كانت الجريمة فردية، لأن الصبر تهذيب للجاني، أو تنمية للعلاقات الشخصية، يقول سبحانه: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت: ٣٤، ٣٥.

إن العقوبة في الإسلام - وهي تحمي المصالح المقررة تتفاوت بتفاوت مقدار ما تحميه من منافع، فإذا كان ما تحميه ضرورياً كانت العقوبة أشد في موضعها وبطريقة حاسمة، وإذا كان ما تحميه العقوبة حاجياً كانت العقوبة دون ذلك، وإذا كان ما تحميه تحسينياً فهي دون الأمرين، وربما تكون موضع عفو إذا كان مرتكب الخطأ لم يتعود على ذلك.

فالعقوبة يجب أن تكون موافقة للجريمة، لأن وجود المناسبة بينهما يجعل العقاب حاضراً في ذهن من يريد الجناية، مؤثّراً في تفكيره، والقصاص أعظم عقوبة تتوافر فيها هذه الصفة، فالعين بالعين، والسن بالسن، هو أعظم ما تكون المطابقة، فمن يفكر في ارتكاب أي

جناية سيتذكر العقوبة مهما قصر عقله.

ومن هنا رأى الإسلام أن العقوبة يجب أن تكون مقيدة بأحد أمور ثلاثة:

١ ـ العقوبة يجب أن تكون متناسبة مع الجريمة، دون أدنى مغالاة أو شطط، لأن العقوبة ضرر، فلا يجوز أن ينزل ضرر لا حاجة إليه، ولو كان هذا الضرر بالجاني.

٢ ـ العقوبة يجب أن تكون مساوية بين الناس، فكل بني آدم متساوون في جرائمهم على أعمالهم، فلا يكون لطائفة عقاب، ولآخرين عقاب أشد منه أو دونه.

٣ ـ يجب أن يكون هناك تناسب بين العقوبة، والحال النفسية لمرتكب الجريمة.

الهدف من العقوبات

لقد وضع الإسلام قواعد ثابتة، وأسساً علمية، فيما يتعلق بالعقوبات، شملت جميع جوانبها، وأحاطت بها إحاطة تامة، وقد نشأت في العصر الحديث مذاهب مختلفة، تباينت آراؤها في العقوبة، ويرمي كل مذهب منها إلى غاية يبغي تحقيقها، ولقد سبق الإسلام كل هذه المذاهب بنظرياتها، وكان له فضل الوصول إليها، إذ جعل العقوبة مصلحة، لأن الأمر يتعلق ببناء الأخلاق، وغرسها في نفوس الأفراد، فيجب أن تهدف العقوبة إلى غرض واحد وهو «الإصلاح».

ربما أن كل صور العقوبة تؤدي عملها عن طريق الخوف من الألم، وجب أن نهتم بالبحث في إمكان جعل الألم أو الخوف منه وسيلة من وسائل الإصلاح، فيجب أن تترك العقوبة أثراً في الجاني، وأن يكون الألم سبباً في الإصلاح، وذلك عن طريق أن يتولد في الجاني الإحساس بأنه قد اقترف إثماً، والشعور بالرغبة الصادقة في التكفير عن الذنب.

وهذا هو أهم دور للعقوبة، ولا سبيل إلى تقدم الأخلاق إذا لم يتغير رأي الجاني في نفسه، وتتحول عقيدته من صاحب حق إلى معتدٍ، وذلك باعترافه بخطيئته، حتى ولو كان هذا الاعتراف سراً بينه وبين نفسه، إذ إن الاعتراف يؤدي إلى التوبة.

ومن هنا كانت القيمة الأخلاقية تنحصر في هاتين الخطوتين:

١ ـ الاعتراف.

٢ ـ التوبة.

كما يجب أن تكون السلطة المعاقبة سلطة أخلاقية، لأن الجاني لن يثمر فيه التأثير ثمرته المرجوة إلا إذا شعر بأن السلطة التي تعاقبه سلطة أخلاقية، يخشى بأسها، ويحاشى غضبها، ومن ثم يصبح لنقمتها عليه أثر في إرادته، لأنها تلقّنه الدرس الأخلاقي الذي تعجز أي محكمة تحكم بالقانون الوضعي عن تلقينه. وهنا يدرك الجاني أنه قد ارتكب بجرمه خطيئة كان ينبغي أن يعصمه منها ضميره، فإن أدرك ذلك فما عليه سوى خطوة واحدة توصّله إلى تأنيب الضمير، الذي يؤدي إلى التوبة والإنابة. وبعد: فإن العقوبات في الشريعة الإسلامية لها فائدتها القاطعة، ونتائجها الإيجابية في مكافحة الجريمة، وإن أي نظام وضعي ليعجز عن الوصول إلى بعض النتائج التي وصل نظام الشريعة الإسلامية الجنائي إليها.

والمتأمل في تشريع العقوبات يجد أن في علاج النفس الإنسانية تتجلى الحكمة والرحمة معاً، ويتضح هذا في أن لكل جرم عقوبة معينة، ولكل مخالفة عقوبة خاصة، دون أدنى زيادة أو نقصان، لأن التشريع الإسلامي قد سار في هذه الأمور كما سار في غيرها على أدق المقاييس وأعدلها.

ولو تتبعنا النظريات الحديثة والمذاهب المختلفة التي تناولت العقوبات، لوجدنا أنها لم تأت بجديد، فلقد أحاط الإسلام بجميع تفاصيلها، وتناول أبعادها المختلفة.

ويرجع الأصل في نجاح العقوبات أن الذي شرع الحدود، وحدد العقوبات، هو المولى سبحانه، الخبير بمسالك النفوس ودروبها، والعليم بما يصلحها وما يقومها، على أساس طبيعة الإنسان، ففي طبيعة كل فرد أن يخشى ويرجو، وهو لا يأتي بأي عمل إلا بقدر ما ينتظر من منافعه، ولا ينتهي من عمل إلا بقدر ما يخشى من عواقبه، فكلما اشتدت العقوبة ابتعد الناس عن الجريمة، وكلما خفّت العقوبة استهانوا بها، وازدادوا إقبالاً عليها. أما من يصفون حدود الحق سبحانه بالبدائية، وأنها إهدار للكرامة الإنسانية، يرون أن القوانين الوضعية فيها غناء عن هذه الحدود، لأنها تؤدي المطلوب منها مع حفظ المقومات الجسمية في شخص المعاقب بها، فإننا نقول لهم: إن الحدود فيها تطهير للوسط الإسلامي من أفراد ألفوا الشر، حتى عمق فيهم، وأن من يقام عليه الحد أو يعاقب لا يعد بعد ذلك من أرباب السوابق كما فعلت به القوانين الوضعية، وإذا تاب صاحب الجريمة قبلت توبته، ويصبح عضواً صالحاً في المجتمع، وقبله الحق سبحانه، عبداً صالحاً في الآخرة، فلا يتشرد، ولا يهمل، ولا يتكفف الناس، ولا يعود مرة أخرى إلى حياة الإجرام. إن التشريع الإسلامي هو التشريع الملائم للفطرة الإنسانية في جميع أحوالها، والمساير للزمن في جميع مراحله المختلفة، والمصلح لكل أمة، ومن هنا كان هو الأولى بالتطبيق من أي تشريع سواه.

ولقد صدق الحق سبحانه وتعالى، حيث يقول في محكم آياته: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣.

هذا... وبالله التوفيق، ومنه السداد. ■

المراجع:

١ ـ من فلسفة التشريع الإسلامي: فتحي رضوان.

٢ ـ التشريع الجنائي الإسلامي: عبدالقادرة عودة.

٣ ـ فلسفة التشريع الإسلامي: صبحي محمصاني.

٤ ـ الحكومة الإسلامية: أبو الأعلى المودودي.

٥ ـ نظرة إلى العقوبة في الإسلام: الشيخ محمد أبو زهرة.

٦ ـ فلسفة العقوبة: محمد مهدي علام.

٧ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي.

٨ ـ فلسفة العقوبات في الإسلام: دراسة من إعداد محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي، منشورة بجريدة «العالم الإسلامي» العدد ١٣٥٩، الصادر في ١٩٩٤/٦/٦م، والعدد ١٣٦١ الصادر في ١٩٩٤/٦/٢٠م.

الصهيونية التاريخية في تنظيماتها السرية

مجلس السنهدرين

بقلم : عبدالغفار نصر

إن جميع الذين يكتبون في الصهيونية يرون ولادتها من خلال مؤتمر بازل العام ١٨٩٧م وما قام به الصهيوني «تيودور هرتزل» من نشاط مكثف على جميع الصعد الإقليمية والدولية في ذلك التاريخ، ونحن لا نرى في ذلك عجباً ولا دهشة، إذ إنه ما من شيء في الصهيونية قابل لأن يفهم على حقيقته، أو على وجه يريح العقل ويحفظ له ألفته وانتظامه واطمئنانه إلا بالفطنة إلى هاتين الخصيصتين في النفس اليهودية وهما : الهمجية والخرافة، فبغيرهما لن نفهم شيئاً عن تاريخ الصهيونية وعقائدها وأخلاقها ومسالك أبنائها في تاريخهم القديم والحديث(١).

وقد أدرك الإسلام اليهود وألاعيبهم وخياناتهم وغدرهم وتحدث القرآن الكريم في آيات عدة عن هؤلاء المتلاعبين بمفهوم وعقيدة الوحدانية، لكن المسلمين هم الذين ـ وبسبب من تخلفهم وجهلهم ـ غاب عن ذهنهم ماهية سلوكهم وشذوذهم الجنسي والخلقي الذي لم يتغير ولم يتبدل منذ آلاف السنين، لأن الفكرة الصهيونية التي وُلدت من رحم هذه الألاعيب والمراوغات منذ قرون بقيت وجهاً من وجوه الفكر اليهودي المسيحي، فقد نشأت في الفكر اليهودي نتيجة اتحاد اليهودية بمملكة العبريين الغابرة في فلسطين، ونشأت في الفكر المسيحي منذ عهد «كرمويل» حين كان الاعتقاد بأن حكم المسيح على الأرض لألف سنة سيصحبه استعادة اليهود لفلسطين؟ وهذه كانت نتيجة ومحصلة تاريخية استطاعت الثورة «اللوثرية» أن تعممها في العالم المسيحي.

والصهيونية في نظر دعاتها ومحبيها هي قومية اليهود، بمعنى هي الوجه القومي في اليهودية، كما أن اليهودية هي الوجه الديني في الصهيونية، وإسرائيل تحقيق سياسي للاثنتين معاً (٣)، ويرى الدكتور جورجي كنعان أن الصهيونية لم تبدأ من مؤتمر بازل في سويسرا، ولا من جماعة محبي صهيون في روسيا، وليست فكرة حديثة، وإن لم تتكشف سماتها وتظهر للعالم إلا في غضون القرن التاسع عشر تحت اسم اليهودية العالمية إلى أن عرفت في أخرياتها باسمها الحالي، وإنما هي قديمة قدم هذه النصوص الدينية (٤).

ويؤكد بن غوريون يوم إعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين هذه المسألة التي يعتبرونها حقيقة تاريخية: فيقول : « ليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات » (٥).

هذه المقولة التوراتية استمدها بن غوريون من وعد الرب لإبراهيم «لنسلك أعطي هذه الأرض»، كما يدعي كاتب التوارة، وجميع قادة الصهيونية بعد أن دانت لهم الأمور، وقبضوا على حكومات الاستعمار الغربي باتوا يتحدثون في وعد الرب ويعتبرون حكومات الحلفاء المنتصرين أنهم سلبوهم حقهم بعد أن شكلوا إمارة شرق الأردن في أعقاب وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو.

ولا نتعمق في طرح المقولات المعقدة، فحقيقة الصهيونية اليهودية سطرها أنبياء اليهود بأنفسهم واعتمدوها في كتابهم المقدس «العهد القديم» وهو الذي يُتلافى أماكن عبادتهم وقد نسبوا هذا العهد إلى النبي موسى، وفي دراسة الماضي ومقارنته مع الحاضر، يتأكد لنا أن هناك تنظيماً سرياً ربط هذه المبادئ الهمجية الخرافية على طوال التاريخ فشكلت عقلاً «عصبوياً» حافظ على تماسكهم منذ سبي بابل، وما قام به حزقيال ابن بوزي الذي يعتبر منظم حال الجالية اليهودية في السبي، فقد أخذوا بآرائه ودعواته يساعده «عزرا» الذي رفعه اليهود إلى مستوى الربوبية، بل قالوا إن التوراة لو لم تتنزل على

موسى لنزلت عليه.(٦).

واستمر اليهود في هذا الادعاء حتى نزول الوحي على سيدنا محمد - [- وهنا ما أروع أن نستل حقيقة اليهود من القرآن الكريم: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) التوبة : ٣١ - ٣٢، وأنذرهم الله على لسان جبريل \ : (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) الأعراف : ١٦٧.

ألحّ «عزرا» على الدين اليهودي ورأى أهمية وضرورة التمسك به لأن الدين سيكون جامعهم، ولم يخرج شيوخ بني إسرائيل الذين انتظموا في تنظيمات سرية منذ السبي البابلي، وهي التي عُرفت بمجالس «السنهدرين»، والتهال، والقبالا، تعمد التوراة المكتوب المدون والشفوي المتناقل، وقد ورد والوصف متعالياً وربوبياً لـ«عزرا» وإنه الكاتب الماهر : «عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء» عزرا/٧:٥، ١٠.

كما خاطبهم هذا الكاتب مؤنباً وموبخاً دينه: «إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا لمرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة». عزرا/١٠: ١٠، ١١.

لقد كان لليهود أماكن عبادة خاصة تعرف باسم «مجمع» وجمعها «مجامع» أشار إليها السيد المسيح في أناجيله: فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يُمجدوا من الناس» متى ٦:٢، ثم يصف صلاتهم: «ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس» متى٦:٥.

لقد استطاع شيوخ وحاخامات بني إسرائيل أن يفرضوا طاعتهم بعد أن شكلوا مجالس تنظيمية للمحافظة على أبناء دينهم، وقد عُرفت هذه المجالس باسم «السنهدرين» أو «السنهدريم» ويعني «المقعد» أو المجلس، أو المجمع الأعلى، الذي كان قد ظهر أيام خلفاء «الإسكندر المقدوني» عند «البطالسة والسلوقيين، لكن اليهود من بني إسرائيل احتكروا هذه التسمية التي يعود أصلها إلى اليونانية حتى أصبحت وكأنها من أصل عبري.

هذا المجمع، أو مجلس السنهدرين هو الذي حاكم السيد المسيح المحاكمة المبسوطة في الإنجيل، على الرغم من أنه كان قد ألغي سنة ٥٧ق.م، عندما عمل الرومان على إزالة وتصفية آثاره (٧)، لكن هذا المجمع لم يختف نهائياً، بل تمكن بعد هذا التاريخ من أن يستمر بيكانه ووجوده استمراراً غير معلق، ومما لا شك فيه أن الشيوخ والحاخامات، أعضاء السنهدرين، كانوا وراء تشكل، أو تأليف التلمود الذي استمر العمل فيه قروناً عدة وخضع لاجتهادات الشيوخ وتعديلاتهم.

إن السبي الذي تعرض له بنو إسرائيل دفع أنبياءهم إلى التفكير والاجتهاد في التوصل إلى صيغ يحافظون من خلالها على بني جلدتهم ومذهبهم ويعود الفضل في هذا الاجتهاد إلى «عزرا ونحميا» اللذين وجدا أن الحاجة أصبحت ملحة إلى وجود تنظيم بعد عملية السبي التي قام بها نبوخذ نصر إلى بابل وتشتيتهم في بلاد الرافدين، في هذا الشتات شرع الإسرائيليون ينسجون الأقاويل والقصص والأساطير والخرافات والغرائب ويختلقون صوراً من الأشباح يحشونها في رؤوس أبنائهم تسعفهم وتسوّغ تشردهم وتشتتهم ولا شك سادت التوراة والتلمود مثل هذه الخرافات التي كونت دينهم ومعتقدهم وسوغت للباحثين وعلماء الانتروبولوجيا مسألة الشكوك في سماوية الموسوية.

في جميع الحالات أصبح مجلس «السنهدرين» المؤلف من شيوخ بني إسرائيل يقوم على أسس ودعائم ومبادئ دينهم، أو الموجد للدين تسري السياسة في أحشائه وعروقه، أما في التاريخ المعاصر - اليهود لا يتخلون عن صهيونيتهم العنصرية التمييزية، وبات هذا المجلس يقود السياسة ويوجهها، وأضحى آلة السياسة الخفية لجميع يهود العالم يضرب جذوره في أعماق التاريخ اليهودي بسريته وخفته وعلنيته، عندما تستوجب القضايا العلنية، فهو يحدد سلوك اليهود مع الشعب اليهودي والشعوب الأخرى ويرسم خططهم ومستقبلهم وكيفية التعامل وتبادل المنافع مع الأغيار، بل أصبح تعبير يهودي - بفعل سريتهم - يتوافق أساساً مع المعنى الذي فهم اليهود أنفسهم أنه يعبر عن هويتهم، كان هذا المعنى دينياً، ولكن العقلية الدينية كانت تحكم تفاصيل السلوك اليهودي اليومي في كل مناحي الحياة سواء كان ذلك بين اليهود أنفسهم، أو فيما يتعلق بعلاقاتهم مع غير اليهود(٨)، وهكذا وعلى الرغم من ذلك، استمرت الحقيقية السياسية والرابطة اليهودية في العالم مكتومة خفية جداً، حتى اليوم، كما أرى، لم يدركها الباحثون المتعمقون في المسألة الصهيونية، كل ما لديهم عن هذه السرية التي هي تتوازى في توصيفاتها ومسوغاتها قوله أن السنهدرين امتداد للقرون الماضية، ويوصف على أنه الهيئة اليهودية السرية لا يعلم أين مكانها وكيفية هيكليتها.

هنا أسمح لنفسي أن أقتبس عن «عجاج نويهض» فيما كتبه في بروتوكولات حكماء صهيون الجزء الرابع منه :

١ - الكُتّاب اليهود، يحاولون أن يجعلوا بداية وجود السنهدرين على الأقل بعد الرجوع من السبي، ومنهم من يعيّن البداية في خلال السبي، وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبي، نظام الهيئة عند اليهود - أي السنهدرين - ونظام الكنيس، وهذا يعزى أساسه .... إلى عزرا ونحميا»

٢ - يقول أكوهين صاحب كتاب «التلمود لكل مريد» إن بعد السبي ظهر الكتبة، ثم السنهدريون، وكوهين هذا يعرِّف السهندرين بقوله: «هو هيئة أخرى عهد إليها في رعاية شؤون اليهود في بلاد اليهودية، أي المنطقة المحيطة بالقدس، وقد تعاقب على رياسة هذا المجمع خمسة أزواج من الرؤساء».

٣ - «وكان يُقال لأحد الاثنين في الرياسة «ناسي» بمعنى «رئيس» ويُقال لندّه الآخر «اب بيت دين» أي رئيس المحكمة، والأول له حق التقدم والصدارة، ثم يقول كوهين في أمر السنهدرين: «لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول إن السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة العلمانيين».

٤ - «لقد انقسمت هذه الهيئة (المجمع) إلى أحزاب أهمها ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما: الصدوقيون والفريسيون، وهؤلاء الفريسيون مع العشارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم في الأناجيل».

٥ - «إن التوراة السماعية الشفوية، كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة، فهما من مخرج واحد»(٩).

لقد عمل الفريسيون على مقاومة السيد المسيح، فرفضوا خطابه، ولم يصدقوه وهو يحاجهم بالحسنى، ولم يؤمنوا بدعوته، فكان يتوعدهم ويصفهم بالمرائين: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون بالبحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ... » (١٠).

هذا الحضور الخطابي أوغر صدر اليهود فزاد حقدهم وكراهيتهم، وبدؤوا يفكرون في التخلص منه إلى أن اجتمع مجلس السنهدرين وقرر نهايته المحتومة، فطلب المجلس من الحاكم الروماني محاكمته بعد أن اتهموه ونسبوا إليه ادعاء الكذب، وأنه يجدّف على الله وهي تهمة يحاكمه القانون الروماني عليها بالموت.

كذلك لم يرد ذكر التلمود في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف، واليهود يعتبرون التلمود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية، وهم لايبيحون بأسراره وخفاياه، ربما لم يكن شيئاً مذكوراً في عهد النبي الكريم - [- فبقي سراً، إنما كان هناك أقاصيص وأساطير، وما كانوا يجمعونه ويشرحونه كان من الممكن الإباحة به، لكن استمرت الرغبة في إخفاء ما تعلموه عن العالم الخارجي، وعندما نهضت البروتستانتية بزعامة أو قيادة، أو من خلال عقيدة «مارتن لوثر» في مطلع القرن السابع عشر، ساعدت على إظهار وفضح الكثير من أسرار وخفايا التلمود الذي يتضمن تعاليم تخالف كل الأديان السماوية، وتميز اليهود بقوة عن المعتقدات الأخرى، فاستمرت نصوصه خاضعة لتعاليم الحاخامات وشيوخ اليهود الذين يضيفون ويعدلون على النصوص، لذلك يعتبر التلمود دوماً الأحدث بين جميع الشرائع اليهودية.

ومن هنا نستطيع أن نستنتج وجود هوّة واسعة بل تتسع بين اليهودية والديانات السماوية الأخرى، فالتلمود يقيم حاجزاً أيديولوجياً يمنع التواصل والحوار، ويقوم بعملية انغلاق، وهو بالنتيجة رسّخ قدم مقولة «شعب الله المختار» التي تتأفف منها الديانات الأخرى.

والتلمود يحتاج إلى بحث مستقل وتفصيلات في مفهوماته التي مصدرها شرائع شيوخ السنهدرين، وهنا يرى «دوغلاس ريد» في «جدل حول صهيون» أن أول مجلس تشكل كان في مدينة «يبنّه»(١١)، أو «يمنا» الذي يعتبر المصدر التشريعي والتنفيذي والقضائي للسلطة، ويورد ما كتبه المؤرخ اليهودي «أوغسطين»، فقد كتب هذا: «أن مجموعة من المعلمين والعلماء والمرابين توجهوا إلى «يبنّه» أو «يمنا» ووضعوا على عاتقهم مصير جميع اليهود وتحملوا المسؤولية في القرون اللاحقة... وقد أقاموا في يبنّه، أو يمنا هيئة قيادية مركزية لجميع اليهود، وكقاعدة عامة، لـ«الأمة» التي تحطمت بقسوة مثل اليهودية كان يجب أن تموت»(١٢)

ولم تكن مدينة «يبنّه» أو يمنا مركزاً ثابتاً للسنهدرين، فذلك يرتبط بالظروف التي تحيط باليهود وباليهود أنفسهم، فعلى امتداد قرن فقط انتقل بعدها مركزهم إلى مدينة «عوشا» في الجليل، حيث شكل الشيوخ مجلس سنهدرين جديد لمجابهة قرارات الأمبراطور الروماني «قسطنطين» سنة ٣٢٠م، عندما أعلن الديانة المسيحية ديانة رسمية في البلاد جميعها، في الوقت نفسه، أصدر قانوناً وسلسلة من التشريعات، حرّم بموجبها الزواج بين المسيحيين واليهود، وحرّم على اليهود امتلاك عبد مسيحي، وكان هذا رداً طبيعياً على التمييز العنصري، واستعباد الشعوب الذي فرضته الحكومة التلمودية في عوشا .(١٣)

هذه الأوضاع الجديد في أعقاب تشريعات قسطنطين سنة ٣٢٠م فرضت على اليهود الانتقال إلى بابل وعاش اليهود فيها قرابة ٨٠٠ عام، أما مركز حكومتهم التلمودية، فاستقر في مدينة «سورة»(١٤) كما أصبح لديهم أكاديمية عُرفت باسم «فاومبدينت»، وهو الاسم الذي أطلقه يهود السبي البابلي على مدينة الأنبار العراقية على ضفة نهر الفرات اليسرى، وفي هاتين المدينتين انتهى التلموديون من كتابة تلمودهم الذي استمر حكمه في هذه المدن مدة ستمئة عام، وهو الزمن الذي عاشه يهود سبي بابل وقد تعوّدوا فيه على حياة الانغلاق والانعزال وما عُرف بحياة الجيتو.

لم يحصل الانغلاق الحياتي لدى الديانات الأخرى لأنها لم تأمر

بذلك ولم تميز شعوبها عن الشعوب الأخرى، كما ورد في العهد القديم وادعاء شعب الله المختار، إن كاتب التوراة هو المسؤول إلى حد كبير عن هذه العزلة والانغلاق وعدم الاندماج مع الأغيار، فقد وضع شيوخ الديانة اليهودية تعاليم وشعائر الحياة الجيتو المعقدة التي تغلغلت إلى أبسط أمور الحياة، وعلى الرغم من هذا الانغلاق ومحدودية الكم لم يحافظ بنو إسرائيل على جوهر العقيدة الموسوية، فمدينة بابل تعتبر مركزاً أكاديمياً يصدّر الأوامر والتشريعات الدينية الملزمة لجميع اليهود، وفي مدينة سورة سمى اليهود أنفسهم بالمخيمين أو المعسكرين، وبدؤوا فرض سلطة كاملة على يهود الشتات في جميع أنحاء العالم، واعتقد أن ما يُراد بالشتات هو النفي بين أورشليم وبلاد الرافدين، لذلك كانت التلمودية في صيغها الأخيرة تحدد مسار شعبها في جميع المستويات الدينية والدنيوية طيلة قرون في منطقة الشرق قبل أن تدخل اليهودية إلى القارة الأوروبية.

لكن حياة الانغلاق وسلطة السنهدرين كانت تتعرض أحياناً للخسوف والهجوم الحاد من قبل جماعات يهودية آمنت بالاندماج والتعايش مع الجوار والخروج من الانغلاق والعزلة، وهو ما عرف بحركة «التنويريين» العقلانيين، الذين هاجموا فكرة «الماشيح» المنتظر، وأسطورة العودة إلى فلسطين وشرعوا يكافحون من أجل الاندماج اللغوي وأهمية تقبل الواقع التاريخي في رفض الغيبيات والخرافات والأساطير، حتى هرتزل نفسه كان اندماجياً وعمل في الصحافة بعقل أوروبي.

وفي التاريخ الحديث تصادفنا مقولة ظهور السنهدرين لأول مرة زمن الثورة الفرنسية في عهد «نابليون بونابرت» الذي أعلن سنة ١٨٠٦م عن تجميد الأحكام التي كانت قد صدرت لصالح اليهود، وفي العام ١٨٠٧م دعا مجلساً من زعماء وشيوخ وشخصيات يهودية مرموقة سماه «السنهدرين» لمناقشة المسألة اليهودية ووضع اليهود بشكل جذري(١٥)، فهذا لايعني عدم وجود مثل هذا المجلس تاريخياً، إنما أصبح لمجلس السنهدرين منذ قيام الثورة الفرنسية صفة عالمية وسلطة على جميع الحركة اليهودية في العالم كله، هم حكماء صهيون ودستورهم هو البروتوكولات(١٦).

فلا يعقل أن اليهود عاشوا كل تلك القرون بلا ناظم أو منظم، فاجتماع الشيوخ كان قائماً، وقد تشكلت لجان تطورت في العهد الروماني، فمنذ نحو ٢٠٠م وحتى أوائل القرن الخامس، كان الوضع القانوني لليهود في الأمبراطورية الرومانية كما يلي : بطريرك يهودي وراثي مقيم في طبريا في فلسطين معترف به كصاحب مقام رفيع في التراتب الرسمي هو الرئيس الأعلى لكل اليهود في الأمبراطورية، وكموظف رسمي روماني كان البطريرك رفيع المقام ومن الطبقة الرسمية نفسها التي تضم القناصل وكبار القادة العسكريين، وكبار الوزراء المحيطين بالعرش ولا يعلوه رتبة سوى العائلة الأمبراطورية.(١٧)

فالقبول بمقولة تشكل مجلس السنهدرين لأول مرة في عهد نابليون يتبعد كثيراً عن الحقيقة، ويقدم رؤية تناقض الواقع التاريخي لليهود، حيث تؤكد جميع المصادر أن تنظيماً ما كان يسيّر الطائفة اليهودية في كل بلاد العالم، وإلا كيف حافظوا على وجودهم حسب أو أمر الرب التي وردت في التوراة كما يزعمون؟ وهي أسباب تاريخية لنشوء الحياة الجيتوية، يقول كاتب التوراة: «والآن فلا تعطوا بناتكم لنبيهم ولا تأخذوا بناتهم لنبيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكي تنشدوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا نبيكم إياها إلى الأبد» عزرا ١٢:٩، هذا المعتقد هو الذي رافق التاريخ اليهودي ومنه أسباب فشل الحركات الاندماجية التي رافقت عصر التنوير في جميع مراحل تاريخهم من بابل إلى اسبانيا زمن الحكم العربي الإسلامي أو مملكة الخزر قبل أن يدمرها الروس. ■

الهوامش:

١ ـ بولص حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، ص ٤٣.

٢ ـ د. إلن تايلور: تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، ص ١٠.

٣ ـ د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية ص ٢٣.

٤ ـ د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية، المصدر نفسه ص ٢٢.

٥ ـ د. جورجي كنعان: العنصرية اليهودية، المصدر نفسه ص ٢٢.

٦ ـ عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون، ج٢، ص٦٧.

٧ ـ عجاج نويهض: المصدر نفسه ج٤ ص ١٤٠.

٨ ـ إسرائيل شاحاك: التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، ترجمة صالح علي سوداح، ص٢٧.

٩ ـ عجاج نويهض: المصدر نفسه راجع ج٤ الصفحات: ١٤٠: ١٤٢.

١٠ ـ راجع إنجيل متى: الإصحاح ٢٣، الآيات: ١٣ ـ ٢٣.

١١ ـ مدينة : يبنّة أو يمنا: وردت في سفر يشوع بن نون كانت مقراً لمدرسة شهيرة ولمجلس السنهدرين وهي يبنة الحالية الواقعة على بعد ١٨كم جنوب يافا وعلى بعد ٦كم شرق شاطئ البحر الأبيض المتوسط على طريق غزة، وفيها قبر «غمالائيل» رئيس السنهدرين في القرن الأول للميلاد.

١٢ ـ دوغلاس ريد: جدل حول صهيون، ترجمة غياث كنعو، ص ٧٣.

١٣ ـ مدينة عوشا: تقع في الجليل في المكان الذي تمَّ فيه من جديد تشكيل مجلس السنهدرين.

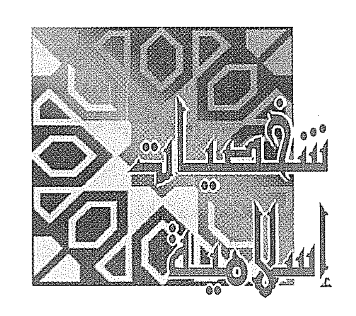
١٤ ـ سورة: مدينة بابلية قديمة قرب مدينة الحلة على نهر الفرات بين بغداد والكوفة، وعند ياقوت الحموي هي موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، معجم البلدان باب: سود، ج٣.

ـ فاومبدينت: كلمة مأخوذة عن الآرامية وهي تعني النشأة الأولى، أطلقها اليهود على مدينة الأنبار.

١٥ ـ د. عبدالوهاب المسيري: الأيديولوجيا الصهيونية، ج١ ص٦٥.

١٦ ـ عجاج نويهض: المصدر نفسه، ج٤ ص ١٤٨.

١٧ ـ إسرائيل شاحاك: المصدر نفسه، ص ٨٧.



بعد مرور ٥٢ عاماً على وفاته

الإمام المراغي

قمة الإيمان يغلب السلطان

مكتب القاهرة

رغم مرور ٥٢ عاماً على رحيله إلا أن الإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر رقم ٢٩ والذي تولى المشيخة في ظل ظروف عصيبة مرتين لا يزال يعيش بين تلاميذه ومحبيه وذلك من خلال أعماله ومواقفه من أجل تطوير الأزهر، ورفعة الإسلام وبخاصة أنه توفي في مثل هذه الأيام العام ١٩٤٥م، وهو لم يتجاوز الخمسين عاماً.

وقد احتفلت الجمعية الخيرية الإسلامية في ذكرى وفاة الشيخ المراغي في احتفال كبير تحدث فيه الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ونجل الإمام الراحل أحمد مدحت المراغي رئيس محكمة النقض وعضو مجلس القضاء الأعلى المصري والدكتورة نعمات أحمد فؤاد المفكرة والكاتبة، والكتّاب أنور الجندي، ولمعي المطيعي، ومحمد نايل عميد كلية اللغة العربية الأسبق.

تخرج الشيخ المراغي في الأزهر العام ١٩٠٤م، وهو دون الرابعة والعشرين من عمره، واختاره أستاذه الشيخ محمد عبده ليعمل قاضياً في سنة التخرج نفسها في دنقلة بالسودان، واستمر في وظيفته حتى العام ١٩٠٧م، حيث قدم استقالته من العمل بسبب خلافه المستمر مع الحاكم العسكري الإنكليزي للسودان، وعاد لمصر العام ١٩٠٨م، وتدرج في مناصب القضاء حتى تولى رئاسة المحكمة الشرعية العليا، ثم تم تعيينه شيخاً للأزهر للمرة الأولى العام ١٩٢٩م وكان عمره ٤٧ عاماً.

وفي العام ١٩٣٥م عاد مرة أخرى للمشيخة لمدة عشر سنوات حتى توفي في ١٤ من رمضان الموافق ٢٢ أغسطس العام ١٩٤٥م.

يقول الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر إنه بالرغم من أن حياة الشيخ المراغي قصيرة، إلا أنها كانت طويلة وكبيرة بالنسبة للأعمال التي قام بها في خدمة الأزهر من إصدار قوانين وتطوير للمناهج وإنشاء كليات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة والقانون.

ويضاف إلى ذلك نبوغه العلمي الذي لم تشغله الوظائف التي وصل إليها من التحصيل والاستزادة من العلم، ويكفيه أنه كان الأول على دفعته العام ١٩٠٤م، وقد كان رئيس تحرير الإنتاج العلمي وقد استفدت شخصياً في تفسيري للقرآن بما ألفه من تفسير لسورة الحجرات وهي إحدى إنتاجه العلمي.

ويشير شيخ الأزهر إلى أن المراغي لم يكن فلتة في عائلة، بل أحد أعضاء عائلة كلها علماء أثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم، والتحقيق لكتب التراث.

أما عن الجانب القضائي في حياة المراغي، فقد تحدث فيها نجله المستشار أحمد مدحت المراغي رئيس مجلس القضاء الأعلى المصري الحالي ورئيس محكمة النقض فقال: كان إصلاح القضاء هو الاهتمام الأول للمراغي لتحقيق العدل والإصلاح بين الناس وكان يتبع أسلوباً جديداً مع المتقاضيين حيث كان يحاول أن يوفق بينهما دون اللجوء للتقاضي، وهو الذي تولى منصة القضاء قبل بلوغه الثلاثين عاماً.

وكشفت التجربة عن نجاح المراغي في إنزال النصوص الشرعية على الواقع وهو ما لفت إليه نظر أستاذه محمد عبده الذي أرسله مبعوثاً للسودان لتولي القضاء هناك.

وقد عرضت عليه حكومة السودان آنذاك أن يتولى منصب قاضي قضاة السودان، فرفض إلا بشروطه التي تمثلت في أن يكون تعيينه بقرار من حاكم مصر، وليس من الحاكم الإنكليزي، لمعرفته أن القاضي يستمد أحكامه وقراراته من القرآن والسنة، ولا سلطان لأحد عليه سوى الله وضميره، وحتى يستطيع أن يؤدي رسالته في العدالة بين الناس، وليس تحت سيف الاحتلال.

ويضيف المستشار المراغي أن والده كان له الكثير من المآثر أثناء توليه القضاء في السودان، حيث كان يرى أن إصلاح القانون «إصلاح لنصف القضاء» أو منها أنه شكل لجنة لإعداد قانون للأحوال الشخصية في مصر وكان ذلك للمرة الأولى ولا يزال هذا القانون هو الركيزة الأساسية للأحوال الشخصية حتى اليوم، ومن أهم ما جاء به تحديد موقف المفقود بمضي سنة يمكن لزوجته أن تطلب الطلاق، وحقوق من الورثة الأيتام.

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد: إن الشيخ المراغي جمع بين علوم الدين والعلوم الكونية ومنها الأدب، فقد كتب الشعر والنثر واهتم بالعلوم الحديثة، ودعا الطلاب إلى دراسة اللغات الأجنبية ليكونوا أكثر قدرة على نشر الثقافة العربية وتوصيل الإسلام لغير العرب، ونادى بدراسة الأديان دراسة مقارنة بالأزهر تتجلى فيها الصورة المشرقة للإسلام وأكد أن التقدم العلمي والفلسفي ليسا بقادرين على منع الحروب وأسبابها فقد شهدت الأيام أن الحروب تزداد وحشية وقسوة بتقدم العلم، وأن الأديان وحدها القادرة على وقف هذه الحروب.

وتضيف د.نعمات فؤاد: بأن المراغي أصلح الأوقاف، وجدد خطب المنابر وأساليب الوعظ ووقف في وجه حملات التبشير التي اجتازت الشرق، وأدخل العلوم الحديثة إلى الأزهر ودعا لترجمة القرآن، وسعى لوحدة إسلامية نحن في أشد الحاجة إليها الآن.

وفي هذا يقول المراغي: «إن لدى الأمة الإسلامية ماض يبرز أسباب العز والشرف في كل ميادين الحياة، سواء في العلوم أو الفنون أو التشريع، لكن البعض يريد أن يقطع الصلة بين الماضي والحاضر لصالح التغريب».

وتسرد د. نعمات فؤاد عدداً من مواقف المراغي التاريخية عندما أعلن في الحرب العالمية الثانية: «أن مصر لا ناقة لها ولا جمل في الحرب»، وأن المعسكرين المتحاربين لا يمتان لمصر بصلة، فلماذا تُدك الإسكندرية بالقنابل، وهنا فزع الملك والحكومة، فاتصل رئيس الوزراء حسين سري باشا بالإمام قبل الفجر طالباً منه أن يحيطه علماً بأي شيء يريد أن يقوله بعد ذلك، فرد عليه قائلاً من أنت لكي أفعل ذلك، إنني أستطيع إقالتك بخطبة واحدة من على منبر الأزهر.

موقف آخر تذكره الدكتورة نعمات فؤاد، عندما أراد أصحاب الوقف أن يعطوه عشرة آلاف جنيه مصري مقابل أن يتنازل عن حق الشعب فيه، رفض فأطلقوا عليه النار، وحرقوا رقبته، لكنه تحمل وذهب للمحكمة لكي ينطق بالحكم في إحدى القضايا، ثم ذهب بعد ذلك ـ رغم آلام الإصابة إلى المستشفى.

موقف آخر عندما توفي المحامي الذي كان يترافع له في قضية تعويض تقدر بآلاف الجنيهات، وبعد أن أُعلن الحكم تنازل عن التعويض لأسرة المحامي كاملاً.

ومن المواقف التاريخية للإمام رفضه طلب «الملك فاروق» بإصدار فتوى تحرم زواج الأميرة «فريدة» بعد طلاقها منه فرفع رأسه قائلاً: أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه.

كما تزعم المراغي حملة تبرع في مصر لصالح المجاهدين في السودان ضد الاحتلال الإنكليزي، وبلغت حصيلته ستة آلاف جنيه مصري آنذاك تساوي اليوم نحو ٦ ملايين جنيه، وأمر بتوزيعها على الجمعيات الخيرية القبطية والإسلامية.

وعندما سأله المندوب السامي البريطاني «لورين» عن النتيجة إذا أجريت الانتخابات الجديدة من يفوز الوفد أم الأحرار «الدستوريين»، وكانا الحزبان المتنافسان آنذاك، فقال: سينالها الوفد، فعجب لورين من رده وقال: أنا أعرف أنك أعز أصدقاء محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار، فلماذا لم تعطه شهادتك، فقال: إن شيخ الإسلام لا يكذب، الصداقة شيء والحق شيء آخر، وبعد سقوط محمد محمود قال أصدقاؤه: إن شهادة المراغي أسقطتك لكنه ـ المراغي ـ كان يقول إنها شهادة حق.

وعندما اشتد عليه المرض، وكانت أيام امتحانات الأزهر كان يصرّ على الذهاب يومياً، لمكتبه حيث كانت تطبع أوراق الامتحانات ويبرر ذلك بقوله: إنني أتقبل تعرض صحتي للخطر وهو أمر أهون عليّ من أن تتعرض سمعة الأزهر للخطر.

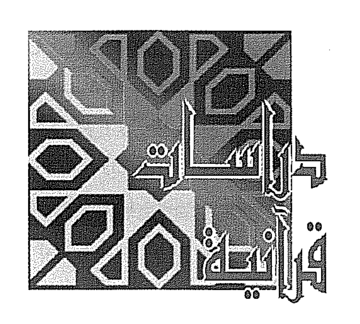
ويذكر لمعي المطيعي أحد المتابعين لسيرة وتاريخ الإمام المراغي حوادث عدة تمت بينه وبين ملكي مصر «فؤاد الأول» و«فاروق» فيقول: إنه لم يكن على علاقة طيبة بالملك فؤاد، والذي تطلع لأن يكون خليفة للمسلمين بعد انهيار الخلافة في تركيا العام ١٩٢٤م، وشجعه الإنكليز على ذلك، لكن قطاعاً كبيراً من الشعب كان لا يرضى عن سلوكيات فؤاد، وهنا أعلن الإمام رفضه لهذا التعيين بطريقته، حيث قال: «إن الخلافة واجبة شرعاً، ولم يتحدث عن من يتولى هذه المكانة».

ويقول أنور الجندي: إن نصرة الإسلام وتطوير الأزهر كانت على رأس أوليات المراغي، والتي كانت تقوم على إظهار العلوم التي خلفها العلماء المسلمون، وعرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً غير مشوهاً وحذف المتكلف منه، والعمل على إزالة الفوارق المذهبية والخلاف بين أصحاب المذاهب، فالأمة ـ كما يرى المراغي ـ تحتاج لمعرفة الدين بعيداً عن المذهبية والتعصب والتي ترتكز على مواقف سياسية تعدتها الأزمنة، ومزقت الأمة في وقت يتجه فيه العالم نحو التكتل.

كما كان يرى الإمام المراغي ضرورة العمل على تحرير مناهج الأزهر من التقليد والتلقين في التدريس، والأخذ بالأساليب الحديثة، والتوسع في الاجتهاد.

ويذكر الدكتور محمد نايل ـ عميد كلية اللغة العربية الأسبق ورفيق الإمام الراحل: أن المراغي كان ثورة لا يهاب أحداً في سبيل الحق، ويقول: إنه بدأ معرفته بالمراغي بعد استقالته من المشيخة عندما قدّم قانوناً لإصلاح وضع الأزهر للملك فؤاد، والذي كان يشرف على شؤون الأزهر آنذاك، فأوعز البعض للملك بأن المراغي يريد استقلال الأزهر عن القصر، فرفض القانون، وأعاده إلى المراغي، فوضع المراغي القانون في ظرف واستقالته من مشيخة الأزهر في ظرف آخر، وطلب من الملك فؤاد الاختيار... فقبل فؤاد الاستقالة، وخرج المراغي من الأزهر.

ولكننا نحن طلاب الأزهر قمنا بموقف موحد وأضربنا عن الدراسة في كل الكليات، وكان هتافنا بالاشتراك مع العلماء «المراغي أو المنازل والقرى» واستمر الإضراب ١٤ شهراً، والأزهر بمعاهده مغلق حتى تقرر عودة المراغي، وذكر لي المرحوم المفكر خالد محمد خالد أنه شاهد الملك فؤاد وهو يبكي على تراجعه وعودة المراغي للمشيخة رغم أنفه. ■



الخطاب القرآني بين التفسير والتأويل

بقلم : أحمد بزوي الضاوي

- التفسير والتأويل لغة

للغويين في معنى التفسير أقوال طريفة ومتعددة وكلها تلتقي في معنى الإيضاح والبيان والكشف، فقد ذكر الليث عن الخليل بن أحمد أنه قال: مأخذ التفسير من الفَسْر وهو البيان، وقال والتفسرة اسم البول الذي تنظر فيه الأطباء وتستدل به على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء «فهو تفسرته»(١).

وقد وردت لفظة «التفسير» في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قوله تعالى: «ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً»(٢)، وقال ابن عباس في معنى الآية: أي تفصيلاً.(٣)

ومن معاجم اللغة يتبين لنا أن التفسير يستعمل لغة في الكشف الحي - ولعل قول الخليل السالف الذكر يقوم دليلاً على ذلك - وقلما يستعمل في المعاني المعقولة.

وأما التأويل في اللغة فهو من آل يؤول إلى كذا، أي يرجع إليه، ويقول الرازي في مختار الصحاح: «التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أوله تأويلاً وتأوله بمعنى، «آل الرجل أتباعه وعياله، وآله أيضاً أتباعه»(٤).

وقد وردت كلمة «التأويل» في سبعة عشر موضوعاً من القرآن الكريم، وكلها تحوم حول هذه المعاني:

- تأويل الأحاديث: «وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث»(٥).

- تفسير الأحلام: «وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين»(٦)

- تأويل الأعمال وبيان ما يقصد منها: «سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً»(٧).

- ما يتعلق بالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله: «وما يعلم تأويله إلا الله»(٨).

ويرى جلة من العلماء أن التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيهما اللغوية(٩)، ومما يؤكد ذلك ما ذهب إليه الدكتور الجليند من أن التأويل بمعنى «نقل ظاهر اللفظ إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، أي صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ»، لم يرد في المعاجم التي ألفت قبل القرن الرابع الهجري، ويخلص من ذلك إلى القول إن «كلمة التأويل كانت تستعمل على ألسنة اللغويين من رواة ومحدثين حتى بداية القرن الخامس الهجري في معنى: المرجع والمصير، والعود، حيث لم يرد إلينا في المعاجم التي وضعت في هذه الفترة وهي المصدر الوحيد لكل المعاجم التي وضعت بعد ذلك مما يخالف ذلك.(١٠).

وليس معنى هذا أن التفسير هو عين التأويل لغة، فقد أثبتت الدراسات اللغوية أن الترادف لا يعني التماثل والتوافق التام في المعنى، بل هناك تشابه في المعنى العام مع وجود فروق دقيقة لابد من التنبه إليها، ومن ثم يمكن القول إن التفسير يرتبط بتفسير الأمور الحسية في الغالب، أما التأويل فيستعمل - غالباً - في الأمور التي تحتاج إلى أعمال الفكر والنظر.

وقد نبه الراغب الأصفهاني إلى ذلك حيث قال: «والتفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل.

التفسير والتأويل اصطلاحاً

بسط العلماء القول في تعريف التفسير اصطلاحاً، ولعل أجمع أقوالهم ما أثبته الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»(١١).



ويستعان في التفسير ببعض العلوم المساعدة كعلم الفقه، والقراءات والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والفقه وأصول الفقه، مع الإلمام بأصول الدين وقواعده، ويؤكد هذا المعنى قول الزركشي عند تعريفه لمصطلح التفسير فهو «علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومفسرها، وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها

ونهيها، وعبرها وأمثالها.(١٢)

أما مصطلح التأويل، فمصطلح مشكل، ذلك أن استعمالاته تختلف من قرن لآخر، ومن قوم إلى آخرين، ومن ثم تعددت وتنوعت تعريفاته، فمنها ما يفتقر إلى الدقة العلمية، ومنها ما يتسم بالتدقيق والتحديد التام الذي يصبح معه دلالة المصطلح واضحة جلية.

والتأويل كما يوضح ابن تيمية ينبغي في تحديد دلالته الاصطلاحية التفريق بين جيلين:

- السلف الصالح.

- متأخرو المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم.



فعند الأوائل نجد له معنيين:

- تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أكان موافقاً لظاهره أم مخالفاً له، ومن ثم كون التأويل والتفسير شيئاً واحداً، أي مترادفين.

وهذا هو المعنى نفسه الذي استعمله محمد بن جرير الطبري، حيث يقول عند تفسير لآي الذكر الحكيم: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك، وكله محمول - كما أسلفنا - على التفسير والبيان.

- هو المراد بالكلام نفسه، فإذا كان الكلام عن طلوع الشمس فالتأويل هو طلوعها نفسها، أي هو الحقيقة نفسها الموجودة في الواقع الخارجي، وهذا في نظر ابن تيمية - رحمه الله - هو لغة القرآن التي نزل بها.

أما عند متأخري المتفقة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة

فالتأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به(١٣)، وهذا التأويل هو الذي نجد المتكلمين قد استعملوه في معظم كتبهم، وتجلى ذلك في موقفهم من آيات الصفات، ومن ثم يتضح لنا أن القول بالباطن هو الأساس الذي جعلهم يقصرون دلالة التأويل على هذا المعنى.

واستغلت الباطنية المعنى الأخير للتأويل - بعد أن استندوا إلى حديث ينسب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - للقرآن ظهر وبطن» أو «للقرآن باطن» - فراحوا يفسرون القرآن الكريم وفق هواهم وتبعاً لأذواقهم ومواجيدهم الباطلة شرعاً، وقد رد ابن تيمية - رحمه الله - هذا الحديث فقال: «أما الحديث المذكور فمن الأحاديث المختلقة التي لم يروها أحد من أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث»(١٤).

والتأويل بهذا المعنى ينقسم إلى قسمين



أحدهما يوافق العلم الظاهر، وهو إما صحيح مقبول أو باطل مردود أو ملتبس فيتوقف عنه.

أما إذا كان التأويل مخالفاً للعلم الظاهر فهو باطل شرعاً، والقائل به إما ملحد زنديق أو جاهل ضال.(١٥)

والمتأول بالمعنى الأخير مطالب بأمرين:

١ - أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد منه.

٢ - أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح.

ومن دون ذكر ذلك يكون التأويل فاسداً وضرباً من التلاعب بالنصوص وحملها على الهوى وصرفها عن معناها الحقيقي المستفاد من ظاهرها، وتعطيل لشرائع الله، وكل ذلك ملاحظ في تفاسير الفرق الضالة من معتزلة وغيرهم من غلاة الصوفية والفلاسفة.

وقد دأب العلماء على التفريق بين التفسير والتأويل، ولهم في ذلك أقوال متعددة فمنهم من قال: «التفسير هو تحقيق المعنى وذلك لا يكون إلا من قبل الله تعالى، والتأويل هو على احتمال اللغات، فلكل واحد من أهل اللغة أن يتأول بلغته.(١٧)

«ومنهم من قال التفسير هو ذكر القصص وما أنزل فيه، والتأويل هو ما يحتمله معنى الكلام»(١٨)

ويشير الزركشي إلى السبب العلمي والمنهجي في التفريق بين التفسير والتأويل وجعل كل منهما ذا دلالة محددة وواضحة ومتميزة ومخالفة لدلالة الآخرة، وذلك حيث يقول: «والحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم، وتبيين المجمل، ومنه ما لا يتوقف ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر، وكأن السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل، التميز بين المنقول والمستنبط يحمل على الاعتماد في المنقول، وعلى النظر في المستنبط تجويزاً له وازدياداً، وهذا من الفروع في الدين.(١٩)

ويفهم من هذا الكلام ومن الذي قبله أن التفسير يتعلق بالرواية، وأما التأويل فمرتبط بالدراية وإعمال النظر، ولكل منهما شروط صحة وقبول.

وخلاصة القول، إنه يتعين علينا التفريق بين جيلين من المفسرين، فالأول منهما كان يستعمل اللفظين بمعنى واحد، وعلى أساس أنهما مترادفان، أما الجيل الثاني منهما، فقد فرق بينهما، فعين التفسير للمنقول،

والتأويل للمعقول، ولهذا دلالة واضحة على طبيعة التفسير ذاته، ذلك أن السلف الصالح، كانوا يعتمدون في تفسيرهم النقل والعقل معاً دون التفريق بينهما، وكان شعارهم في ذلك أن صريح المعقول يوافق صحيح المنقول، وهذا الاتجاه واضح في تفسير الإمام الطبري، والإمام ابن تيمية وابن كثير وغيرهم من مفسري أهل السنة.

أما الخلف فقد أصبحت تفاسيرهم للذكر الحكيم - في الأعم والأغلب - تشكل ثنائية ضدية حادة، فهناك تفاسير بنيتها الأساسية النقل، وأخرى تعتمد أساساً العقل، فكان تفريقهم بين اصطلاحي التفسير والتأويل تقريراً لواقع التفسير وطبيعته في عصرهم.

يستعان في التفسير ببعض العلوم المساعدة كعلم الفقه والقراءات والناسخ والمنسوخ

وعلماء التفسير غالباً يقسمونه إلى منهجين أساسيين هما:

١ - التفسير بالمأثور.

٢ - التفسير بالمعقول أو الرأي.

يرجعون إليهما كل ضروب وأنواع التفاسير التي ألّفها العلماء إلا أن هذا التقسيم يتسم بالخطورة والخلط، فخطورته تتجلى في إسهاماته في إحداث انشطار شخصية وعقلية الإنسان المسلم إلى ثنائية ضدية حادة وصارمة: العقل والنقل. وكأن الأمرين لا يمكن الجمع بينهما. في حين يثبت واقع ديننا الإسلامي الحنيف أن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح، وهذا المبدأ المنهجي العظيم يخلصنا من الوقوع في مطب الانشطار الذي جنى على أمتنا وما زال، ويمكننا من تجاوز ثنائية العقل والنقل إلى حلول وإمكانات أخرى متاحة.

أما الخلط فيتبين لنا في تجاهل أنواع التفسير الأخرى، والتي لها مميزاتها وصفاتها التي تجعلها متميزة عن التفسير المأثور أو المعقول، كالتفسير الإشاري أو الصوفي، والتفسير الموضوعي، والتفسير الأدبي - الاجتماعي، والتفسير العلمي وغيرها من أنواع التفسير الكثيرة التي يعبر تجاهلها عن خلط في تصور طبيعة المناهج التفسيرية.

ونشير هنا إلى أن معظم تفاسير القرآن الكريم لا يمكن تصنيفها ضمن اتجاه أو منهج معين إلا بالتغليب والترجيح، ذلك أننا نجدها تستفيد من كل المناهج والمعارف والعلوم المتاحة، مما يجعلها تسمو وترتفع فوق التصنيف المقرر لتعبر عن شمولية الدين الإسلامي الحنيف، ولتبرهن عن تآزر النقل والعقل من أجل إبراز الحقيقة وتجليتها.

وقد تنبه أهل السنة عند كتابتهم عن مناهج واتجاهات التفسير إلى أن اتجاهات التفسير ثلاثة وهي:

١ - التفسير النقلي.

٢ - التفسير العقلي.

٣ - التفسير الصوفي.

وهذا يتماشى وينطبق مع مبدئهم الأساسي، ألا وهو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، فتجاوزوا بذلك الوقوع في مطب ثنائية الرواية والدراية، أو العقل والنقل.

والمناهج التفسيرية - حسب ما يتضح لنا من استعراض المراحل التاريخية للتفسير - تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من أدوات علمية مساعدة، وهي التي يسميها العلماء بعلوم الآلة، كما أنها تختلف باختلاف مصادر التفسير، وباختلاف الاتجاه الفكري والسياسي واختلاف الواقع المعيشي لمفسر الذكر الحكيم وهذا هو ما سنحاول الكشف عنه عند تحليلنا لأهم تفاسير الذكر الحكيم الحديثة. ■

الهوامش:

١ - مقدمتان في علوم القرآن: (مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية، ص ١٧٣، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مكتبة الخانجي.

٢ - سورة الفرقان: آية ٣٣.

٣ - البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ج٢، ص١٤٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤ - مختار الصحيح: للإمام أبي بكر الرازي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٣٣، مادة (أول).

٥ - سورة يوسف: ٢١.

٦ - سورة يوسف: ٤٤.

٧ - سورة الكهف: ٧٨.

٨ - سورة آل عمران: ٧.

٩ - علوم الدين الإسلامي: د. عبدالله شحاتة، ص٩٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠ - الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: د. محمد السيد الجليند، ص٣٠، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١١ - مقدمة التفسير: للعلامة أبي القاسم الراغب الأصفهاني، ص٩، المطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ.

١٢ - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، ج٢، ص٣، طبع عيسى الحلبي، د.ت.

١٣ - البرهان: الزركشي، ج٢ ص١٤٨.

١٤ - فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٨٩/٢٩٠ بتصرف كبير.

١٥ - فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٣١/٢٣٢.

١٦ - فتاوى ابن تيمية، ج١٣، ص٢٣٥/٢٣٦ بتصرف.

١٧ - مقدمتان في علوم القرآن، ص١٧٢.

١٨ - مقدمتان في علوم القرآن، ص١٧٢/١٧٣.

١٩ - البرهان، الزركشي، ج٢، ص١٧١/١٧٢.

البيت المسلم

العدد ٣٩٧ - الوعي الإسلامي - رمضان ١٤١٩ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٩٨ م

فقه الطلاق في زواج المبتوته

التربية الأسرية

بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية



الرضاعة الطبيعية فوائد لا يمكن أن تصنع

كيف تعتنون بأسنان أطفالكم ؟

الأبناء ... والغذاء الآخر

الأبناء ... والغذاء الآخر!!

بقلم: د. حسن عبدالغني أبوغدة

الأبناء بهجة الحياة الدنيا، وأُنسُ المرء في حياته، بهم تحلو الأيام، وعليهم تعلّق الآمال، وببركتهم تنزل الرحمات ويضاعف الثواب، بَيْد أن هذا كله يتوقف على حسن تربيتهم، الذي يجعل منهم في المجتمع عناصر خيْر وبر، فإذا توافر هذا كله للإنسان في أبنائه، كانوا سعادة الحياة الدنيا وزينتها بحق، كما وصفهم القرآن الكريم: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) الكهف: ٤٦، أما إذا غفل الوالدان عن رعاية الأبناء، وتساهلا في تربيتهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، فإنهما يسهمان من حيث لا يريدان في جعلهم عوامل همّ وشقاء، وأسباب بلاء وهدم في الأسرة والمجتمع. عِظَم المسؤولية: من الطبيعي أن يدرك الإنسان الواعي عظم المسؤولية الملقاة عليه إزاء أبنائه، وليس أدل على ضخامة هذه المسؤولية من قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته، وهو مسؤول عن رعيته» (١)، وليست هذه المسؤولية - بنص هذا الحديث - قاصرة على الأب وحده، أو الأم إلى جانبه، بحكم التصاقهما المباشر بالطفل في سنواته الأولى، بل إن هذه المسؤولية تشمل الكثير من الجهات الاجتماعية الإعلامية والتربوية، مع اختلاف وتباين وتفاوت في حجم المسؤولية، ذلك لأن الجميع يؤثّر في تكوين الأبناء، لصفاء قلوبهم ونقائها، وسرعة اغترارهم بكل برّاق يلقى إليهم، وهم لا يدرون أن فيه الضرر والأذى.

أولّيات هذه المسؤولية

من أهم وأوّليات المسؤولية عن الأبناء أن يُغرس في نفوسهم الإيمان بالخالق العظيم، فيُعرَّفون إلى أفضاله على الخلق، ويُوجَّهون إلى الخضوع له وطاعة أوامره، لينمو هذا الإحساس معهم، وهم يتدرجون في سُلّم الحياة، ويُغفل هذا مع الأبناء حين تؤنس فهم القدرة على فهم هذه المعاني واستيعابها، وامتثالها وحسن التعامل معها، قال ابن عباس: «كنت خلف النبي - ﷺ - يوماً، فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّفْ إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدّة...»(٣). ومثلُ الذي تقدم تدريبُ الأبناء على أداء الفرائض الدينية، ومراعاة الآداب الاجتماعية، فيعلمون ويدرَّبون على الصلاة والصوم، ويعمق في قلوبهم حب الله تعالى وحب رسوله - ﷺ - ويوجَّهون إلى تلاوة القرآن الكريم، وحفظ ما يتيسر منه، إضافة إلى حثهم على مكارم الأخلاق كالصدق والأمانة ومراقبة الله تعالى، وفي هذا يقول النبي - ﷺ -: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سنين»(٤)، وفي حديث آخر: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن»(٥). ولا شك في أن استيعاب الأبناء لهذه المعاني الفاضلة والقيم الدينية والخلقية، يمنحهم طاقات روحية عالية، وقدرات نفسية ممتازة، ويقوم سلوكهم، ويعينهم على تجاوز مشكلات الحياة، وحل معضلاتها المفاجئة بمواقف سلوكية موزونة، تتصف بالإيجابية والبناء، ومما يروى في نحو هذا: أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - كان في سفر، فرأى صبياً يرعى الغنم، فأراد أن يختبره، فناداه وقال له: يا غلام، أتبيعني واحدة من هذه الأغنام؟ قال الصبي: إنها ليستْ لي، فقال ابن عمر: بعني واحدة، وقل لصاحبها: إن الذئب قد أكلها، فقال الصبي: فأين الله إذاً، فدمعت عينا ابن عمر، وصار يردّد: فأين الله إذاً؟ فأين الله إذاً؟

والقيم الأخرى يحتاجها الأبناء: ومما تتطلبه المسؤولية عن الأبناء، وينبغي الاهتمام به أيضاً غرس القيم الإنسانية والفضائل الاجتماعية ومكارم الأخلاق في نفوسهم، وبيان أهميتها في حياتهم، فآثارها الخيّرة في معاملة الآخرين والتحبب إليهم وكسب ثقتهم، ومما يحسن في هذا الميدان، توجيههم إلى استعمال هذه القيم والفضائل في مواطنها الحقة، وعند الحاجة إليها، بوعي وإدراك وتعقل، دون اضطراب وتسرع، متجنبين ردود الفعل المرتجلة، ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً، ومن هذه القيم والمكارم: القوة والجرأة في الحق، والشجاعة والحزم في معالجة الأمور، وحب الخير للآخرين، وإيثارهم به عند الحاجة، ورعاية الجار، وصلة الرحم، والرحمة بالضعفاء واحترام الناس وتقديرهم، والعمل على التعاون معهم، واكتساب روح الجماعة، وحب العلم والاستزادة من الثقافة والمعرفة، والرجوع عن الخطأ حين وضوح الحق. ومما يروى في تنشئة الأبناء على الشجاعة والثقة بالنفس، والتعقل عند المفاجآت، والتعامل معها دون انفعال وردود فعل مذمومة: أن نفراً من الأولاد كانوا يلعبون في إحدى ساحات المدينة، فما أن وقعت أبصارهم على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو مقبل نحوهم حتى فرُّوا، وتنحوا عن الطريق مختبئين، إلا غلاماً واحداً هو عبدالله بن الزبير، حيث مكث مكانه ولم يبرحه، فلما دنا منه عمر سأله: لِمَ مكثت مكانك يا غلام، ولم تفرَّ مع أصحابك؟ فقال الغلام: لم تكن الطريق ضيّقة فأوسّع لك، ولم أرتكب ذنباً فأفرَّ منك، فأُعجب عمر بحسن جوابه وسُرَّ منه.

تعرّف على مستقبل الأبناء من خلال حاضرهم

إن من أصعب مسؤوليات الأولياء القيام باستكشاف مستقبل الأبناء والتنبؤ بأحوالهم فيه، غير أن هناك بعض الأسس والمعالم المعينة على تكوين صورة أولية عنهم، وذلك من خلال التعرف على ميولهم، وتشخيص اهتماماتهم، والنظر في سلوكهم، والاطلاع على أوقات فراغهم، وبماذا يملؤونها؟ إضافة إلى معرفة هواياتهم وقرنائهم وأصدقائهم، وبماذا يفكّرون؟ وعن أي شيء يتحدّثون؟ وأين يذهبون؟

قضايا تربوية

ومن خلال هذه المتابعة أو المراقبة الهادفة، البعيدة عن التخوين والتشكيل، يمكن الوقوف على واقع الأبناء الفكري والنفسي والسلوكي، والتنبؤ بمستقبلهم، مع استمرار عملية التوجيه والبناء، وتعميق القيم الفاضلة في ضمائرهم، وتشجيعهم على التمسك بها والاستكثار من أمثالها، وإشاعتها بين زملائهم وقرنائهم، في الوقت الذي تُلفت فيه أنظارهم إلى ضرورة تجنب مظاهر اللهو القبيح والمفاسد وأخلاق السوء، بأسلوب حكيم، لا يخلو من الرفق والمؤانسة والحوار والنصح الجميل. وذكر الغزالي في كتابه: «إحياء علوم الدين» عن سهل بن عبدالله التستري قال: كنتُ وأنا صبي ابن ثلاث سنين أقوم في الليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: يا غلام، ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك: الله معي، الله شاهدي، الله ناظر إليّ، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت وأعلمته، فزادني إلى إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علّمتك وداوم عليه، ثم قال لي: يا سهل، من كان الله معه، وشاهده، وناظراً إليه، هل يعصيه؟ قلت: لا، قال: إياك والمعصية، قال سهل: ثم لما بلغت ست سنين، حفظت القرآن كله، وكنت أصوم الكثير من الأيام.

أمور لا بدَّ منها في التربية

إن المتأمل في هذه القصة، يلحظ فيها معالم عدة لابد منها في ميادين التربية والتعليم، إن على مستوى الآباء والأمهات، أو على مستوى الأساتذة والمربين، ومن هذه الأمور ما يلي:

١ ـ إثارة كوامن الطفل، وحفزه إلى الاهتمام بما يُلقي إليه والتفكير فيه، ويظهر ذلك في قول الخال لابن اخته: «ألا تذكر الله الذي خلقك؟» وجوابه: «وكيف أذكره؟»

٢ ـ التدرّج في تكليف الطفل بمجموع ما يلقى إليه، فيبدأ معه بالقليل اليسير، ثم بأزيد منه، وهكذا... مع رصد النتائج وردود الفعل، وقياس مدى الاستجابة والتنفيذ، ويتّضح هذا التسلسل في تكليف الخال ابن أخته بذكر الله تعالى في نفسه فقط ثلاث مرات، ثم سبع مرات، ثم إحدى عشرة مرة، وهو يلاحظ تنامي الاستجابة عند الطفل، الذي وقع في قلبه حلاوة ذلك الكلام.

٣ ـ الاهتمام والتركيز على غرس الوازع الديني في نفوس الناشئة، ليظل هذا معهم أينما كانوا، فلا تزال ضمائرهم حية، ونفوسهم عامرة بمراقبة الله تعالى، الذي يراهم ويبصرهم، وإن غابت عنهم أعين الرقباء من الناس.

٤ ـ استثمار الحصيلة المعرفية والوجدانية وتوظيفها لخدمة الجانب السلوكي التطبيقي وتحقيقه، وهو الهدف الأهم والغاية الكبرى في النشاطات والعمليات التربوية، ويتجلى هذا واضحاً في قول الخال محمد بن سوار لابن أخته: «يا سهل، من كان الله معه وشاهده وناظراً إليه... هل يعصيه؟... إياك والمعصية».

٥ ـ تحمل المربي وصبره وأناته وطول نفسه في ملاحظة الطفل ومتابعته، ولو في أمر هو بسيط ويسير بحسب الظاهر، لكنه جليل الأثر في تكوين الطفل، وتحديد ملامح شخصيته وسلوكه، وقد قضى الخال ـ في القصة ـ أكثر من سنة وهو يبني ويعمّق مفهوم ثلاث جمل قصيرة في ضمير ابن اخته... وهناك في القصة فوائد تربوية أخرى لا تخفى على المتأمل فيها.

في التربية حزم ورحمة

إن الوالد الحصيف، والأم العاقلة، والمربي الناجح، هم الذين يسلكون مسلكاً معتدلاً في التربية والإرشاد، والتوجيه والتعليم، ويمارسون ذلك بحزم رحيم، فيه الجد والحب، لا القسوة والبغض، ولا «التدليل» المذموم، وبهذا الأسلوب الوسط توضع الأمور في موازينها، ويتعرف الأبناء إلى حدود المسؤولية، ويقفون على أمورهم بأنفسهم، يؤدون الواجبات ويهتمون بها، ليصبحوا معالم خير للمستقبل. قال عبدالله بن بُسْر المازني: بعثتني أمي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت، أخذ بأذني وقال: يا غُدَر(٦)، أي: يا من لم توفّ الأمانة حقها، وهذا القول والفعل من النبي ـ ﷺ ـ إشعار حازم رحيم، فيه لفت نظر الطفل إلى الخطأ الذي ارتكبه، لئلا تتكرَّر أمثاله في المستقبل.

إن الحزم مع الأبناء ضرورة تربوية، وليس عملاً انتقامياً، كما أن الرفق معهم ضروري أيضاً، وبهذين المسلكين يروّضون على القيام بالمسؤولية والتزام الواجب والوفاء به، وتوصلاً إلى هذه المعاني في تعويد الأطفال على تحمل المسؤولية بجد من خلال الرفق بهم، والصبر عليهم والتحبب إليهم، كان رسول الله ـ ﷺ ـ يستثمر أوقاتهم فيما ينفع حاضرهم ويبني مستقبلهم، بحسب الظروف المتاحة وقتئذ، حيث روي أنه كان يصفّ عبدالله، وعبيدالله وكثيّر ـ أبناء عمه العباس ﷺ ـ ويسابق بينهم قائلاً: «من سبق إليَّ، فله كذا وكذا، فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبّلهم»(٧). وفي هذه القصة فوائد منها:

١ ـ حزم النبي ـ ﷺ ـ وجدّه فيما ألقاه إلى الأولاد، حتى ان بعضهم ـ بدافع من تحمل المسؤولية ـ كان من شدة الجري يقع على صدر النبي ـ ﷺ ـ وبعضهم ممن لم يجد مكاناً على صدره كان يقع على ظهره.

٢ ـ رحمة النبي ـ ﷺ ـ ورفقه بالأبناء، والتحبب إليهم بالقبلات، لإضفاء السعادة والرضا على قلوب الجميع، من سبق أولاً، ومن أتى لاحقاً.

٣ ـ توجيه الأبناء إلى الاستفادة من أوقات الفراغ بالأنواع المتاحة من النشاطات المفيدة، وهي هنا التسابق والجري لتحصيل اللياقة البدنية.

٤ ـ تعويد الأبناء على النشاط الجماعي، وغرس صفة التسامح فيما بينهم، ومحاولة الارتقاء في أداء الأعمال، وهذه قيم خلقية واجتماعية مهمة في حياة الناس.

٥ ـ عدم الأنفة من الجلوس إلى الأدنى والتنزّل إلى مستواه لتعليمه وإفادته، فقد فعل النبي ـ ﷺ ـ ذلك مع الأطفال وهو رئيس دولة المسلمين.

تلكم هي بعض المبادئ والمنطلقات التي جاء بها الإسلام لتنشئة الأبناء، وهي جديرة بأن تجد الاهتمام في كل أسرة ومجتمع، من أجل حسن صياغة شخصية من هم عماد المستقبل المشرق، ورجال الغد المنتظر، فهل نفعل ذلك. ■

الهوامش:

١ ـ رواه البخاري ومسلم.
٢ ـ رواه الإمام أحمد.
٣ ـ رواه أبو داود.
٤ ـ رواه الطبراني.
٥ ـ رواه ابن السني.
٦ ـ رواه الإمام احمد.

التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية

اعتبر الإسلام الرجل والمرأة عنصرين متعادلين في بناء الحياة، كما اعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية في بناء الحياة الاجتماعية، فهي أصغر وحدة تنظيمية في بناء المجتمع ... وهي مصدر الراحة والاستقرار والحب والحنان والرعاية لجميع أفرادها: الأب، الأم، الأبناء، الأقارب ... (١).

وتشكل الأسرة في نظر الإسلام القاعدة الأساسية في بناء المجتمع، لذلك اهتم ببناء وتنظيم العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء والآباء، واعتبر العلاقة بينهما قائمة على أساس الود والرحمة والحب والاحترام المتبادل.

بقلم: د. محمد السيد علي بلاسي



شرع الإسلام الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون الأسرة وحقوق الأفراد فيها من النفقة والميراث والالتزامات المختلفة

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١. وقال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩. وقال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة: ٢٢٨. ووضَّح الرسول - ﷺ - أهمية الزواج والأسرة فقال: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله - عز وجل - من التزويج». وقال ﷺ : «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر».

وبالتأمل في النصوص والمفاهيم الإسلامية، نجد أن الإسلام اعتبر الأسرة مؤسسة مهمة ومقدسة في الحياة، فأرسى قواعدها على أساسين : أساس قانوني، وأساس أخلاقي.

فقد شرع الإسلام الأحكام والقوانين التي تنظم شؤون الأسرة وحقوق الأفراد فيها من النفقة والميراث والالتزامات المختلفة، بالإضافة إلى أنه أرسى بناء الأسرة على أسس الأخلاق والأحاسيس والعاطفة والوجدان، التي تتعهد بتوافر أجواء الحب والتعاون والاحترام والطاعة، وحسن المعاشرة بين أفراد الأسرة. فتلك أخلاق الإسلام العامة، وتلك دعوته إلى أفراد الأسرة بشكل خاص أن يتعاملوا بأفضل أساليب التعامل وأكثرها رقة وعذوبة!.(٣)

حقوق وواجبات

وقد حرص الإسلام على الأسس الكفيلة ببناء الأسرة من الهدم والتخريب، فجعل بناءها قائماً على أساس متين ونظام سديد، فبين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والآباء والأبناء، وكيفية العلاقة بينهم، والتعامل معهم. وأقوى هذه الأسس، هو الأساس التعبدي وطاعة الله سبحانه، فكل واحد من أفراد الأسرة يؤمن - كمسلم - بأن هذه الحقوق والواجبات المحددة للزوج، والزوجة، والآباء، والأبناء، هي فريضة إلهية ويجب الوفاء بها، وأنه مسؤول عنها يوم القيامة، ومجازى بما يناسب عمله من الثواب والعقاب.

فبر الوالدين، والإحسان إليهما، مقرون بطاعة الله : (أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير) لقمان: ١٤. وهو مكلف به، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً) الأحقاف: ١٥. والإنسان معاقب على تركه، ومثاب على الوفاء به.(٤)، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : «نظر الولد إلى والديه حباً لهما عبادة». كذلك أمر الإسلام الآباء بحب الأبناء والعطف عليهم وتربيتهم والنفقة عليهم، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) التحريم:٦. وورد عن الرسول الكريم - ﷺ - قوله : «أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنهم لايدرون إلا أنكم ترزقونهم».

وكما أوجب الشارع الحكيم على الآباء النفقة على الأبناء الصغار لأنهم عاجزون عن النفقة على أنفسهم، أوجب على الأبناء النفقة أيضاً على آبائهم حين العجز عن النفقة على أنفسهم.(٥) كذلك أشار الشارع الحكيم إلى أن حقوق كل من الزوجة والزوج فريضة، يحاسب الله عليها العباد. قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) البقرة: ٢٢٨. وقال عز وجل: (وعاشروهن بالمعروف) النساء:١٩. وقال في النفقة على الزوجة: (لينفق ذو سعة من سعته) الطلاق: ٧. وقال تعالى: (الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) النساء: ٣٤.

وقد أعطى الإسلام «الأب» الولاية والقيمومة، ودور القيادة في الأسرة، ذلك لأنها مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، وعلى صلاحها تتوقف سعادة الأفراد، وصلاح المجتمع، لئلا تدب الفوضى في الحياة، في الوقت الذي أكد فيه الإسلام أن لهذه القيمومة والولاية حدودها القانونية والأخلاقية.

وألزم الإسلام الزوجة بطاعة زوجها، والأبناء بطاعة الأب، شرط أن لا يصدر عنه ما يضرهم، أو يسيء إليهم، أو يدخلهم في معصية الله، أو يخرجهم من طاعته. فقد ورد في الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

لقد آمن الإسلام بأن الرجل والمرأة متساويان في الإنسانية، قال الله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات: ١٣.

وجعل الحب والاحترام بين الرجل والمرأة أمراً مقدساً، فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم: ٢١. وروي عن الرسول - ﷺ - قوله: «من أخلاق الأنبياء - عليهم السلام - حب النساء». وروي عنه - ﷺ -: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهكذا جعل الإسلام الحب بين الرجل والمرأة، وأوجب احترامها، كما أوجب نفقتها على زوجها، وإن كانت غير محتاجة، نفقة الطعام واللباس والزينة والعلاج، وسائر حواجها الاجتماعية، بحدود استطاعته، ووضعه المالي بشكل يليق بوضعها الاجتماعي المعتاد.

قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته) الطلاق: ٧.

وجعل للزوجة نصيباً من الميراث، فأعطاها ربع التركة، إذا لم يكن للزوج أبناء، وثمن التركة إذا كان له أبناء، وأعطاها نصف تركة الرجل إذا مات ولم يكن له وراث يرثه، فترث الربع بالفرض والربع الآخر بالرد عليها على مصطلح الفقهاء.

كما جعل للزوج نصيباً من تركة زوجته بالحصص المبيّنة في كتب الفقه، هذا، ولم يلزم الإسلام المرأة بالعمل في بيت زوجها، كإعداد الطعام، أو تنظيف السكن، أو غسل الثياب... إلخ. ولكن حبب إليها ذلك، وجعله مندوباً، وهي مثابة عليه، ومجزية بالخير عند الله سبحانه وتعالى، بل المرأة في الإسلام ليست مسؤولة عن تربية الطفل ورضاعته، ولها الحق في أن تطالب الأب بأجرة الرضاع والحضانة.

وقد شرع الإسلام الطلاق بقوله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) البقرة: ٢٢٩. كعلاج للمشاكل المستعصية في الأسرة، والعلاقة الزوجية المعقدة التي لا يمكن حلها إلا بهذه الطريقة، وليكون المجال مفتوحاً أمام كل منهما لاستئناف حياة مستقرة سعيدة، عندما تتعذر إقامة حياة ودية بينهما، واعتبروه من أشد الأمور كراهية، فقد ورد عن المصطفى - ﷺ - «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق». ودعا الإسلام إلى الصلح بين الرجل والمرأة قبل إيقاع الطلاق، بل اعتبر العلاقة الزوجية قائمة بينهما في عدة الطلاق الرجعي، فمن حقه أن يرجعها من دون عقد أو مهر.(٦)

ضوابط تربية الأبناء

أولاً: اختيار الزوجة:

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربّة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه، وهي أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيراً من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته، ويتلقى لغته، ويكتسب كثيراً من تقاليده وعاداته، ويعرف دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي، من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه. يقول الرسول - ﷺ - «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ويضع - عليه الصلاة والسلام - تحديداً للمرأة الصالحة، وأنها الجميلة المطيعة البارة الأمينة، فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»(٧)

ثانياً: حق الابن في الحياة:

كان الطفل قبل الإسلام يعتبر من خلق والديه، ومن هناك كان للدولة حق قتل الطفل الضعيف مثلما كان في أسبرطة وأثينا، وقد كان قتل البنات شائعاً عند بعض قبائل العرب في الجاهلية، وجاء الإسلام ليبطل هذه المعتقدات الفاسدة ويبين أن الله - سبحانه وتعالى - وحده هو المبدئ المعيد، قال تعالى: (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون: ١٤. وحرم قتل الأولاد في قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام: ١٥١.

ثالثاً: حق الابن في اسم حسن:

وقد حرص الإسلام كذلك على حق الطفل في التسمية الحسنة، فقال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم».

رابعاً: حق الطفل في التغذية:

قرر الله - سبحانه وتعالى - في قوله: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء: ٣١. حق الطفل في الغذاء وأنه ضروري بالنسبة للطفل منذ ولادته حتى يتزود بالطاقة التي يحتاج إليها للقيام بنشاطه العقلي والجسمي

والنفسي، كما أكد الإسلام أهمية الرضاعة من الأم وأنه أفضل غذاء للطفل، فقال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة: ٢٣٣.

خامساً : حق الطفل في معاملة طابعها الحب :

فليس بالغذاء وحده يحيا الطفل، فهو يحتاج إلى الحنان والود من الآخرين، كما أنه يحتاج إلى أشخاص يلتصق بهم مادياً في صورة الاحتضان والتقبيل والمداعبة.

سادساً : العدل بين الأولاد في المعاملة :

فكلما عدلنا في معاملة الطفل مع بقية إخوانه، ولم نفضل واحداً على الآخر، كلما كانت الفرصة مواتية لنموه نمواً سليماً، وقد اهتم الإسلام بهذه الناحية في تربية الطفل ولم يفرق بين الذكر والأنثى، ولقد كانت نصيحة النبي ﷺ : «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»، وقوله - ﷺ - : «من كانت له أنثى ولم يعدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة»، كما أكد الإسلام على أن العدل في معاملة الطفل يحميه من كل صور الاضطراب النفسي والاجتماعي.

سابعاً : حق الطفل في الحرية واللعب :

والإسلام كفل للطفل حق اللعب واللهو المباح باعتباره فطرته التي فطره الله عليها، ويرى بعض علماء المسلمين منذ زمن بعيد أن من يعارض الأطفال في لعبهم إنما يعارض الحياة عندهم. وكان الرسول - ﷺ - يدع حفيديه الحسن والحسين يلعبان مع أترابهما، وقد اقتدى الصحابة بالنبي - ﷺ - في هذا الشأن، وقد أدرك المسلمون أهمية اللعب في نضج الطفل اجتماعياً واتزانه انفعالياً، فمن دون اللعب يصبح الطفل أنانياً ضيق الأفق غير محبوب ومن ثم فإن للعب مزايا عدة في العملية التربوية وليس مضيعة للوقت.

ثامناً : حق الطفل في الأمن الاجتماعي والحماية من الظلم :

يحرص الإسلام على إشباع حاجة الطفل إلى الأمن بكل الوسائل المشروعة، وأهمها ألا يكون مسرحاً لصراع الوالدين وشقاقهما، وقد قال تعالى: (لا تضار والدة بولدها) البقرة: ٢٣٣، ويرى الإسلام أن الأمن الاجتماعي يجب أن يتوافر للطفل وبخاصة اللقيط أو اليتيم، لأنه أكثر الأطفال تعرضاً للإساءة والظلم والقسوة والإهمال، وندد القرآن بمن يسيء للطفل الضعيف أو اليتيم: (كلا بل لا تكرمون اليتيم) الفجر: ١٧، (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى:٩. وقول الرسول ﷺ : «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين - يشير بأصبعيه».

تاسعاً : حق الطفل في التربية والتعليم :

وهذا الحق مأخوذ من قوله تعالى: (وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء: ٢٤. والمقصود بالتربية هنا: عملية الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان، والتربية في هذه المرحلة مسؤولية الأسرة، فقد ألزم الإسلام الآباء بضرورة تربيتهم وتأديبهم: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) التحريم: ٦، وقد أدرك المسلمون أهمية السنوات الأولى لحياة الطفل في التربية والتعليم في بناء شخصيته، ولذا أقر الإسلام نظام الالتزام في التعليم فأوجب على الوالد تعليم ابنه القرآن والصلاة فإذا لم يستطع أن يرسله إلى الكتّاب، فنفقته على أقربائه، وإلا فالمحسنون أولى، وإلا فبيت المال ملزم بذلك.(٨)

علـل ... وأدويـة

من أهم الأسباب التي أوجدت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التي وضحت معالمها في واقع حياتنا الأسرية ما يلي:

أولاً : غياب قوامة الرجل :

وهذه من أخطر الأمور التي أوجدت الخلل التربوي والسلوكي في كثير من الأسر؟، ونسوا أن اختصاص الرجل بالقوامة التي منحه الله إياها لا يغض ولا ينقص من قدر إنسانية المرأة، لأنه توزيع إلهي نشأ من مفارقات عضوية جسدية ونفسية عاطفية، ولا من تفرقة في جوهر الإنسانية المشترك بين النساء والرجال، قال الله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) آل عمران: ١٩٥.

فالقوامة التي قررها الإسلام للرجل في أسرته تقوم على اعتبارين: مادي حسي، ومعنوي أدبي : ويتمثل الاعتبار المادي الحسي فيما يقوم به الرجل من سعي خارج البيت، لجلب سائر احتياجات الأسرة ومتطلباتها، علماً أن تقرير هذه الحقيقة، لا يمسّ شخصية المرأة بأي سوء أو انتقاص، لأنه تقرير لأمر واقع مشهود ومسلم به في حياة الناس قديماً وحديثاً. ولا شك في أن هذا الواقع يستند إلى مبرر فطري وظيفي، ذلك أن المرأة بطبيعتها تحمل وتضع وترضع وتحضن وهي في هذه الأحوال والظروف تلاقي ضعفاً وألماً وعجزاً عن مباشرة شدائد الحياة وقسوتها التي ينهض لها الرجل دونها، ومن هنا فرض الله تعالى الجهاد على الرجال دون النساء.

أما الاعتبار الأدبي والمعنوي الذي لاحظه الإسلام في قوامة الرجل على الأسرة، فهو أن عمل الرجل خارج بيته يوسع أفقه، ويكسبه التجارب والخبرات، وينوع علاقاته ومعاملاته مع كل مستويات البشر، فيطلع على أساليب تفكيرهم وطرق تعاملهم، ويتعرف على مكايدهم وحيلهم ويميز بين محسنهم ومسيئهم، وهذا ما لا يتوافر للمرأة بحكم وظيفتها وميدان نشاطها الفطري.

وبالإضافة إلى ذلك: فإن تقسيم الوظائف الفطرية بين الرجل والمرأة يستند إلى تعليلات معقولة مشاهدة الآثار، حيث إن الوضع الطبيعي للمرأة أن تقوم على رعاية البيت وتدبير شؤون الأبناء وحضانتهم بما عرف عنها من طبع لطيف، وعاطفة رقيقة فياضة ويسهل معها أن تنزل إلى مستوى أبنائها، فتفكر بعقولهم، وتملأ أرواحهم أملاً وإشراقاً، وتسعد قلوبهم مودة وصفاء، وتنمي أحاسيسهم الطفولية، فإذا ما كبروا تناولتهم يد الأب ليأخذوا عنه تجارب الحياة، ويتحملوا بأسها بقوة وإرادة وتدبير سليم.(٩)

ثانياً : التشرذم وعدم الاهتمام بأمر المسلمين:

من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين، انفراط عقدهم وتشرذم

أمتهم، فصاروا تجمعات صغيرة مبعثرة، واستبدلوا رابطة العقيدة بروابط دنيوية، وضعفت رابطة العقيدة والأخوة، حتى وصل الأمر إلى تبلد الحس الإسلامي نحو رابطة الأخوة الإسلامية. ونسوا أن رسول الله - ﷺ قال : «من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». ولكن... كيف نربي أولادنا على الاهتمام بأمور المسلمين :

١ - متابعة أخبار المسلمين.

٢ - اهتمام البيت المسلم بالقضايا الإسلامية الكبرى وشرحها للصغار بما يناسب عقولهم، مثل قضية فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وكوسوفا، وأسرى الكويت وغيرها.

٣ - من الاهتمام بالمسلمين: التعرف على الدعوات الهدامة التي تكيد للمسلمين : كالحركة التنصيرية ووسائلها في دس السم في العسل، وأماكن وجودها، والمؤسسات المختفية وراءها، والتعرف كذلك على القاديانية والباطنية والشيوعية والعلمانية والصهيونية وغيرها، وتحصين الناشئة ضد هذه الحركات الهدامة.(١٠)

ثالثاً : وسائل الإعلام الهابطة :

نتائج الأبحاث والدراسات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة، وأن شخصيته وهي في مراحل تكوينها تخضع لضغوط سلبية متنوعة، وتتفاقم المشكلة في ظل تراجع دور الأب والأم في العملية التربوية، وبسبب نقص المواد التعليمية في أكثر من بلد عربي، فإن دور المدرسة أيضاً قد أصابه قصور كبير، ومع هذا الغياب والتقصير المتعدد الصور والأشكال تأتي أجهزة الإعلام المعتمدة في جزء كبير منها على الإنتاج الأجنبي، لتسد الفراغ، ولتحدث هزة قيمية خطيرة قد ندفع ثمنها باهظاً في المستقبل. ولنتذكر على الدوام مقولة شمعون بيريز - رئيس وزراء إسرائيل السابق - الذي يؤكد : «لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكنه ذلك الطبق الصغير الذي يرفعونه على أسطح منازلهم»(١١).

رابعاً : الفراغ الديني :

وبسببه كانت تلك الأزمة التربوية والسلوكية التي وضحت معالمها في واقع حياتنا، فوجدنا ما لم نكن نسمع عنه من قبل: فمن قتل الأم لأبنها من أجل عشيقها، إلى قتل الولد لأبيه وأمه بسبب المخدرات، إلى رجل يرتكب الفاحشة مع ابنته. وغير ذلك من الانتكاسات الفطرية التي تصطك آذاننا بسماع أخبارها كل يوم؟ فضلاً عن الظواهر المتفشية في الأبناء: من تدخين ومسكرات ومخدرات وزنى ولواط وسحاق ... كل هذا نظراً لأننا ابتعدنا عن التربية الإيمانية والطريق إليها، فربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء يقوده للخير.

ومن المسلّم به : أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه سيحاسبه إن قصّر وفرّط، ويعاقبه إن انحرف وزل - لا شك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح، ويكف عن المنكرات والفواحش.

ومن المعلوم يقيناً : أن حضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع والاستماع إلى أخبار الصحابة والصالحين، واختيار الرفقة الصالحة، والارتباط بالجماعة المؤمنة، وذكر الموت وما بعده، كل ذلك يقوي في المؤمن جانب الخشية من الله والمراقبة له، والاستشعار لعظمته.(١٢)

وبعد: فلنتأكد أنه «لن يصلح حال آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». فقد انتصر محمد بن عبدالله - ﷺ - يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيمانه، تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، يوم صاغ منهم كلاً على حدة قرآناً حياً يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسّماً للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام.

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً.

ومن ثم: جعل محمداً - ﷺ - هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطباً، وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة، أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد - ﷺ - أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي، وتراهم العيون، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله - ﷺ - من عند الله.(١٣) ■

الهوامش :

١ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣١.

٢ - نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٥.

٣ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣٣، ١٣٤.

٤ - المرجع السابق: ص ١٣٢.

٥ - نحو فهم صحيح عن الكون والحياة: ص ٨٧.

٦ - المبادئ الإسلامية: ص ١٣٢ وما بعدها، ولمزيد من التفصيلات، راجع: فقه السنة: للشيخ سيد سابق، ٢/١١٥، وما بعدها.

٧ - فقه السنة: ٢/١٤، ١٥.

٨ - حقوق الطفل في الإسلام: د. حلمي محمد القاعود، ص ٣، (مقال منشور بمجلة: «الخفجي»: عدد يوليو ١٩٩٥م).

٩ - القوامة على الأسرة لماذا هي للرجل: د. حسن أبو غدة، ص ٥٧، «مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي - عدد ذي الحجة ١٤١٨هـ».

١٠ - كيف نربي أولادنا على الاهتمام بالمسلمين؟: خالد أحمد الشنتوت، ص ٨٢، وما بعدها: (مقال منشور في مجلة منار الإسلام: عدد شوال ١٤١٨هـ».

١١ - الأطفال ومشاهدة العنف في التلفاز: عبدالرحمن غالب، ص ٨٨.

١٢ - تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان، ١/١٤٧، ٢٢٩.

١٣ - دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب، ص ٢٥.

كيف تعتنون بأسنان أطفالكم؟

صحة الطفل

د. رضوان أحمد بيطار



تبرز أهمية العناية بالأسنان منذ الطفولة، ليس بسبب ضرورة الأسنان لقطع الطعام ومضغه فحسب، وإنما باعتبارها جزءاً من الناحية الجمالية للوجه ودورها في تعلّم النطق السليم للطفل.

يسنن الطفل مرتين :

- التسنين اللبني أو الأولي وبه يظهر لدى الطفل عشرون سناً لبنياً.

- التسنين الدائم وبه يظهر اثنان وثلاثون سناً دائمين.

إن أول سن لبني يظهر هو القاطع الأوسط السفلي عادة وتكتمل الأسنان اللبنية ببروز الضرس الثاني في نهاية العام الثاني، بينما أول ما يبرز من الأسنان الدائمة هو الضرس الدائم الأول والذي يبرز في العام السادس ولهذا يسمى أحياناً ضرس العام السادس.

ويختلف موعد بزوغ الأسنان

اللبنية من طفل لآخر ولا داعي للقلق إذا بزغت الأسنان مبكراً أو تأخرت قليلاً عن موعدها:

- القواطع السفلية الأمامية «اثنان» وتظهر بين الشهر الخامس والعاشر.

- القواطع العلوية الأمامية والجانبية «أربعة» وتظهر بين الشهر الثامن والثاني عشر.

- القواطع السفلية الجانبية «اثنان» وتظهر بين الشهر الثاني عشر والرابع عشر.

- الأضراس الأولى العلوية والسفلية «أربعة» وتظهر بين الشهر الثاني عشر والرابع عشر.

- الأنياب «أربعة» وتظهر بين الشهر السادس عشر والشهر الثاني والعشرين.

- الأضراس الثانية «أربعة» وتظهر بين الشهر الرابع والعشرين والشهر الثلاثين

هل لبزوغ الأسنان تأثير مرضي

ليس لعملية التسنين أي تأثير مرضي على الطفل، لكنه قد يشعر بعدم الارتياح خلال فترة التسنين، فعملية التسنين أمر طبيعي ولا تسبب أي مرض، وأكبر الخطر ينشأ من الاعتقاد أن أعراضاً لبعض الأمراض تنشأ نتيجة للتسنين، وهكذا لا ينتبه أحياناً للمرض المسبب لهذه الأعراض والذي قد يكون خطيراً.

إن التشنجات لايجوز أن تعتبر بحال نتيجة لعملية التسنين، كما أنه لا شيء أكثر خطورة من أن يعتبر التسنين سبباً في عدم نمو الطفل. إن ما قد يحدث في عملية التسنين هو أن يحمر باطن الخد واللثة في الجانب الذي يحدث فيه بروز السن، كما يحدث زيادة في إفراز اللعاب مما يسبب سيلانه من الفم، فعملية التسنين الطبيعية غير مؤلمة ولا تزعج الطفل بحال، وإن تدليك اللثة بالإصبع بعد غسل اليدين جيداً بالماء والصابون له تأثير ملطّف على لثة الطفل، أما في حال ظهور أي أعراض مرضية على الطفل خلال فترة التسنين، فيجب مراجعة طبيب الأطفال، فالتسنين لا يسبب الإسهال أو ارتفاع درجة الحرارة، كما تعتقد كثير من الأمهات، فهذه الأعراض قد تكون خطيرة على صحة الطفل ولا يجوز إلقاء اللوم على التسنين في ظهورها.

تسوس الأسنان

يزداد حدوث نخر الأسنان بين أولاد المدارس، وللأسف، فإنه حالما يظهر نخر في سن فإنه يدوم، ويرجع إلى تناول الكثير من السكريات، فهو تغذوي في منشئه، وهذا لا يعني أن النخر يزداد بازدياد كمية السكر التي يتناولها الطفل أثناء الوجبات، إنما ينتج عن طول الفترة التي يبقى السكر أثناءها في الفم، إنه العامل الرئيسي في إحداث النخر في الأسنان.

لا يجوز أن تعطى الحلويات والسكاكر والبسكويت بحال للأطفال وهم في أسرّتهم ليلاً، لأن جريان اللعاب ينخفض أثناء النوم ويتوقف البلع تقريباً، لذلك فإن محتويات الفم من السكر قد تبقى هناك لساعات وتحدث نخراً في الأسنان.

الوقاية من أمراض الأسنان

إن أمراض الأسنان الأكثر شيوعاً هي تسوس الأسنان وأمراض اللثة، ومن الممكن تقليل حدوثها والوقاية منها من خلال العناية الدائمة اليومية بنظافة الفم، والأسنان، بالإضافة إلى العناية اللازمة المتوافرة في عيادات الأسنان، ويقصد بالعناية المنزلية اليومية للأسنان تنظيفها بمجرد ظهورها في الفم، فبالنسبة للطفل قبل الثانية من العمر يمكن استخدام قطعة من الشاش أو القطن المبلل بالماء لتنظيف أسنانه يومياً قبل ذهابه للنوم، وعندما يصبح عمر الطفل سنتين يجب البدء باستعمال الفرشاة والمعجون الحاوي على الفلوريد يومياً بعد تناول الطعام وقبل النوم، ويتطلب ذلك بالطبع مساعدة الأهل ومراقبتهم حتى يصل الطفل إلى الثامنة من عمره.

ولا تهدف عملية تنظيف الأسنان بالفرشاة والمعجون إلى إزالة بقايا الطعام من الفم فقط، وإنما إلى إزالة طبقة الصفحية الجرثومية «البلاك» أيضاً، وهي طبقة رقيقة غير مرئية، تتكون باستمرار على الأسنان وتلتصق بها، وتحتوي على البكتيريا الضارة التي تخمّر السكريات التي تبقى في الفم بعد الأكل لتنتج حمضاً يهاجم ميناء الأسنان محدثاً حفراً بها أو ما يعرف بالنخر أو التسوس، كما تلعب هذه الطبقة دوراً كبيراً في حدوث أمراض اللثة.

ما الطريقة المثلى لتنظيف الأسنان

إن من أسهل الطرق تنظيف الأسنان بالفرشاة من الأعلى إلى الأسفل في الفك العلوي مروراً بحافة اللثة، ومن الأسفل للأعلى في الفك السفلي، ويجب مراعاة تنظيف جميع سطوح الأسنان الداخلية والخارجية بالإضافة إلى السطوح المضاغة والقاطعة، كما يجب التركيز على حافة الفرشاة لتنظيف السطوح البعيدة للأسنان.

ما الفرشاة النموذجية للأطفال ؟

ينصح معظم أطباء الأسنان باستخدام الفرشاة التي تكون:

- شعيراتها ناعمة إلى متوسطة النعومة.
- قبضتها مستقيمة.
- حزم أشعارها متقاربة وسطحها المنظف مستوٍ.
- رأسها صغير بشكل يمكّنها من الوصول إلى كل سن.

عادات الطعام الجيدة

كل الطعام المفيد لصحة الطفل العامة مفيد أيضاً لصحة أسنانه كالفواكه والخضراوات والخبز والحبوب والحليب والجبن واللحوم، ويجب التركيز في فترة بناء وتكوُّن الأسنان على الطعام الذي يحتوي على الكالسيوم والفلوريد والفوسفور كالسمك والبيض والحليب... فهي جميعاً تساعد على تقوية الأسنان لدى تناولها بالكميات الكافية، كما يجب التقليل من استهلاك الأطعمة السكرية وبخاصة بين الوجبات.

دور عنصر الفلوريد في الوقاية من تسوس الأسنان

لسوء الحظ لا يوجد شيء يقي الأسنان من التسوس تماماً ولكن الفلوريد هو الوسيلة المثلى المتوافرة لدينا الآن للمساعدة على الوقاية من التسوس، حيث يساعد الطلاء السطحي لعنصر الفوريد على حماية ميناء الأسنان من التسوس وهو ذو أهمية خاصة للأطفال الذين يعيشون في مناطق لا وجود للفلوريد في مياه الشرب، وثبت أن إعادة هذا الطلاء كل ستة أشهر «بوساطة طبيب الأسنان» يحسّن تكون طبقة الميناء ويجعلها أكثر مقاومة للتسوس.

وتكمن الفائدة من الفلوريد في الاستخدام اليومي له ويتم ذلك بإحدى الطرق التالية :

كثر الحديث عن الرضاعة الطبيعية، وكثرت الأصوات التي تنادي بالعودة إلى الرضاعة الطبيعية بعد أن سادت موضة عدم إرضاع الطفل من ثديي أمه، وإعطائه الحليب الصناعي باعتباره البضاعة التي يشتريها علية القوم. لكن لماذا هذه الدعوة ولماذا هذه العودة؟ وما فوائد الرضاعة الطبيعية؟

الرضاعة الطبيعية ... فوائد لا يمكن أن تُصنَّع

بقلم: د. عبدالرزاق السباعي

- شرب الماء الحاوي على الفلوريد وهذا الإجراء يعتمد على سياسة البلد في فلورة مياه الشرب، لتعم الفائدة من عنصر الفلوريد على الجميع، وإن لم يكن موجوداً في مياه الشرب فمن الممكن استخدام الطرق الأخرى.
- المضمضة الحاوية على الفلوريد.
- حبوب أو نقاط الفلوريد «تبعاً لإرشادات طبيب الأسنان فقط».
- استعمال المعجون الحاوي على الفلوريد.

متى تصحبين طفلك إلى طبيب الأسنانس

الأفضل أن تصحبي طفلك إلى طبيب الأسنان قبل بلوغه العام، فكلما كانت الزيارة باكراً كلما كان باستطاعة طبيب الأسنان وقاية الطفل من مشاكل الأسنان، أما إذا تعرض الطفل قبل الثانية من العمر إلى ألم في أسنانه أو أصيب بحادث أضر بأسنانه فيجب أن يراجع طبيب الأسنان للفحص وعمل اللازم. إن الانطباع الحسن عند الطفل عن الزيارة الأولى له أثر بالغ فاجعلي حديثك عنها وكأنها مغامرة مثيرة، فهي كأي تجربة جديدة له يجب أن يكون حديثك عنها مشجعاً وإيجابياً فلا تقولي له مثلاً: «إن هذه الزيارة لاتؤلم» وإنما قولي: «إن طبيب الأسنان صديق له وسيساعده على بقاء أسنانه وفمه صحيحين وسليمين». وقد تسألين لماذا يجب عليَّ أن أعالج أسنان طفلي اللبنية إذا كانت ستتبدل فيما بعد بالأسنان الدائمة، والجواب: أن بقاء الأسنان الملتهبة المتسوسة في فم الطفل تؤثر على صحته العامة، وقد تنتشر في الفم والفكين.

ما سبب سهولة تسوس الضرس الدائم الأول

- يظهر الضرس الدائم الأول في سن السادسة، وهو كباقي الأضراس يحتوي على شقوق ووهاد طبيعية تشريحية، وإنَّ تجمع الصفيحة الجرثومية داخل الشقوق وعدم إزالتها بانتظام بوساطة الفرشاة والمعجون تعرض الضرس للتسوس.
- وجوده خلف الأسنان اللبنية وظهوره الباكر، وعدم معرفة الأهل بأنه دائم وبأهمية تنظيفه ومراجعة طبيب الأسنان لفحصه واتخاذ الإجراءات للوقاية من تسوسه وعلاجه الباكر إن اقتضى الأمر. ■

فوائد الرضاعة الطبيعية للطفل

كلنا يعرف أن بداية إدرار الحليب يسمى اللبأ «الحليب المائي أو لبن المسمار أو السرسوب أو الصمغة» وهو سائل مقداره ٤٠سم٣ مكعب يومياً يميل لونه للاصفرار، ويتم إفرازه خلال الأيام القليلة التالية للولادة قبل إفراز الحليب العادي أو الحقيقي «يتدفق الحليب العادي في اليوم الثاني للأم المتكررة الحمل، وفي اليوم الثالث أو الرابع للأم التي تحمل للمرة الأولى»، وهذا السائل غني جداً بالمواد الغذائية والمواد المناعية.

من الناحية الغذائية يحتوي اللبأ على البروتينات أكثر من الحليب العادي، ويحتوي على كمية أقل من المواد السكرية ولا يحتوي على الكازينوجين، لذلك فهو سهل الهضم وذو قيمة غذائية عالية، ويمنع من حدوث حمى الجفاف.

ومن الناحية المناعية يحتوي اللبأ على المواد المناعية «التي تسمى الغلوبولينات المناعية» وهذه المواد تحمي الطفل من الجراثيم التي قد يبتلعها أثناء الولادة بعد أن كانت أمعاؤه عقيمة وخالية من الجراثيم، فعندما يأخذ الطفل اللبأ من أمه يكون قد أخذ أول تطعيم له، وهو تطعيم متعدد الفوائد حيث يحمي الطفل من الكثير من الجراثيم والفيروسات والفطريات والأمراض مثل الحصبة والسعال الديكي «الشاهوق» والإسهالات المعوية والتهاب المعدة والأمعاء.

كما يحتوي اللبأ على كريات الدم البيضاء بكميات كبيرة وهي بمثابة جنود مقاتلة تمنع دخول الجراثيم إلى الجسم وتخلّصه منها.

ولا يوجد أي حليب صناعي في العالم يملك هذه الصفات، فلماذا نحرم الطفل منه وهو في أمسّ الحاجة إليه أثناء مواجهته الأولى للحياة؟

* خلق الله سبحانه وتعالى حليب الأم بحيث يناسب طفلها، وخلق حليب البقر بحيث يناسب عجلها، فتركيب حليب الأم مناسب جداً لحاجة الطفل ومناسب جداً لتركيب أجهزة جسم الطفل، حيث إنه مصنّع حسب «شفرة» وراثية خاصة بالإنسان وحاجته، بينما حليب البقر مناسب لحاجة العجل ولتركيب أجهزته لأنه مصنّع حسب «شفرة» وراثية خاصة بالبقر، وهذه بعض الأمثلة:

البروتينات

من المعروف أن البروتينات تتكون من سلسلة من الأحماض الأمينية، وحليب الأم يحوي كمية مناسبة من هذه الأحماض تكفي حاجة الطفل - لا زيادة ولا نقصان - كما أنه يحوي نوعية مناسبة من هذه الأحماض يستطيع الطفل أن يهضمها ويستفيد منها كلياً، حيث يحوي حليب الأم أكثر من ١٥ بروتيناً، وما المواد المناعية إلا نوع من البروتينات الموجودة في حليب الأم فقط، أما الحليب المصنّع فيحوي على كميات كبيرة منها «تزيد أضعافاً عدة عن حليب الأم»، وعلى نوعيات مختلفة لا يستطيع الطفل

هضمها والاستفادة منها، وبالتالي تتراكم في دمه وتدخل إلى أعضائه، مُحدثة ما يعرف باسم الحساسية لبروتين حليب البقر، وهذه لها علاقة مباشرة بإصابة الطفل بحساسية الجهاز التنفسي وحساسية الجلد «الأكزيمة» والإسهالات، ومهما حاول أصحاب المصانع إضافة وحذف البروتينات فلن يتمكنوا من الوصول إلى تركيب مشابه لحليب الأم لأن في حليب الأم «شفرة» وراثية ربانية.

السكريات

يحتوي حليب الأم على سكر اللاكتوز «سكر الحليب»، وهو سكر بسيط، لكنه مهم جداً للحفاظ على الضغط الأزمولي عند الطفل وللحفاظ على توازن الأيونات «الشوارد» أيضاً وهو مصدر مهم للطاقة اللازمة للطفل، حيث يعطي طاقة تبلغ ضعف الطاقة المتولدة من الغلوكوز «سكر العنب»، وهو ضروري لبناء بعض الدهون الأساسية اللازمة لتطور مخ الطفل وتناميه.

يوجد سكر اللاكتوز بكمية مناسبة في حليب الأم (٦٥غراماً لكل ١٠٠ غرام)، بينما تكون كميته قليلة جداً في حليب البقر (٣٨غراماً لكل ١٠٠ غرام)، ولذلك يقوم مصنعو الحليب بإضافة أنواع أخرى من السكريات لتأمين الطاقة «مثل السكروز والفركتوز والمالتوز» وكلها سكريات صعبة الهضم.

كما أن حليب الأم لايحتوي على سكر اللاكتوز فقط، وإنما يحتوي على الأنزيمات الهاضمة له في الوقت نفسه «حيث تكون هذه الأنزيمات قليلة عند المولود حديثاً»، وهذا من فضل الله تعالى، فالطاقة الموجودة في حليب الأم وطريقة الاستفادة منها غير موجودة إلا في حليب الأم ولذلك يصاب الأطفال الذين يرضعون حليباً صناعياً باضطرابات هضمية وتلبك في المعدة وهذه حال تعرف طبياً بعدم تحمل سكر اللاكتوز.

لن أشرب ماء أو سكراً
أمعائي بهما تتعكر

الدهون

تتكون الدهون من سلسلة من الأحماض الدهنية، وظيفتها تأمين الطاقة اللازمة للنمو ـ وبخاصة نمو دماغ الطفل ـ ويوجد منها نوعان: أحماض دهنية مشبعة، وأحماض دهنية غير مشبعة.

الأحماض الدهنية غير المشبعة هي المفيدة للجسم وتوجد في حليب الأم بكمية مناسبة جداً لنمو الدماغ وبخاصة الحمض الأميني المسمى حمض اللينوليك الذي يوجد في حليب الأم بنسبة ١٠ أضعاف مما هو في حليب البقر، وهذه الأحماض تؤمن اكتساء الألياف العصبية بطبقة الميلين «النخاعين» الضرورية لوظائف الجهازالعصبي، حيث إن ٨٠ في المئة من دماغ الطفل ينمو خلال العامين الأولين من حياته، وقد يكون هذا هو السر وراء الأمر الرباني للأم بأن ترضع طفلها عامين كاملين (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة:٢٣٣، حيث حددت هذه الفترة للوصول إلى نمو مثالي من غذاء مثالي.

أما الأحماض الدهنية المشبعة فغير مفيدة للجسم ـ وقد تكون ضارة وهذه تكثر في الحليب الصناعي، مما يضطر مصنعو حليب الأطفال إلى نزع بعضها وتعويضها بدهون نباتية لا تتوافق وحاجة الطفل ولا تركيب أجهزته.

إضافة لذلك، فإن حليب الأم يحتوي إنزيم الليباز الذي يساعد على هضم الدهون في أمعاء الطفل حتى قبل أن يبدأ الهضم عنده وهذه معجزة ربانية أخرى «كما في السكريات»، وهذا لا يتوافر إطلاقاً في أي حليب صناعي.

المعادن والأيونات والأملاح

توجد بعض المعادن في حليب الأم مثل الفوسفات والصوديوم والبوتاسيوم والكلوريد والمغنزيوم بكميات قليلة مناسبة ودقيقة حسب حاجة الطفل، لكنها توجد في الحليب الصناعي بكمية كبيرة جداً، وقد حاول مصنعو حليب الأطفال تعديل هذه النسبة لتقارب حليب الأم، لكن الذي يحدث هو أن هذه النسبة تتغير مرة ثانية أثناء تحضير الحليب، حيث كثيراً ما يحدث أن تضع الأم كمية من الحليب المجفف أكثر من المطلوب أو أقل من المطلوب فيختل التركيز ثانية.

وقد ثبت علمياً وجود علاقة قوية بين

كمية الأملاح المستهلكة في السنوات الأولى للحياة والمعاناة من بعض الأمراض، فالأطفال الذين يرضعون حليب الأم «القليل الأملاح» أقل عرضة للسمنة ولارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين، كما أنهم أكثر هدوءاً وأقل عدوانية فهم أصحاء جسمياً وعقلياً.

فحليب البقر يساعد على اكتساب الوزن ربما لأن الأهل يشجعون أولادهم على إنهاء كل الحليب في الرضاعة، ففي دراسة في منطقة بوسطن في الولايات المتحدة وجد أن البالغين في سن الثلاثين الذين أرضعوا حليب الأم خلال الشهرين الأولين من حياتهم أقل عرضة للإصابة بارتفاع الكولسترول وبالتالي تصلب الشرايين وأمراض القلب.

كما أن الكالسيوم الموجود في حليب الأم يمتص من أمعاء الطفل بنسبة كبيرة لأن تركيبه مناسب لأمعاء الطفل، وهذا يجنب الطفل الإصابة بانخفاض مستوى الكالسيوم في الدم، أما الفسفور في حليب الأم فقليل مما يسمح بامتصاص الكالسيوم بعكس الحليب الصناعي الذي يحتوي على كمية كبيرة من الفسفور التي تعيق امتصاص الكالسيوم، أما الصوديوم فقليل وهذا ما يحمي الطفل من الإصابة بالجفاف.

وهناك أصناف من الحليب الصناعي تحتوي على مادة الباليتيك وهي مادة تتعارض مع امتصاص الكالسيوم من الأمعاء، ولتعديل هذا التأثير يضيف مصنعو حليب الأطفال الكالسيوم إلى الحليب للتخلص من هذا التعارض وهذا يؤدي إلى حدوث تلبك في المعدة واضطراب في الهضم.

الحديد والفيتامينات

حليب الأم فقير بالحديد - ولكن نسبة الحديد الذي فيه سهلة الامتصاص بعكس الحليب الصناعي الغني بالحديد، لكنه حديد صعب الامتصاص مما يدفع مصنعو حليب الأطفال لإضافة كميات كبيرة منه مما يسبب صعوبة في الهضم، والتأثير على الجراثيم المفيدة الموجودة في أمعاء الطفل، والإصابة بفقر الدم «الأنيميا»، فعلى الرغم من أن كمية الحديد الموجودة في حليب الأم قليلة فقد وجد أن الطفل الذي يرضع حليب الأم أقل إصابة بمرض فقر الدم من الطفل الذي يرضع الحليب الصناعي.

وحليب الأم غني بالفيتامينات التي يحتاجها الطفل مثل (أ، ج) وبكميات مناسبة مما يجعل حدة الإبصار عند الأطفال الذين يرضعون حليب الأم أفضل بكثير من الأطفال الذين يرضعون الحليب الصناعي.

مواد أخرى

يحتوي حليب الأم على مادة الميلاتونين التي تلعب دوراً في تنظيم الساعة البيولوجية للطفل فتنتظم ساعات نومه ورضاعته.

كما يحتوي حليب الأم على مادة الإندروفين وهي مسكن للألم وبخاصة تشنجات الأمعاء.

١ - يحوي حليب الأم جراثيم نافعة للطفل تسمى العصيات اللبنية، حيث تنمو في أمعاء الطفل وتقوم بدور مهم في هضم وامتصاص الحليب، كما يحتوي على عوامل تساعد على نمو الجراثيم المنشقة المفيدة في أمعاء الطفل وهذه العوامل لا توجد في الحليب الصناعي.

٢ - يساعد حليب الأم على مقاومة الإنتانات المعوية المختلفة، لأنه يجعل البراز حامضياً، ومعروف أن الوسط الحامضي يقتل جرثومة السلمونيلة والإشريكية «إي كولي».

٣ - تكون الإصابة بأكزيما الرضيع عند الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أقل بسبع مرات عن الذين يرضعون حليباً صناعياً.

٤ - حليب الأم طاهر ومعقم «لا يحوي جراثيم» وجاهز في كل زمان ومكان ولا يحتاج لأي أدوات أو إعداد، فكل ما في الأمر أن الأم تخرج ثديها وترضع طفلها، بينما يحتاج الحليب الصناعي لزجاجات الإرضاع «الرَّضّاعة»، وماء مغلياً ومبرداً وحليباً مجففاً و... وقد لا تكون هذه الأدوات متوافرة في كل زمان ومكان، وقد لا تكون هناك إمكانات لشرائها، أو قد يتم تحضير الحليب بطريقة ملوثة فيصاب الطفل بالأمراض، فبدلاً من أن نرضعه حليباً يقوي جسمه، يرضع حليباً ملوثاً بالجراثيم، ولذلك تكون نسبة الوفيات الناتجة عن الرضاعة الصناعية أكثر بـ٣ - ٤ مرات من الرضاعة الطبيعية، كما أن لحليب الأم درجة حرارة ثابتة في كل الرضعات، بينما على الأم أن تبرد الحليب أو تسخّنه عند تحضير الرضعات من الحليب الصناعي.

٥ - تتحدد كمية حليب الأم ونوعيته تلقائياً أثناء الرضاعة وحسب حاجة الطفل، ففي البداية يفرز الثدي حليباً مخففاً «يسمى الحليب المختزن» وهو حليب قليل الدهون والبروتين، غني بالماء والسكريات، وهذا ضروري لإرواء عطش الطفل وتنشيط حركة المعدة وتنشيط إفراز العصارة اللازمة للهضم، وبعد فترة تزداد كمية الدهون والبروتينات أي تزداد القيمة الغذائية للحليب «ويسمى الحليب المنتج» وتكون المعدة جاهزة للهضم وهذا إعجاز إلهي لايمكن لأي رضاعة أن تشابهه.

٦ - تختلف عملية مص الحليب من الثدي أو الرَّضّاعة ففي حال الرضاعة من حلمة الثدي يمر الحليب مباشرة إلى البلعوم دون أن يتراكم في جوف الفم والحلق وبذلك يمكن للطفل أن يرضع ويتنفس بصورة منتظمة بفضل الانسياب المعتدل.

أما في حال الرَّضّاعة من حلمة الرَّضّاعة فيمر الحليب بشكل مستمر ويتراكم في فم الطفل حتى يبلعه ولذلك نراه يتنفس بصورة متقطعة أثناء الرضاعة وقد يدخل الحليب إلى الرئتين بدل المعدة مما يسبب له مشاكل خطيرة أحياناً.

باختصار نقول الرضاعة من ثديي الأم تتم حسب حاجة الطفل ورغبته بينما الرضاعة من الرَّضّاعة هي «تغذية بالقوة» وليس حسب حاجة الطفل.

٧ - منعكس المص:

عندما يجد الطفل حلمة الثدي يدفع بلسانه للأمام ثم للخلف ضاغطاً على الحلمة حتى تلامس سقف الحلق، ثم تنقبض عضلات الوجنتين لتحدث ضغطاً سلبياً يسمح بامتصاص الحليب، وهذا ما يجعل عضلات الفك قوية عند الطفل، أما في حالات الرضاعة الصناعية، فالحليب يتدفق من الحلمة دون جهد مما يؤثر على نمو عضلات الفك عند الطفل.

٨ - منعكس التوجه.

خلق الله سبحانه وتعالى الطفل وزوده بمشعرات خاصة كثيرة ومنها أنه عندما نلمس الفم من أحد جوانبه، فإن رأس الطفل يتجه تلقائياً إلى ذلك الجانب ويبدأ بالبحث عن حلمة الثدي حتى يجدها ويبدأ الرضاعة، ويساعده على ذلك رائحة الشم، حيث يستطيع أن يميز رائحة الثدي ودرجة

حرارته.

في الحال سنفتح أفواهاً

ما إن مس الثدي شفاها

وقد ثبت ذلك بالتجربة فبعد تعطيل حاسة الشم عند حيوان التجربة تقل قدرة الحيوان على البحث عن ثدي أمه، وطبعاً ليس هناك رائحة خاصة بالرضاعة وبالتالي يجب على الأم أن تضع الرَّضَّاعة في فم الطفل وتحافظ على وضعها قدر الإمكان، وقد يسبب ذلك الاختناق أو الإعاج للطفل.

٩ - يحتوي حليب الأم - إضافة للغلوبولينات المناعية المذكورة سابقاً - على الكثير من العوامل المساعدة على زيادة المناعة عند الطفل وأهمها:

- مادة الليزوزيم التي تحلل الخلايا وتقتلها، وهي متوافرة بنسبة تزيد آلاف الأضعاف عن نسبة توافرها في حليب البقر.

- مادة اللاكتوفيرين التي توقف نمو الجراثيم العقدية والعنقودية.

- مادة الموسين المضادة للفيروسات.

- مادة المتممة التي تلعب دوراً في استجابة الطفل المناعية.

- مادة تنشيط نمو البشرة عند الطفل.

١٠ - موت السرير أي «موت الطفل المفاجئ».

تكثر لدى الأطفال الذين يرضعون من الرَّضَّاعة حوادث الوفيات التي يطلق عليها الأطباء وفيات السرير وهي غير موجودة تقريباً عند الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم.

١١ - تؤدي الرضاعة الطبيعية إلى تأخر الحمل وبذلك تتأمن للطفل تغذية أفضل وعناية أكثر حيث تتفرغ الأم له فلا أحد يزاحمه أو يشاركه غذاءه.

فوائد الرضاعة الطبيعية للأم

● الرضاعة الطبيعية عامل طبيعي لمنع الحمل وهي وسيلة آمنة لتنظيم النسل، وخالية تماماً من المضاعفات والمشاكل، فقيام الطفل بمص الثدي يعمل على إفراز هرمون البرولاكتين من الغدة النخامية وهذا ما يزيد من إفراز الحليب من الثدي وفي الوقت نفسه يقلل من إفراز هرمونات التبويض فلا تحدث إباضة وبالتالي يمتنع الحمل طوال فترة الإرضاع وهذا يقلل نسبة وفيات الأطفال.

● إذاً هناك شركة ناجحة تعم فائدتها على الطرفين ليس فقط أثناء الرضاعة وإنما تتخطاها إلى المستقبل البعيد فهي كنز في بناء الأسرة والجو العائلي المترابط والمتلاحم.

● تبين أن الأم التي ترضع طفلها أقل تعرضاً للإصابة بسرطان الثدي من الأم التي تعتمد على الحليب الصناعي لتغذية طفلها.

● تستعيد الأم التي ترضع طفلها رشاقتها وجمالها قبل الحمل وذلك لسببين: الأول لأن الرضاعة الطبيعية تمنع الحمل وبذلك تجد الأم الوقت الكافي لتستعيد حيويتها وصحتها وترتب أمورها، والثاني لأن الرضاعة تستهلك بعض الطاقة (٨٠٠ حريرة)، وهذا أيضاً يعيد لها رشاقتها بعد أن ازداد وزنها أثناء الحمل.

● يؤدي الهرمون الذي يفرز نتيجة مصّ الطفل للحلمة إلى إدرار الحليب وتقبض عضلات الرحم ومساعدة الرحم على العودة إلى حجمه ووضعه الطبيعي كما يعيد عضلات البطن إلى حالها الطبيعية.

● التوازن الهرموني الذي يحدث نتيجة الرضاعة الطبيعية مفيد في تأثير الاضطرابات في سن اليأس.

فوائد مشتركة للأم

● تعطي الرضاعة الطبيعية راحة نفسية وسعادة للأم والطفل فالأم تشعر بأهميتها وبالدور الكبير الذي تقوم به والتضحية التي تقدمها لطفلها، كما يشعر الطفل بالاطمئنان والأمان الذي يعوضه عن الأمان داخل الرحم، فيرضع المحبة قبل الحليب، وغذاء الروح قبل غذاء الجسد، فطريق المحبة يمر عبر ثديي الأم وليس عبر الرَّضَّاعة.

الحدث يروع صاحبه

والضم لصدرك يذهبه

وهذا ينشئ علاقة حميمة وعاطفية بين الأم وطفلها ويقوي الرابطة الروحية بينهما عن طريق لمس اليد والنظر في العيون والصوت والرائحة المنبعثة من الطفل والأم، وبكاء الطفل الذي يدر حليب الأم ولو لم يكن الطفل يرضع.

وحليبك من ثديك يغدق

مادامت عينك بي تحدق

فوائد الرضاعة الطبيعية للمجتمع

أ - حليب الأم اقتصادي وعملي يوفر المال والوقت فيوفر على المجتمع ثمن الحليب الصناعي وثمن الرَّضَّاعات والحلمات والوقود لغلي الماء... وبعملية حسابية بسيطة نجد أن الأسرة تدفع ما يعادل ٧٥ ديناراً سنوياً ثمن علب الحليب، وإذا علمنا أن في العالم الإسلامي ٢٠ مليون طفل يرضعون فستكون التكلفة الإجمالية ١,٥ بليون دينار ثمن علب الحليب فقط ناهيك عن ثمن الحلمات الصناعية.

ب - سبق وذكرنا أن نسبة الوفيات والأمراض تكون مرتفعة عند الأطفال الذين يغذون بالحليب الصناعي مقارنة بأولئك الذين يرضعون من ثُديّ أمهاتهم، حيث يقدر أن عدد الوفيات نحو مليون طفل سنوياً، وهذه خسارة كبيرة للمجتمع بأسره، كما أن أمراض الأطفال نتيجة الرضاعة الصناعية تكلف المجتمع الكثير من المال والجهد.

ج - ذكرنا الرابطة القوية التي تنشأ بين الأم والطفل وهذا يؤدي إلى تكوين أسرة مترابطة في المستقبل القريب والبعيد وتقلل من نسبة الجرائم والانحراف والإدمان وهذا ما يعرفه كل عاقل.

ولأصبح طفلاً ذا شان

أحتاج لنوم الأحضان

د - يؤدي الحمل المتكرر وسوء تغذية الأم إلى سوء تغذية وصحة الطفل، ولو صرفت الأموال التي تدفع ثمناً لعلب الحليب على تغذية الأم لانعكس ذلك على الأم وطفلها والمجتمع بأسره، وقد تبين نتيجة الدراسات أن كل دينار يصرف لتغذية الأم يوفر ثلاثة دنانير على الأقل في معالجة سوء تغذية الطفل - علماً أن هناك أمراضاً لا يمكن شفاؤها ولا بملايين الدنانير.

وأخيراً: من حق كل طفل أن يرضع من ثديي أمه ويتغذى على حليب أمه، ولا يجوز بأي شكل من الأشكال أن نحرمه هذه النعمة الإلهية إلا لمبرر أو عذر مطلق، وما أخطأ من قال: حليب الأم هو الدم الأبيض، فالإرضاع حق للطفل وواجب على الأم وهذا ما أمر الله سبحانه وتعالى أم نبيه موسى - عليه السلام - عندما قال: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) القصص:٧، وكذلك أوصى الله الوالدين إن حدث خلاف بينهما أن ترضع الأم ابنهما امرأة أخرى (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) الطلاق:٦.

فهذا أمر الله، وهذا نداء العقل... فهل من مجيب؟؟ ■

فقه الطلاق في زواج المبتوتة

بقلم : محمد سلامة جبر

المراد بالمبتوتة من طلّقها زوجها ثلاثاً متفرقات، وبذلك تكون قد بانت منه بينونة كبرى بحكم الشرع، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره! وفي وقوع الثلاث بكلمة واحدة خلاف بين الفقهاء.

والسؤال :

هل يحل لمطلقة أن تتزوج من آخر وفي نيتها العودة إليه بعد طلاقها منه ؟

وهل له أن يساعدها الزوج الثاني في ذلك رغبة منه في تسهيل رجعتها ؟

وما الحكم لو امتنعت الزوجة من تمكين الثاني منها، وطُلّقت قبل الدخول ؟!

وهل تصيبهما اللعنة التي وردت في قوله ﷺ : «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له».

يجب التحقق من وقوع الطلاق البائن قبل الحكم به

قلت:

أولاً: ينبغي أن نتحقق من وقوع الطلاق الثالث شرعاً فأكثر حالات الطلاق التي سئلت عنها لا يعتد بها، ولا ينبغي اعتبارها، لوقوعها في حال الغضب الشديد، أو لكونها من قسم الطلاق المعلق الذي يعطى حكم اليمين، وكفارته كفارة يمين، وهذا كقول الزوج لامرأته :

قضايا اجتماعية

«إن خرجت من الدار فأنت طالق».

ومن الطلاق الذي يوقعه على الناس جمهور الفقهاء، وأرجّح عدم وقوعه اتباعاً لمن أفتى بذلك من الأئمة الأعلام «الطلاق البدعي» وهو أن يطلق الرجل امرأته في حال الحيض، أو في طهر جامعها فيه!

والأخذ بعدم وقوع الطلاق في الحالات المذكورة أولى من الحكم بالوقوع، وتحريم المرأة على زوجها تحريماً باتاً حتى تنكح زوجاً غيره!!

وقد أفتى بعدم وقوع الطلاق في الحالات المذكورة أئمة ثقات أعلام، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ومن علماء هذا الزمان، الشيخ عبدالعزيز ابن باز رئيس لجنة الفتوى في المملكة العربية السعودية.

وأرى أن الفتوى بقول أولئك الأئمة المتبعين خير من حمل الزوجين على اللجوء إلى التحليل الممقوت والمهين للمرأة!!

ثانياً: إذا صدر حكم القاضي بوقوع الطلاق الثالث، ولم يلتفت إلى آراء العلماء الميسرين، فإن الحكم يلزم الزوجين كليهما، وليس بوسعهما مخالفته، لأن حكم القاضي ملزم إلا إذا نقضه استئناف أو تمييز.

ثالثاً: إذا ثبتت البينونة الكبرى بحكم القضاء الشرعي، فهل يحل لأحد الزوجين أو كليهما أن يسعيا للتحليل؟

وما الحكم إذا تطوع من علم برغبة الزوجين بالعودة، وتزوج المبتوتة وفي نيته تحليلها للأول؟!

قلت: إذا اشترط على الزوج الثاني أن يطلق بعد الدخول، وكان ذلك الشرط في صلب العقد، فالنكاح باطل، ولا يثبت به تحليل.

أما إذا اشترط عليه أن يطلق بعد الدخول قبل العقد، ولم يذكر الشرط في العقد، ففي صحة ذلك خلاف، وقول المجيزين هو الراجح.

ومن المانعين من صحة العقد على الوصف المذكور الإمام مالك رحمه الله، فقد قال ما حاصله:

«إن نوى الزوج الثاني أن يتزوجها ليحلها للأول، فهو نكاح فاسد مفسوخ، ولها عليه المهر المسمى بما استحل منها، ولا تحل للأول بوطء الثاني لها بذلك العقد الفاسد».

وقال الشافعي وأبو ثور رحمهما الله: «المحلِّلُ الذي يفسد نكاحه هو الذي يُشترطُ عليه في عقد النكاح نفسه أنه إنما يتزوجها ليحلَّها ثم يطلقها، فأما من لم يُشْترط عليه ذلك في عقد النكاح، فهو عقد صحيح لا داخلة فيه «أي: لا شائبة تشوب صحته» سواء شُرط عليه ذلك في عقد النكاح أو لَم يشترط، نوى ذلك أو لم ينو».

هل يحل للمطلقة أن تتزوج وفي نيتها العودة إلى زوجها الأول ؟

بل زاد أبو ثور على مطلّق الجواز فقال: «هو مأجور!».

«وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول الشافعي سواء بسواء» (اهـ.

المحلّى لابن حزم ١٨٢/١٠).

قلت: يتبين مما تقدم أن نية الزوج المحلِّل لا تؤثر في صحة العقد عند الشافعي وأبي حنيفة وأبي ثور، بل زاد أبو ثور فقال: «هو مأجور» فهل هي كذلك نية المرأة؟!

ما الحكم لو امتنعت الزوجة من تمكين زوجها منها وطُلّقت منه قبل الدخول؟

جاء في الحديث الصحيح ما يدل على أن نية المرأة الرجوع إلى زوجها الأول بزواجها من الثاني لا يقدح في صحة العقد، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: «إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي «تعني طلقها ثلاثاً» فتزوجني عبدالرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب «كناية عن عدم قدرته على الوصول إليها».

فتبسم النبي - ﷺ - وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عَسَيْلَتَكِ» اهـ.

قلت: وذوق العسيلة كناية عن الجماع، وهو شرط لصحة التحليل، فكيف تعود إلى رفاعة، ولم يصل إليها عبدالرحمن؟!

وقد استنبط العلماء من الحديث جواز أن تسعى المرأة إلى العودة إلى زوجها الأول، وعدم تأثير نيتها تلك على صحة زواجها من الثاني، وأن رغبتها تلك رغبة سوية لم يلمها عليها النبي - ﷺ - غير أنها لما اعترفت بعدم الدخول للعجز، بقيت على حالها من التحريم!

وكما لا تقدح نية المبتوتة في صحة التحليل، كذلك لا تقدح نية زوجها الأول أو وليها في صحة العقد، ولهما أن يسعيا إلى تزويجها دون أن يشترطا - في صلب العقد - على الثاني تطليقها بعد الدخول، وهكذا لأن الطلاق من الثاني ليس بيد الزوجة أو الزوج أو الولي!!

وهذا نص ما جاء في المغني والشرح الكبير لابن قدامة (٥٧٧/٧) قال رحمه الله:

«العقد إنما يبطل بنية الزوج لأنه الذي إليه المفارقة والإمساك، أما المرأة فلا تملك رفع العقد، فوجود نيتها وعدمها سواء، وكذلك الزوج الأول لا يملك شيئاً من العقد ولا من رفعه، فهو أجنبي كسائر الأجانب» أهـ.

قوله: «إنما يبطل العقد بنية الزوج الثاني لأنه الذي إليه المفارقة والإمساك».

هذا على مذهب مالك وأحمد، أما الشافعي وأبو حنيفة، فقد تقدم أن نية الثاني لا تقدح في صحة العقد، وهو الصحيح الراجح إن شاء الله.

الإمام ابن حزم الأندلسي

اتفق الإمام ابن حزم الأندلسي مع الأئمة القائلين بجواز نكاح التحليل إذا لم يُشرط في العقد، فقال رحمه الله:

«لو رغب المطلق ثلاثاً إلى من يتزوجها ليحلها له، فذلك جائز إذا تزوجها بغير شرط لذلك في عقده لنكاحه نفسه إياها، فإذا تزوجها فهو بالخيار، إن شاء طلقها، وإن شاء أمسكها، فإن طلقها حلت للأول».

«ولو شرط في عقد نكاحها أنه يطلقها إذا وطئها، فهو عقد فاسد مفسوخ أبداً، ولا تحل له به». (اهـ - المحلّى لابن حزم١٠/ ١٨٠).

ومما استدل به ابن حزم والقائلون بالجواز هذه الرواية التي ذكرها في المحلّى عن ابن سيرين قال: «قدم من أهل المدينة رجل ومعه إخوة له صغار، وعليه إزار من بين يديه رقعة، ومن خلفه رقعة، فبينما هو كذلك إذ نزغ الشيطان بين رجل من قريش وبين امرأته فطلقها «يعني الثالثة» فقال لها «بعد انقضاء عدتها»: «هل لك أن تعطي ذا الرقعتين شيئاً ويُحلِّك لي؟».

قالت: «نعم إن شئت».

فأخبروه بذلك، فقال: «نعم» وتزوجها، ودخل بها، فلما أصبحت أدخلت إخوته الدار، فجاء القرشي يحوم حول الدار، ويقول: «يا ويله! غُلِبَ على امرأته!».

فأتى عمر فقال: «يا أمير المؤمنين، غُلِبتُ على امرأتي!!»

قال عمر: من غلبك؟

قال القرشي: ذو الرقعتين.

قال عمر: أرسلوا إليه.

فلما جاءه الرسول قالت المرأة لذي الرقعتين:

«كيف موضعك من قومك؟»

قال: ليس بموضعي بأس!

قالت: إن أمير المؤمنين يقول لك طلّق امرأتك،، فقل: لا والله لا أطلّق! فإنه لا يُكْرِهك، وألبسته حلَّة، فلما رآه عمر من بعيد قال: «الحمد لله الذي رزق ذا الرقعتين.

فدخل عليه فقال: أتطلق امرأتك؟

قال: لا والله لا أطلقها!

قال عمر: لو طلّقتها لأوجعت رأسك بالسوط.! اهـ

قالت: وقد أُعلّت تلك الرواية بالإرسال، لأن ابن سيرين لم

أفتى بعدم وقوع الطلاق في بعض الحالات أئمة ثقات أعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم

يذكر الراوي عن عمر، غير أن الظن به أنه لا ينسب إلى عمر إلا ما صح عنده، ومع ذلك فتلك الرواية ليست هي العمدة في الاستدلال، بل عدم الدليل على النهي هو الدليل على الجواز، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، وفي تقرير هذا يقول ابن حزم:

«وما نعلم لمن خالف قولنا حجة أصلاً، لا من قرآن ولا سنة صحيحة، ولا سقيمة، ولا قياس، ولا سيما قول مالك الذي خص نية الزوج الثاني دون نيتها، ودون نية المطلق» (اهـ - المحلّى ١٠/١٨٥).

الوقاية خير من العلاج

إذا تبين ما تقدم، فإن الحيلولة دون وقوع البينونة الكبرى أولى من إيقاعها، وذلك إذا أخذنا بأقوال العلماء الذين لا يوقعون طلاق الغضبان والسكران، وطلاق من طلق امرأته وهي حائض، أو في طهر جامعها فيه، وذلك ما تأخذ به لجنة الفتوى في المملكة العربية السعودية برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترجيحاً لقول من أفتى بذلك من أئمة السلف والخلف.

ولا ريب أن هذا مما يقلل كثيراً من حالات الطلاق البات الذي يحمل كثيراً من الناس على التحليل الممقوت، وفيه ما فيه من امتهان لكرامة المرأة!

شيخ الإسلام ابن تيمية:

ولقد كان مما يُفتى به إلى أواخر القرن السابع للهجرة إيقاع البينونة الكبرى بالطلاق الثالث بكلمة واحدة، حتى قيّض الله للأمة مجدد المئة الثامنة بحق: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٦٦١ - ٧٢٨هـ) وخالف إجماع علماء عصره، وأثبت بالدليل القاطع أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يقع واحدة، وكانت الفتوى على ذلك في صدر الإسلام إلى أن تجرأ الناس وأكثروا من إيقاع الطلاق، فقال أمير المؤمنين عمر:

«لقد تعجل الناس أمراً كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم!» فأمضاه عليهم!

وكان ذلك منه في زمنه اجتهاداً صحيحاً، لأن الناس كانوا من خيرة الناس، ويسهل ردعهم بأدنى سبب، فأمسكوا عن الطلاق إلى أن تطاول الزمان، وعاد الناس إلى الاستهانة بالطلاق، واستمر علماء الأمصار على الأخذ بفتوى ابن عمر التي قصد بها الردع، فوقعت مآس كثيرة، وتفككت أسر صغيرة وكبيرة، والتجأ الناس إلى التحليل، ولو نظر العلماء في المسألة في ضياء الإسلام ويسر أحكامه، لأدركوا ما أدركه ابن تيمية من حكمة التشريع، غير أنه قدر وقضاء ودهر قد انقضى، فلنأخذ اليوم بما أخذ به علماء السعودية، لِنُضيِّق من دائرة وقوع الطلاق ما أمكن. ■

حقوق الزوجين

بقلم : صالح بن سعيد بن حمد الصخبوري

الزواج في الإسلام عقد مبارك بين الرجل والمرأة، يحل به كل منهما للآخر، ويبدآن به رحلة الحياة الطويلة، متحابين متعاونين متآلفين متسامحين، يسكن كل منهما إلى الآخر، فيجد في صحبته السكينة والأنس والأمن والطمأنينة ولذة العيش وقد صوّر القرآن الكريم هذه العلاقة الشرعية السامية بين الرجل والمرأة تصويراً رائقاً شفيفاً، يشع فيه ندى المحبة والألفة والثقة والتفاهم والرحمة، ويفوح منه عبير الود والسعادة والبهجة والنعيم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم:٢١.

إنها الصلة الربانية في أوثق وشائجها، يعقدها رب العزة بين نفسي الزوجين المسلمين، فإذا هما يلتقيان على الحب والتفاهم والتعاون والتناصح، فيؤنسان الأسرة المسلمة التي تدرج فيها الطفولة، وتتفتح بها أكمام العقول، وتصاغ النفوس على هدي من مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام الحنيف، فإذا الأسرة المسلمة كبنية صلبة في بناء المجتمع المسلم الراشد، وإذا أفرادها أعضاء منتجون بناؤون متعاونون على البر والتقوى متسابقون متنافسون في الصالحات من الأعمال.

قال تعالى: «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف: ١٨٩، يقول ابن كثير: أي ليألفها ويسكن بها فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين.

فقد وصف القرآن العظيم هذه العلاقة وصفاً لطيفاً يعطي هذه العلاقة معناها الإنساني العظيم قال تعالى: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة: ١٨٧، تصف الآية الزوجين بأن كلاً منهما لباس الآخر.

واللباس هو: الشيء الذي يلتصق بجسد الإنسان ويستره ويحميه من العوامل الخارجية الضارة، والمقصود من استخدام كلمة اللباس للزوجين أن علاقة الزواج بينهما من الناحية المعنوية يجب أن تكون مثل ما بين اللباس والجسد من علاقة، يعني أن يتصل قلباهما وروحاهما كل بالآخر وأن يستر كلاهما الآخر ويحمي كل منهما قرينه من المؤثرات التي تفسد أخلاقه وتحط من عزته وكرامته وهذا هو مقتضى المودة والرحمة. ولكي يتم الوفاق والحياة السعيدة - بإذن الله - فلابد من تأمل هذه الحقوق الواجبة للزوج أو الزوجة أو المشتركة بينهما وتدبُّرها وتطبيقها كل حين وإذا قام كل من الزوجين بما لصالحه من الحقوق والواجبات استفاد فائدتين عظيمتين من مرضاة الله:

الأولى: حياة سعيدة واجتماعاً حميداً.

الثانية: ينشأ الأطفال ويتربون على كرم الطباع وحسن الشمائل ولطيف الأخلاق.

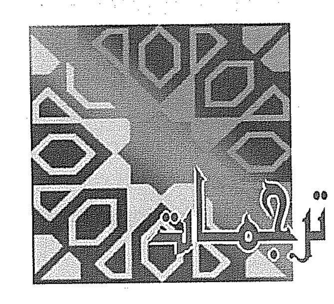
وإذا وقع العقد صحيحاً نافذاً ترتب عليه آثاره، ووجبت بمقتضاه الحقوق الزوجية «وهذه الحقوق ثلاثة أقسام» : منها حقوق واجبة للمرأة على زوجها، ومنها حقوق واجبة للزوج على زوجته، ومنها حقوق مشتركة بينهما، وفيما يلي أكتفي بذكر الحقوق المشتركة بين الزوجين:

- حِلّ العشرة: الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر، وهذا الحل مشترك بينهما، فيحل للزوج من زوجته ما يحل لها منه، وهذا الاستمتاع حق للزوجين، ولا يحصل إلا بمشاركتهما لأنه لا يمكن أن ينفرد به أحدهما.

- حرمة المصاهرة: أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه وفروع أبنائه وبناته، كما يحرم هو على أمهاتها، وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها.

- ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد، فإذا مات أحدهما بعد إتمام العقد ورثه الآخر ولو لم يتم الدخول.

- المعاشرة بالمعروف : فيجب على كل من الزوجين أن يعاشر الآخر بالمعروف حتى يسودهما الوئام ويظللهما السلام : قال الله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) النساء: ١٩. ■



هل تقوم ثورة إصلاحية في روسيا تضع الأمور في نصابها ؟

بينما يستمر الجدل في الغرب حول طبيعة الأزمة المالية في روسيا وسبل العلاج نشرت «الغارديان» مقالاً مطولاً حول مشكلات روسيا بقلم «جيمس ميك» تناول فيه أوضاع روسيا في جميع المجالات وتكهن بحدوث انفجار حاد في المستقبل يضع الأمور في نصابها يقول المقال :

إعداد : عبدالمنعم أحمد

قبل انفجار الأزمة المالية الروسية الأخيرة بفترة طويلة، كان المفترض أن تقرع أجراس الإنذار في البيت الأبيض حول جدوى علاقة الرئيس كلينتون مع الرئيس بوريس يلتسين في موسكو. أما وقد انفجرت قنبلة القروض الروسية، فإن أي نتائج لزيارة الرئيس كلينتون إلى روسيا، سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم إنسانية، لم تعد مجدية، فهذه ليست من الأزمات المعتادة التي يستطيع بوريس يلتسين خوضها، أو حتى الاختباء منها والخروج بعد ذلك سليماً معافى، هذه الأزمة لا نهاية لها.

ولاشك أن العالم أصبح معتاداً على الجدل السخيف الذي يبرر به كلينتون تأييده ليلتسين، ويبدو أن رئاستيهما تزامنتا في الخطوات على مر الأعوام، فقد بدأتا بالكثير من الآمال، وها هما اليوم يتعثران معاً. لقد صفح الغرب عن جميع أخطاء يلتسين بدءاً من حَلّه غير المشروع للبرلمان العام ١٩٩٣م، إلى كذبه المتواصل إزاء الحرب الدموية في الشيشان، وكان هو البادئ بها، إلى تبذيره للأموال الحكومية إبان الحملة الرئاسية العام ١٩٩٦م، وكل ذلك بسبب وجود حليف له على رأس ثاني أكبر ترسانة نووية في العالم.

كان الاتجاه السائد في واشنطن - ولا يزال - أنه مهما كان يلتسين سيئاً، فإنه حتماً أفضل من بديل قومي الاتجاه ومعاد لأمريكا، ومع ذلك، وحتى في إطار ذلك الاتجاه المريب، ظل يلتسين يمثل خطراً متنامياً على المصالح القومية لأمريكا وأوروبا لسنوات عدة، وإذا كان هناك ما هو أخطر من دولة محايدة نووية ، فهي الدولة النووية الصديقة التي لا يحصل فيها العاملون على الأسلحة النووية على رواتبهم لأشهر عدة !!

إن فشل يلتسين في التفاوض حول تسوية في الشيشان والدول المجاورة هو العامل الذي يهدد بتحويل المنطقة إلى مركز جديد للتطرف الديني، والأهم من ذلك أن يلتسين نفسه هو الذي دأب على تخريب الإصلاحات الاقتصادية الليبرالية التي أيدتها الحكومات الغربية، وكانت من عمل أشخاص مؤيدين للغرب مثل، ييغور غيدار وسيرجي كيريينكو. ومن الإنصاف القول إنه ليس من السهل على أصدقاء يلتسين، كالرئيس كلينتون، أن يتوقف عن تأييد زعيم منتخب لدولة تنتهج قدراً معقولاً من الصداقة تجاه الغرب، ولكن من الأمور التي ثبت الآن عدم جدواها، تلك العلاقة الحارة غير الضرورية تجاهه، والجهود الهادفة إلى الاستجابة لرغبته بتلقي الإطراء من قادة العالم، عوضاً عن إجباره على خوض نقاش جاد حول الأوضاع في بلاده، وتفويت الفرص التي سنحت لانتقاده بشكل مؤدب. وهكذا فقد ولت حقبة يلتسين، وولى معها اعتماد روسيا على مساعدات الإنقاذ المالية الأجنبية، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ إلى أين ستتجه روسيا من هنا، وفي الغرب يستمر الجدل حول السبب في ضياع روسيا هل هو الدعم الكثير أم الدعم القليل؟ هل هو تطبيق سياسات غربية صحيحة ولكن بطريقة خاطئة أم أنها السياسات الغربية الخاطئة المطبقة بشكل خاطئ !! وهو جدل مثير للشفقة، ذلك لأن روسيا لم تكن ملكاً للغرب يخسره فجأة، ومع عدم إنكار الأخطاء الفادحة التي ارتكبها المستشارون المستثمرون الغربيون في روسيا، فإن روسيا لا يمكن إنقاذها إذا لم يكن بوسعها إنقاذ نفسها. إن طوق النجاة من جانب صندوق النقد الدولي لا يكفي لإنقاذ غريق دأب على وضع أوزان الرصاص الثقيل في جيوبه. وهناك في الغرب ميل نحو اعتبار روسيا ضحية تجربة رهيبة، تجربة شيوعية من وجهة النظر الليبراليبة الاقتصادية، أو تجربة سياسية من وجهة النظر المعادية للتاتشرية.

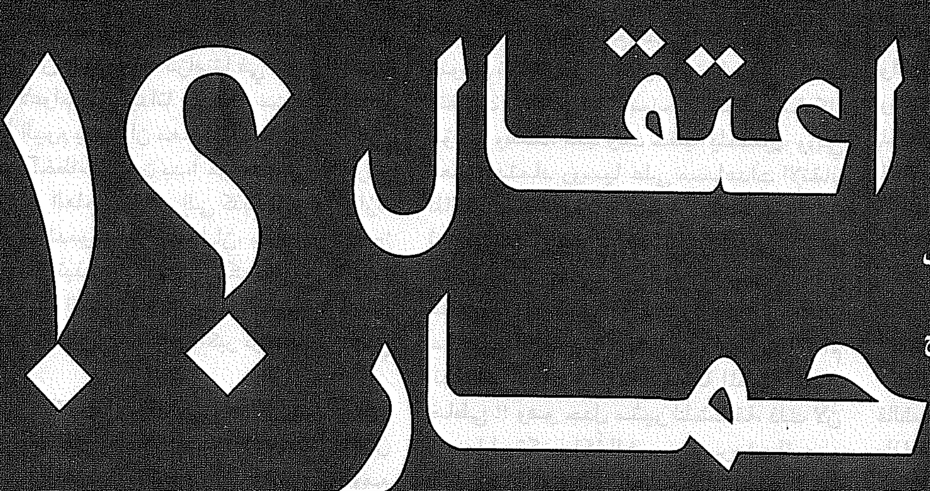
لقد تحركت المؤسسة الروسية السياسية الصغيرة ببطء، ولكن بتصميم مشجّع، في طريق التغيير الصعب، ويبدو أن النتيجة لن تكون - حتى الآن - تدفق الدماء في الشوارع، أو بروز ديكتاتورية قومية متعصبة، إن النتيجة هي تخلي يلتسين عن معظم صلاحياته، وانتقاله بشكل تدريجي إلى مرحلة التقاعد، وتولي القيادة من قبَل الحكومة، وإعطاء دور أكبر للأغلبية البرلمانية في صياغة السياسية الحكومية، وتطبيق برنامج اقتصادي جديد يقوم على الاتفاق على الاستثمار في مجالي الزراعة والصناعة، وعلى تنظيم رسوم الاستيراد ووضع ضوابط نقدية أكثر تشدداً، والحد من الاتجاه القومي المتشدد. وقد يبدو ذلك عملاً ثورياً، وهو بالفعل كذلك... إنه عمل جدي، ولكن طالما لم يتم التوصل إلى اتفاق حول التطبيق بين الرئيس والبرلمان والحكومة، فإن المشاكل ستزداد سوءاً وسيهز التضخم أركان البلاد، ولن يكفي ذلك لمواجهة مشاكل روسيا الأساسية، لأنه لا يكفي لمعالجة الفساد وعجز الحكومة الفيدرالية عن فرض سياساتها على الأقاليم، فهو لا يعالج فوضى الإقطاعيات العرقية التي تنتهك الحريات المدنية وتشفط المساعدات، ولا يفعل شيئاً لمساعدة ملايين الروس المحاصرين في المجتمعات القطبية.

كما أنه ليست هناك أغلبية برلمانية، فالشيوعيون أنفسهم منقسمون انقساماً عميقاً، وإذا ما قرر البرلمان أين سيتم ضخ الروبلات التي تم صكها أخيراً، فإننا لابد سنرى مشاريع تعود بالفائدة على الأنصار والمحاسيب، ولابد والحال هذه أن تصب الأموال الجديدة في المصانع العسكرية والمزارع الجماعية الفاشلة، ليملأ المديرون والإداريون جيوبهم، وليسرق العمال ما يستطيعون سرقته، من دون تحقيق أي فائدة. ومع تقدم الأزمة الروسية، ثمة شعور يوحي بأن هناك في الغرب من ينتظر بفارغ الصبر حدوث انقلاب حاد أو انفجار اجتماعي، ربما اليوم وربما غداً. ■



هذه قصة متنها حقيقي، حدثت في أرض فلسطين وهي واحدة من القصص اليومية التي يعاني منها الشعب العربي الفلسطيني منذ عقود أضفيت على القصة روح التقنية القصصية، ومسحة من الخيال لكي تخرج من حدود الخبر أو الحكاية»

بقلم : محمد السيد



اعتقال حمار؟!

لابد أن العوالم من حولي قد ارتدت ألبسة تنكرية حتى جعلت للغرباء وجوهاً أشبه بالوجوه الأصلية، كانت تلك همهمات دارت في حنجرة العجوز وهو يضع أول قدم له خارج عتبة الباب الخارجي لبيته الريفي العتيق.

كان الوقت باكراً عندما خرج العجوز أبو حامد من منزله، وكان الهواء الندي ينشر أجنحة رخية، ممزوجة برذاذ ناعم، ينفثه ذلك الصباح التشريني الغائم، ومع ذلك فقد كان إصرار العجوز على متابعة السير نحو عمله عنيداً، لذا فقد بدأ خط سيره بقولته: فليكن ما يكن، لقد تعلمت في المدارس والكتاتيب كثيراً، وعملت كثيراً، وعشت كثيراً.

كان الجو الماطر ينمو شيئاً فشيئاً، كلما ابتعد العجوز عن منزله، وبين الحين والآخر يمد أبو حامد كفه فيمسح لحيته الكثة البيضاء، ليزيل عنها القطرات المتراكمة ثم يميل بالكف إلى مساحة وجهه الخالية من الشعر، فيفرك به الجلد والأنف، قابضاً على أرنبة أنفه، التي يبللها الرذاذ المتبوع بالهواء الرطب، ومع ذلك الإصرار العنيد على الذهاب إلى العمل الذي أبداه أبو حامد، فإن حركة قدميه كانت مثقلة بالثمانين عاماً التي تكدست فوق كاهله المنحني، ورسمت على سحنته أخاديد واضحة المعالم متميزة الخطوط.

والمئذنة التي لا تنحني».

فجأة توقف أبو حامد عن المشي، واستدار بجميع جسده نحو قريته القريبة من رام الله، ومد بصره الواهن خلال الضباب المتقطع، فلم يتبين له من منازل القرية سوى أشباح تغيب وتظهر برتابة وحينئذ نقل بصره نحو قدميه اللذين لفهما نعل متهافت، لم يرق له المنظر فتمتم ببضع كلمات:

«رحماك يا رب... وحدنا كتب علينا أن نتجرع هذا البلاء القيم»!.

وفي الحال عاجلته دمعتان حارتان، نالتا من أطراف فمه، فجعلت الملوحة ترتاد حنجرته، فتتحدث موجات من السعال الحاد، الذي اضطره لوضعية القرفصاء، ريثما ذهبت الموجة الداهمة، فسوى ثيابه المبتلة وغذ السير الثقيل من جديد، واضعاً الأفق الغربي نصب عينيه آملاً أن يصل باكراً إلى مكان العمل، بينما كانت تدور في رأسه فكرة تلح عليه ولم تغادره منذ لحظة خروجه.

غير أن كل ما تحدث به الشيخ، وكل ما لاقاه من متاعب الطريق لم ينسه موضوع الحمار المعتقل، بل إنه وجد لسانه يدير الكلام عنه قائلاً:

«كل شيء ولا حكاية الحمار، الذي اتهموه بمساعدة ابني عمرو في القيام بأعمال مقاومتهم... ها... ها... ها... إنه يستحق التهمة، وإلا كيف يترك عمرو يركبه، أو ينقل عليه الخضار المبطنة بأدوات المقاومة؟! عاش المدعي العام، الذي اكتشف جناية الحمار بعبقرية! فأمر بشاحنة عسكرية حضرت إلى منزلي مع ثلاثة جنود، واعتقلوا الحمار بتهمة المشاركة في عمليات الإخلال بالنظام العام.

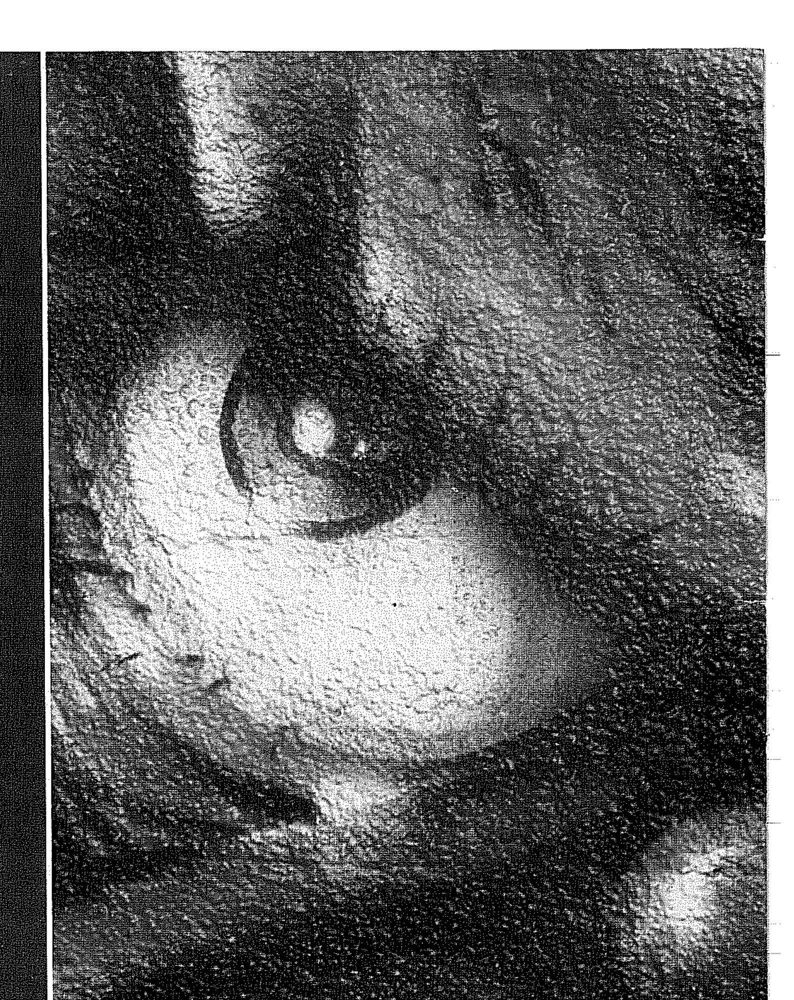
لقد قلت لهم وقتها: إنني كما ترون شيخ عجوز، وقد قتلتم ولدي قبل فترة.

وهذا الحمار ينقلني إلى حيث عملي، فأبقوه لي، إنه دابة لا تعقل ولا تقدر، وقد انتقمتم ممن كان يسخره كما تدعون..!

لكن جوابهم لي لم يكن أكثر من نكتة، إني أسمعه هذه اللحظة يتردد، فيسحق بضجيجه وغبائه حفيف الرذاذ الناعم، ويطحن بآلته العجماء ذرات الإنسانية.

أتدرون ماذا قالوا لي: «أنتم وحيواناتكم تتآمرون على دولتنا، حتى حميركم تقض مضاجع زعمائنا!!».

«إيه شر البلية ما يضحك»، واستغرق أبو حامد في قهقهة صاخبة، وهو يردد بلهجة متهدجة: لقد أكلوا المواسم، وأشعلوا نيران القتل بمواعيد السلام...!! لكنه فجأة صمت واتجه بكليته إلى مكان عمله، وفتح ثيابه عن صدره الأشيب مستقبلاً به الريح والرذاذ، حاثاً



«إيه، هموم العيش كثيرة! حتى الحمار استكثروه علي! إنهم يحاولون إسكات أنين الأرض».

خرجت الكلمات من حنجرته حشرجة، فقد اختلطت هناك بدمعة غالبت جفنه، وضيقت في قلبه مساحة الصبر، إذ انتمت تلك اللحظة التي ساومته إلى عصر البراكين.

عند آخر حرف نطقه أبو حامد من تلك الجملة، مد إحدى يديه بصورة «لا إرادية»، ورفع طاقية الصوف التي كان يعتمرها، بينما راحت يده الأخرى تمسح جلدة رأسه الذي خلا من الشعر إلا قليلاً منه، بقي شاهداً على ما كان من عز لذلك التاج، مثلما بقي هو يمثل البقية الباقية ممن ذاقوا طعم العز لحظات من الزمن فوق تراب هذه الأرض.

«إيه يا زمن، ما أعجب ما يجري! لو أن بي قوة ما تركته لهم، لكنها مغامرتي الأخيرة، في عالم من حولي تتنكر فيه الوجوه!

ردد الشيخ هذه الكلمات في حسرة، ولكنه لم يتوقف عن الكلام، حتى أضاف كلمات ترددت مع موجات الريح مسموعة حية رطبة.

«لا تتماوت أيها العجوز، فأنت الزيتونة العتيقة

الخطى بهمة لم يعهدها من قبل، بينما رفرفت روحه الشفيفة خلف ذكريات ولديه وأشياء أخرى. نقلت من قلبه كلمات لامست أطراف شفتيه وكأنه حلم يقول:

«تلألأت سنوات العمر نجوماً بين جفني، حملت شلالاتها الصدق والإيمان والزيتون، وجنات القرية الحالمة، وحبات التين المعسولة».

«هدلت بضع حمامات على مقربة من النهاية التي تناوشني» قالت إحداهن: «الليل لا يمحوه إلا النهار».

وقالت ثانية: غصن الزيتون لا يحمله إلا السيل الجارف».

وقالت ثالثة: «الموت لا يحجبه برق الجبن».

وقالت رابعة: «والسواعد الناصعة المتينة أشرعة النهار...».

وعند نهاية قولة الرابعة: خُيِّل إليه أنه يسمع صوت نداء يقول: «يا شيخ يا شيخ. كان الصوت عميقاً رخيماً، وبلا إرادة منه دار ببصره إلى الجهة التي أتاه منها الصوت، بينما كانت ابتسامة عريضة مستبشرة تناوش محياه، فتمتلئ بها أساريره رويداً رويداً... إذ تراءت له في الفضاء صورة عمرو فانطلق لسانه يصيح:

- هذا أنت يا عمرو؟ ابني عمرو...!! ابني عمرو! كيف أنت يا بني؟ ولكن قل لي: ألم ... أل... ألم... تعلم أنهم يريدون مني أن أقدم لهم طلباً لاسترداد حمارك».

- يا إلهي ... هذا هو أخوك محمد أيضاً... لقد اجتمعنا من جديد!!

وفجأة مرت سيارة جيب عسكرية فرشت وجه العجوز أبي حامد بماء انطلق من تحت عجلاتها حيث لامست بركة، تجمع فيها الماء وسط الطريق.وهنا أفاق العجوز من الحلم الذي كان يعيش معه فترة غير قليلة من الطريق، فأخذ يدور حول نفسه، يتفقد الرؤى ويبحث عن الأولاد، غير أن صوتاً أتاه من الخلف يقول:

- أهلا بالعجوز «المتشبشب»، ماذا فعلت بنفسك يا رجل؟! أبهذا الجو البارد تفتح صدرك للريح، وتلقي بقدميك له.

- أبو صالح لا تمزح.

قالها أبو حامد دون أن يلتفت إلى صديقه وابن قريته، ثم تابع سيره، متظاهراً بالتوجه لاستلام العمل الذي وصل إلى مكانه للتو، لكن أبا صالح لم يدعه يذهب دون أن يقول له:

- ولكن يا شيخ، يا أبا حامد، لقد جاءتك رسالة من الحاكم العسكري.

- ها... هل تعرفوا إلى حماري الذي اعتقلوه؟ ومضى أبو حامد بعيداً مضيفاً: لماذا يفطنون ويركزون على موضوع الحمار، وينسون كل شيء القتل... الاحتلال... الإذلال.

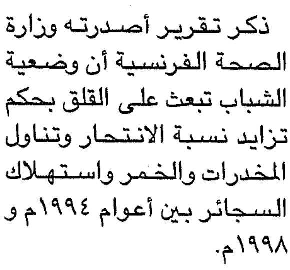
- يا أبا حامد ... إن رسالة المستشار قالت:

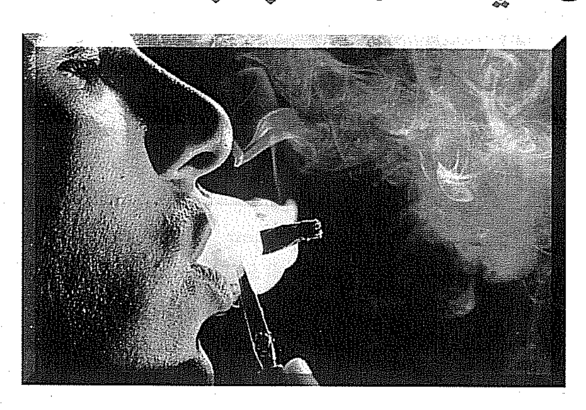
«إن هناك حماراً معتقلاً منذ سنة لدى جيش الدفاع، بتهمة القيام بأعمال عدائية ضد الدولة، ولم يتعرف أحد على ذلك الحمار، بل لم يتقدم أحد للمطالبة به، إننا نعرف أن الحمار المعتقل ملك للعجوز أبي حامد، وأن العجوز يذهب إلى مكان عمله مشياً على الأقدام، لذا قررنا الإبقاء على اعتقال الحمار جزءاً من العقوبة لأبي حامد». لم يحفل أبو حامد بما قاله صديقه أبو صالح، بل توجه مسرعاً إلى غرفة رب العمل... وهو يتمتم، اليوم سوف أكشف عن الوجوه التنكرية إن شاء الله.

وفي الطريق إلى غرفة رب العمل تناول قضيباً حديديا غليظاً، ثم دخل الغرفة من دون أي مقدمات، راح يضرب رب العمل الصهيوني على رأسه، بكل ما أوتي من قوة، ومن دون كلل، حتى سقط العدو على الأرض، وعندئذ راح الشيخ يصيح بأعلى صوته... رغم الوجوه التنكرية، فأنا ولي الدم... أنا ولي الأرض... هل تفهمون؟!. ■



قلق في صفوف شباب فرنسا !





ذكر تقرير أصدرته وزارة الصحة الفرنسية أن وضعية الشباب تبعث على القلق بحكم تزايد نسبة الانتحار وتناول المخدرات والخمر واستهلاك السجائر بين أعوام ١٩٩٤م و ١٩٩٨م.

وذكر التقرير أن نسبة الانتحار ارتفعت في أوساط الشبان الذين تقل أعمارهم عن الخامسة والعشرين من ١١,٥ في المئة إلى ١٤ في المئة، بينما لم تتجاوز نسبة ٢,٢ في المئة بين أعوام ١٩٧٥م و ١٩٩٦م، وأكد التقرير أن الانتحار أصبح السبب الثاني في وفيات الجيل الجديد بعد حوادث المرور.

وبعد ارتفاع نسبة تناول الكحول في أوساط الشباب الذي صار هاجساً لا يقل خطورة عن الانتحار، إذ لم يعد استهلاك الكحول يقتصر على الذين تجاوزوا سن الخامسة والعشرين، وإنما امتد إلى المراهقين أيضاً، وحسب التقرير، فإن ٦٠ في المئة، من الشبان يتناولون الكحول اليوم بصفة منتظمة مقابل ٤٠ في المئة عام ١٩٩١م، والأدهى من ذلك إقبال بعضهم على تناول أنواع الكحول القوية والمضرة للصحة، واحتل التدخين بدوره مكانة بارزة في تقرير خبراء وزارة الصحة، حيث كشف أن ٣٥ في المئة من الشبان والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة يدخنون بشكل مستمر، ويبدو أن هدف تخفيضها إلى ٢٠ في المئة قبل عام ٢٠٠٠ أصبح بعيد المنال، وربما يعد ضرباً من المستحيل، علماً أن نسبة تدخين الفتيات تزداد من يوم لآخر.

وتبلغ نسبة الفتيات اللاتي يتعاطين المخدرات «الحشيش والماريغوانا» ١٢ في المئة بينما تصل نسبة الشبان الذين يتعاطونها إلى ١٨ في المئة، وخلافاً للتوقعات، فإن أبناء الكوادر العليا يعدون من أكثر الشبان استهلاكاً للمخدرات، إلى جانب أبناء المطلقين أو المنفصلين.

السعوديون يرمون ألف طن من الورق سنوياً

قدّر موظفون في القطاعين الحكومي والأهلي بالسعودية كمية الورق التي لا يستفاد منها بأكثر من ألف طن من أصل ٥٣٤ طناً تستورد سنوياً. ولأهمية هذا الموضوع يعقد معهد الإدارة العامة في الرياض ندوة عن ترشيد استخدام الورق ومنتجاته في القطاعين الحكومي والأهلي، حيث يناقش على مدار ثلاث جلسات بحث ميداني معدّ من قبل معهد الإدارة بالإضافة إلى ١٢ ورقة عمل أعدتها جهات حكومية وأهلية، وفي هذا الصدد قال الدكتور صلاح بن معاذ المعيوف مدير إدارة الندوات والمؤتمرات في المعهد أن الموضوع الذي تبحثه الندوة مهم جداً، إذ إن الأرقام تؤكد أن الكمية المستهلكة من الورق ومنتجاته في السعودية ضخمة جداً ومكلفة ونسبة تدويرها بعد استخدامها متدنية جداً، مما يضاعف الكلفة المادية ويشكل عبئاً على الاقتصاد الوطني.

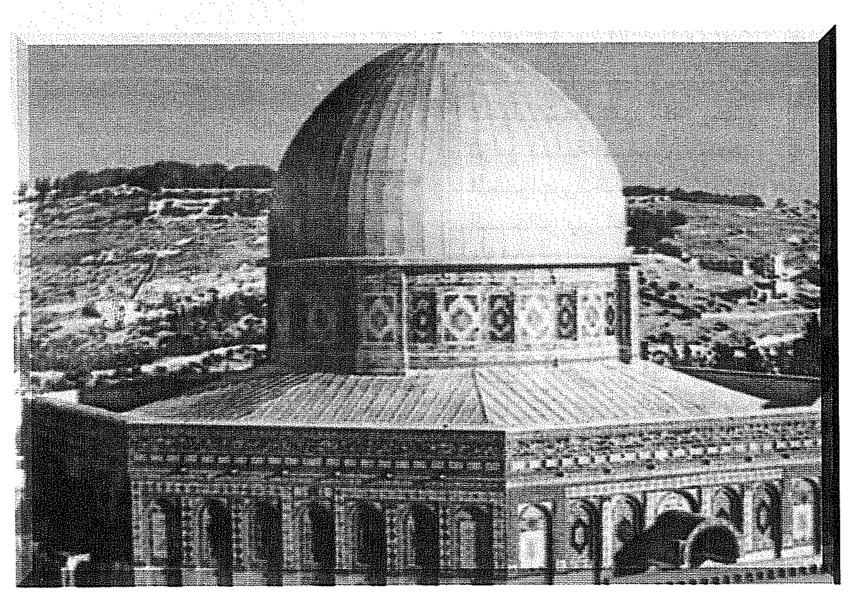
وأوضح: «إن الإحصاءات الرسمية تشير إلى أننا استوردنا عام ١٩٩٦م كمية من الورق بلغت ٥٣٤ طناً بتكلفة ٢٢٩٥ مليون ريال (٦١١ مليون دولار). وبالرغم من أن عدد مصانع إنتاج الورق في السعودية قد تجاوز ١٠٠ مصنع، فإن معدل الاستيراد ما زال في حال ارتفاع كبيرة». من جهة أخرى وجه فرع المعهد النسوي الدعوة للمسؤولات في الأجهزة الحكومية والأهلية لحضور هذه الندوة في قاعة الخنساء في فرع معهد الإدارة النسوي بالرياض، حيث ستنقل فاعليات الندوة عبر شبكة الميكروويف مباشرة بالصوت والصورة.

حصة الفرد العربي من الاستثمار التكنولوجي ٢٠ دولاراً في السنة

قدّرت دراسة أعدها اتحاد المصارف العربية أن متوسط حصة الفرد في الدول العربية من الاستثمار في التكنولوجيا وتطويرها لا يزيد حالياً عن ٢٠ دولاراً في السنة، في حين أن هذا المتوسط بات يزيد عن ٢٠٠ دولار في الولايات المتحدة.

وشددت الدراسة على ضرورة توسع المصارف والمؤسسات المالية العربية في الإنفاق على التكنولوجيا، مشيرة إلى التطور الذي تحقق في السنوات الأخيرة، أسهم في رفع معدلات النمو بواقع ٢ في المئة سنوياً، إلى ٨ في المئة العام الماضي، بعدما كان بحدود ٦ في المئة في العام ١٩٩٦م، وشملت خطط تطوير التكنولوجيا التي باشرت المصارف العربية اعتمادها، استخدام أنظمة الكمبيوتر وأجهزة الصرف الآلي، واستخدام أنظمة الحواسب المتطورة إلى جانب المشاركة في أنظمة الدفع والمقاصة الفورية.

مشــروع احتلالــي جديــد في القــدس



بدأ المجلس الإسلامي الأعلى ومجلس الأوقاف في مدينة القدس بتنظيم حملة إعلامية واسعة النطاق في الداخل والخارج لكشف مؤامرة احتلالية جديدة تأخذ شكل مشروع بريء تعمد بلدية القدس إلى تنفيذه يتلخص بإقامة مترو للأنفاق تحت الأرض يصل أحد الأسوار الغربية للمدينة القديمة بحائط البراق الغربي للحرم القدسي الشريف والذي يطلق عليه اليهود «حائط المبكى». وتهدف الحملة إلى كشف النقاب عن المخطط الإسرائيلي الجديد الذي يحاول التسويف على أهدافه الحقيقية، لأن القدس كما أكد مفتي الديار الفلسطينية الشيخ عكرمة صبري والمهندس رائف نجم أحد كبار الخبراء بتاريخ القدس قائمة على عدد كبير من الأنفاق والقنوات والممرات الأرضية مما يعني أن أي عمل تقوم به السلطات الإسرائيلية الاحتلالية باتجاه تنفيذ مخططها بإقامة النفق يعني تعرض أساسات مدينة القدس القديمة بما فيها المقدسات الإسلامية والمباني التاريخية والأثرية إلى خطر الانهيار. وفيما أعلنت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أن مشروع الأنفاق الذي يمتد قرابة الـ ١٠٠٠ متر يهدف إلى تخفيف الضغط والازدحام وإيجاد وسائل نقل إضافية تساعد على حل هذه المشكلة، إلا أن المجلس الإسلامي الأعلى في مدينة القدس أكد أن الخطورة الداهمة للمشروع على مدينة القدس بأكملها وفي حال تنفيذه تتلاشى أمامه جميع الحجج والمبررات الاحتلالية، حيث لا يمكن لها أن تصمد أمام الآثار السلبية الداهمة والمؤكدة على المدينة في حال تنفيذ المشروع لا قدر الله.

واعتبرت أوساط المجلس الإسلامي الأعلى في القدس وفلسطين أن مجرد تفكير سلطات الاحتلال بمثل هذا المشروع هو بحد ذاته يشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقات واي بلانتيشن الأخيرة، لأنه تصرف من جانب واحد، ومن قبل إسرائيل في أرض محتلة لا يجوز لها الإقدام على أي عمل منفرد كما أكد ذلك الاتفاق علاوة على أن القدس عربية إسلامية ظاهرها وباطنها وما فيه حاضرها ومستقبلها.

عدد سكان إسرائيل ستة ملايين

بينهم ١,٢٤ مليون فلسطيني



بلغ عدد سكان الكيان الصهيوني حتى نهاية شهر سبتمبر من العام الحالي ستة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين و ٧٦٠ ألف يهودي، ومليون و ٢٤٠ ألفاً من العرب وقوميات أخرى. ونقلت صحيفة «هاآرتس» الصهيونية عن مكتب الإحصاء المركزي الصهيوني أن التقديرات الإحصائية أظهرت أن عدد سكان الكيان الصهيوني خلال السنوات السبع الماضية زاد مليون نسمة وأن ما نسبته ٥٩٪ من هذه الزيادة ناتجة عن الزيادة السنوية الطبيعية و ٤١٪ ناتجة عن الهجرة الخارجية، حيث وصل إلى إسرائيل خلال السنوات السبع الماضية ٥٢٠ ألف مهاجر جديد معظمهم من رابطة الدول المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي السابق بعد انهياره عام ١٩٩١م.



الأموال «المغسولة» ٧٠٠ مليار دولار

تضاعفت المبالغ التي غسلت عبر عصابات المافيا ثلاث مرات خلال فترة ثماني سنوات، وأوضح نورمان انكستر رئيس الانتربول السابق ورئيس مؤسسة التحقيقات والأمن في مؤسسة «كي.بي. أم. جي» فخرو البحرينية أن مجموع هذه الأموال زادت من ٢٣٣ مليار دولار العام ١٩٩٠م إلى نحو ٥٠٠ مليار دولار العام ١٩٩٦م، إلى ٧٠٠ مليار دولار في أكتوبر ١٩٩٨م، وطالب انكستر في ندوة عقدت أخيراً في المنامة بتنسيق الجهود محلياً وإقليمياً وعالمياً لمجابهة هذه الجريمة التي تهدد الأمن الاقتصادي. وأكد أن الهدف الرئيسي من هذه الندوات، التي سيعقد مثلها في كل من مسقط ودبي وأبو ظبي والرياض والدوحة والقاهرة، هو التعاون مع المراقبين والمشرعين وقطاع البنوك في البحرين والمنطقة للمساعدة على حماية سمعة عملاء البنوك والمؤسسات المالية، وفي نهاية الأمر حماية البحرين كمركز مالي ومصرفي مهم في الخليج والمنطقة العربية.

تحذير من مجاعة جديدة في الصومال

أعلن برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة أن آلاف الصوماليين الجائعين بدؤوا ينزحون بحثاً عن طعام في أول بادرة على أزمة غذاء تلوح في الأفق وتهدد نحو ثلاثة أرباع السكان البالغ عددهم مليون نسمة، وقال بوركي أوبرلي ممثل البرنامج في الصومال: «هناك بوادر أزمة إنسانية في حين يشهد الصوماليون الآن ضعفاً في المحاصيل للعام الثالث».

وأكد البرنامج أن الصوماليين يتحركون جماعياً إلى المناطق الساحلية وإلى الحدود الجنوبية مع كينيا، وقال: إن نحو ٧٠٠ ألف صومالي يواجهون نقصاً وشيكاً في الغذاء منهم ٣٠٠ ألف يواجهون تهديداً أكبر في وسط الصومال. وقال البرنامج: إن محصول الحبوب الرئيسي في الصومال حقق أقل إنتاج له منذ خمس سنوات في أغسطس الماضي، وأكثر المناطق تضرراً هي باي وباكول الكثيفتا السكان في الجنوب، وأكد مسؤولون محليون أن الفيضانات اجتاحت كذلك ٢٥ قرية في الجنوب في منطقة وسط جوبا بعدما فاض نهر جوبا على ضفتيه، وفرت مئات الأسر من ديارها بعد أن غمرت مياه الفيضان مزارعها، ويقول البرنامج إن هناك حاجة ماسة للمعونات فوراً «للحد من أزمة إنسانية أوسع» في الصومال وطلب مبلغ ١٨ مليون دولار للوفاء بحاجات الأكثر تعرضاً للخطر حتى يونيو العام المقبل في حين ان القتال المستمر بين الفصائل المتناحرة في جنوب البلاد يعرقل أعمال الإغاثة.

أول كلية إسلامية باللغة العربية في بريطانيا

قرر المجلس البريطاني التصديق للهيئة الرسمية المخولة إعطاء الجامعات والمعاهد العليا في بريطانيا الحق في ممارسة التعليم العالي، منح هذا الحق لأول كلية إسلامية في بريطانيا لتدريس الشريعة الإسلامية باللغة العربية على المستوى الجامعي، وقال علي مرسل مدير قسم التسجيل في «الكلية العالمية للعلوم الإسلامية» التي تأسست العام ١٩٩٠م، وتتخذ من لندن مقراً لها، لـ «الشرق الأوسط» إن هذا الاعتراف يعطي الثقة للطلاب في المؤهلات التي تمنحها الكلية ويساعد على استقطاب الكثير منهم. وأضاف: «إن المجلس صادق في أكتوبر الماضي على طلب الكلية بعد أربعة أعوام من تقديم الطلب وتخريج ٤٠ طالباً بدرجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية.

وقال: «إن هذا الاعتراف سيشجع الطلاب على الانتساب للكلية مباشرة والتعليم عن بعد، بالإضافة إلى أنه سيشجع الطلاب الإنكليز على الانتساب أيضاً، حيث إن الكلية مازالت تفتقر إلى هذا النوع من الطلاب».

وحالياً تقدم الكلية خدماتها التعليمية لـ٢٥ طالباً «تعليم مباشر» و٤٠٠ طالب منتسب «التعليم عن بعد» من العالم العربي وآسيا وأفريقيا، وتطمح في إنشاء ٢٦ مركزاً في جميع أنحاء العالم وذلك لإتاحة الفرصة للطلبة لتقديم امتحاناتهم في بلدانهم دون الحاجة للقدوم لمركز الكلية في بريطانيا، وفي فبراير هذا العام، قبلت الكلية كعضو عامل في اتحاد جامعات العالم الإسلامي بعد مؤتمره الذي عقد في جامعة قناة السويس في مصر أبريل العام ١٩٩٧م.

كل مواطن تركي مديون بألفي دولار

بينت أرقام معهد الإحصاء الحكومي التركي أن كل مواطن تركي مديون بمبلغ (٢٠٠٠) دولار من الديون الخارجية أو الداخلية التي تتحملها تركيا.

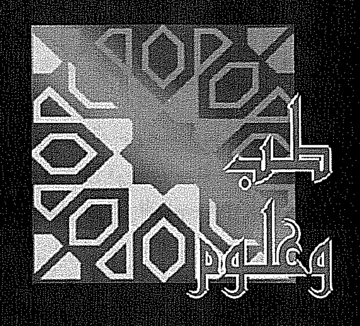
وقال معهد الإحصاء إن ديون تركيا الخارجية بلغت ٩٤ مليار دولار، بينما بلغت الديون الداخلية نحو ٤٥٦ مليار دولار منها ٢٣,٥ مليار ذات الأمد القصير.

وذكر المعهد أن الموازنة الوطنية لتركيا للعام المقبل لم تتجاوز ٦١ مليار دولار يتوقع أن تخصص ثلثي هذه الموازنة لفوائد الديون الداخلية والخارجية وأقساطها المتراكمة والتي تدفع الحكومة للسعي من أجل إيجاد مصادر جديدة للاستقراض الداخلي والخارجي.

١٢٠ ألف حالة طلاق سنوياً في فرنسا

جاء في استطلاع جديد أجرته وكالة النصائح والإرشادات والاستطلاعات والتحليل الفرنسية أن ٩٠٪ من الفرنسيين يخشون الطلاق ويعتبرونه مشكلة شخصية واجتماعية مؤلمة، كما أن ٧٨٪ منهم يرونه دليل فشل في الحياة الشخصية في حين ذهب ٧٤٪ منهم إلى أنه من أعقد الحالات الاجتماعية، في الوقت الذي اعتبره ٢١٪ قضية عادية.

ويذكر أن المحاكم الفرنسية تفصل في ١٢٠ ألف حال طلاق سنوياً (١ من كل ٣ حالات زواج)، والملاحظ أن الطلاق يكثر في المدن، وفي باريس بوجه خاص (٢ من ٣ حالات زواج)، وأن حالات الطلاق لم تكن تتجاوز الأربعين ألف حالة سنوياً عام ١٩٧٠م، وأكد الاستطلاع المذكور أن ٧٣٪ من حالات الطلاق تتم بطلب من المرأة و ١٥٪ فقط من الرجال يحصلون على حق رعاية أطفالهم.



بقلم: عبدالرزاق زعال

الاكتئاب مرض العصر

ما الاكتئاب؟

الاكتئاب هو نوع من المرض النفسي يشبه الرشح الجسماني، وحالات الاكتئاب تتراوح بين الإحساس بالتعاسة والخمول وبين أفظع الأحاسيس السوداء المؤدية إلى الإقدام على الانطواء.

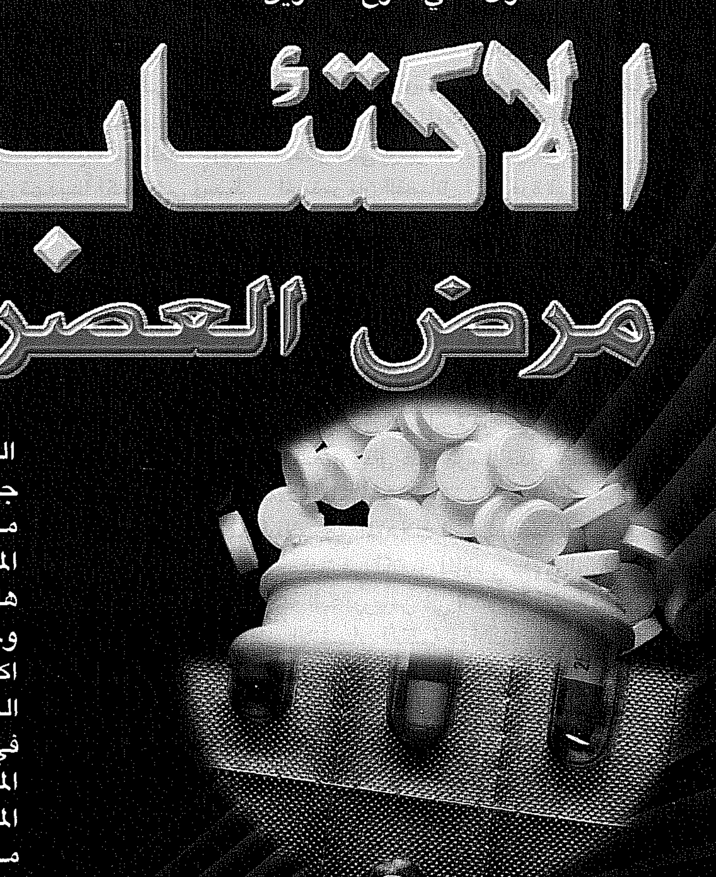
وقد يحدث أحياناً أن يكون الإنسان مصاباً بالاكتئاب سنوات طويلة من دون أن يدرك ذلك، وهو لا ينتبه إلى وضعه النفسي إلا إذا لاحظ عليه الطبيب ذلك، وعلامات الاكتئاب تتجسد عموماً بعدم الرغبة بالحياة والإحساس بأنه لا طعم للأشياء وصعوبة الإحساس بالفرح والبهجة وأسباب السعادة الأخرى التي تفرح الآخرين.

إن الاكتئاب كما ورد في كتب الطب النفسي اكتئاب شديد ومتوسط وخفيف وقديماً كان يقسم إلى اكتئاب ذهاني واكتئاب عصابي وهو أخف وطأة ولكن في الحقيقة أن التقسيمات لأنواع الاكتئاب مسألة نسبية والحالات تتداخل أحياناً، فالاكتئاب الذهاني هو شديد الدرجة وقد يتضمن حالات ذهانية من هلوسة ومخاوف ويقترب من الجنون والرغبة في الانتحار والاكتئاب كغيره من الأمراض النفسية قد تكون له أسباب وراثية أو لا تكون، ووجود العامل الوراثي يعني أن الشخص يولد وعنده استعداد للإصابة بالاكتئاب بسبب أن الأم أو الأب أو كليهما كانا مصابين به ولكن إصابته ليس قطعية إلا إذا توافرت لها الظروف، كذلك فإن الظروف الاجتماعية السلبية قد تساعد على الإصابة بالاكتئاب إذ إن الشخص في هذه الحال يفقد الصلة بالواقع ويصل به الأمر إلى النفور والعزلة وأحياناً الرغبة في الانتحار.

أما الاكتئاب العصابي فيبقى أخف وهو يتجسد بالإحساس بالحزن واليأس من الحياة والتشاؤم وانخفاض الطاقة الجسمانية مع أعراض أخرى كاضطراب النوم والدخول في نوبات رعب وهذه الأعراض المتعلقة بالاكتئاب العصابي إذا استشرت قد تؤدي إلى الرغبة أيضاً في الانتحار.

أسباب الاكتئاب

أكد تقرير أصدرته جامعة كولومبيا أن الإصابة بالاكتئاب في تزايد مع كل جيل من أجيال القرن العشرين، حيث يظهر الاكتئاب على نطاق واسع في مختلف الأوساط الثقافية، جاءت النتيجة بناء على دراسات مستمرة منذ العام ١٩١٥ وحتى الآن... أن ٤٣ ألف شخص من أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية والمنطقة العربية وآسيا والدول المطلة على المحيط الهادي يعانون من الاكتئاب، وقد اكتشف فريق من العلماء أن الاكتئاب يمكن أن يكون مرضاً معدياً وقد اتجهت الشكوك إلى مرض «البورنا» الذي يصيب الحيوانات بالاضطراب والخمول، ووجد أن هناك عناصر جينية لهذا الفيروس لدى مرضى الاكتئاب بنسبة ٣٠٪ مقابل ٥٪ لدى الأفراد الطبيعيين، كما أن العلماء المتخصصين يبذلون قصارى جهدهم لمعرفة أسباب الاكتئاب، هل هي بسبب الظروف المحيطة فقط؟ أم هي عوامل وراثية وجينات محدودة أيضاً؟ ما هي هذه الجينات وكيف يتم اكتشافها وتحديدها؟ وبناء على ذلك سيتم صنع العلاج الجديد في هذا المجال وجد العلماء أن هناك جينات تتحكم في حال الاكتئاب والقلق الذي يصيب الناس، بعض العلماء المتخصصين يعتقدون بأن الأسباب الوراثية تشكل نصف المشكلة فقط، وأن الظروف المعيشية والحياتية تلعب دوراً مهماً، فمثلاً: رئيس حملة مكافحة الاكتئاب البريطانية البروفسور «روبن بريست» يقول: إن المشكلة تزداد حدة ولا



نعرف إن كانت موجة الاكتئاب سببها البطالة أو اتجاه عام يسيطر على حال المجتمع، أما العوامل الوراثية فإنها تشكل نصف الأسباب المرضية.

والمعلومات المتوافرة لدى «حملة مكافحة الاكتئاب» المذكورة تقول إن ٦٥٪ من الرجال الذين يصابون بالاكتئاب تكون مشاكل الطلاق والانفصال سببا في اكتئابهم.

الاكتئاب ينتقل بالعدوى

من المعروف أن الإنسان المكتئب أو المحزون، إذا ما اتصل بإنسان مرح متفائل، فإنه، مهما بلغت كآبته، لابد وأن ينتقل إليه، ولو شيء قليل، من عدوى المرح والتفاؤل، ومثل هذه العدوى لا تحدث اعتباطاً ولا تنتقل كضربة حظ، تصيب أو تخطئ، بل إن لها، على ما يبدو جذوراً علمية، فقد ثبت للبحاثة النفسانيين بعد دراسات وأبحاث كثيرة، أن عواطف الإنسان، جيّدها ورديئها، قابلة للانتقال من شخص إلى آخر عن طريق العدوى، وإن قوة عدواها لا تقل عن قوة عدوى فيروسات الزكام.

وإذا أردنا التبسط في ذلك، جاز لنا الادعاء بأن الإنسان يستطيع أن يقتبس من محدثّه أو جليسه بعضاً من بهجته وسعادته، وكذلك كآبته.

وأهم من مجرد العلم بهذه الحقيقة، كما يقول الخبراء، أنه ما أن يفهم الإنسان كيف يستطيع حماية نفسه من آثار العواطف المعدية، فإنه يصبح قادراً على تلقيح نفسه بالمصل الواقي من العواطف السيئة.

والشيء الملاحظ على الدوام أن العدوى المزاجية بنوعيها السوداوية والمستبشرة تنتقل من شخص إلى آخر كلمح البصر، وتفسر الدكتورة إيلين هاتفيلد أستاذة علم النفس في جامعة هاواي - هونولولو، هذه الظاهرة الخاطفة السرعة، بقولها إن تأثر الشخص بمزاج جليسه، بهذه السرعة التي لا تصدق، متأصل الجذور في غريزته البدائية، بمعنى: أننا أثناء انخراطنا في الحديث مع بعضنا بعضاً، نكون ميالين بطبعنا إلى محاكاة ومطابقة تعابيرنا الوجهية وحركاتنا وإيقاع كلماتنا حتى تكون مماثلة لتعابيره وحركاته وإيقاعات كلام الشخص الآخر، وعن هذا السبيل، كما تقول هذه العالمة الأمريكية، تكاد تتمازج مشاعر الاثنين، المتحدِّث والمتحدَّث إليه، أي أن هذا التطابق يجعلنا مكشوفين لمشاعر الطرف الآخر ومتأثرين به عاطفياً.

الكآبة وعلاقتها بأمراض القلب

إن الأشخاص الذين يعانون من كآبة شديدة معرضون لخطر الإصابة بالذبحات القلبية أكثر من الأشخاص الذين لا يشعرون بالكآبة أبداً وذلك وفقاً لدراسة نشرت في صحيفة سيركيوليشن. الباحثون في مدرسة جون بكنزل للصحة البشرية الذين درسوا التاريخ الطبي لـ ٢٠٠٠ شخص اكتشفوا أن الأشخاص الذين تعرضوا لكآبة شديدة كانوا مستعدين أكثر من غيرهم للإصابة بالذبحات القلبية.

قالت: «لورابرات» المساهمة في هذا البحث إنه يمكن لنتائج هذه الدراسة أن تغير طريقة العناية الأساسية التي يتبعها الأطباء في معالجة الكآبة.

وأضافت أنه يمكن للأطباء الآن أن يدخلوا في اعتبارهم حال الكآبة عندما يحللون العوامل التي تسبب ذبحات قلبية مثل التدخين والكوليسترول المرتفع وضغط الدم المرتفع.

أيضاً أشار الباحث وليم إيتون إلى أنه بما أن الدواء يؤخذ لأننا نشك بأن الكآبة هي التي تسهم في النوبات القلبية، بياناتنا تقترح أن الكآبة هي التي تسبب خطر الإصابة بالنوبات القلبية وليس دواء معيناً.

هل هناك علاقة ما بين نوعية الغذاء وحالات الاكتئاب؟

ليس هناك دليل علمي على وجود علاقة بين الغذاء والاكتئاب ولكن عموماً يجب على الإنسان أن يتناول غذاء متوازناً للحفاظ على صحته وأن سوء التغذية هو أحد أسباب الاكتئاب، بمعنى أن فقدان بعض الفيتامينات الضرورية لصحة الإنسان قد يساعد على ظهور حال الاكتئاب ولا سيما مجموعة فيتامينات «ب» وينصح بالنسبة للأطفال المصابين بالاكتئاب تجنب إعطاء الحلويات والشكولاته لأنها تسبب زيادة في الطاقة والتوتر، وأخيراً فإن المشروبات المحرّمة وكذلك المخدرات من أهم دواعي الاكتئاب فالمدمن عليها لابد وأن ينتهي به الأمر إلى الاكتئاب.

علاج الاكتئاب

إن علاج الاكتئاب قد يكون بإعطاء الحبوب المضادة للاكتئاب والتي تقوم بتغيير المعادلة الكيماوية في الدماغ وقد يكون العلاج علاجاً للأعراض إذا كان العارض قلة النوم فتعطى الحبوب التي تساعد على النوم وإذا كان العارض هو قلة الشهية فتعطى الحبوب المنشّطة للشهية، كذلك يجب على الطبيب النظر في الظروف الاجتماعية المحيطة وإرشاد الأسرة إلى تحسينها من خلال جلسات جماعية نفسية وجلسات عقلية للمريض والتي يكون هدفها تحسين طريقة تفكير المريض حتى يحسن الظن ويتخلص من تفكيره السلبي بالناس والأحداث. ■

المراجع والمصادر:

١ - دراسات نفسية واجتماعية.
٢ - دراسات في الطب النفسي.
٣ - مجلة طبيبك العدد ٤٦١ أيلول سبتمبر ١٩٩٦م.
٤ - صحيفة تشرين السورية الأعداد : ٦٢٤٥ - ٦٧٧٢ - ٦٨١٨.
٥ - صحيفة الثورة السورية العدد: ١٠٢٩٧.

الدعاء في رمضان

لكي يعيش المسلم في أجواء رمضان وحتى لايستغرقه الطعام يستحب له الدعاء عند الإفطار بقول الرسول - ﷺ : «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى» رواه أبو داود، أما إذا تناول المسلم طعام الإفطار عند غيره، فيدعو لهم بقول رسول الله - ﷺ - : «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلّت عليكم الملائكة» رواه أبو داود، والدعاء عند الفطر مجاب لقول الرسول - ﷺ - : «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم» رواه أحمد.

من هدي كتاب الله

قال الله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾

البقرة : ١٨٣ - ١٨٤



حكمة

قال أحد الحكماء: إن الدنيا تقبل إقبال الطالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصول الملوك، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير، وعيشها قصير، وإقبالها خديعة، ولذاتها فانية، وتبعاتها باقية، فاغتنم غفوة الزمان، وانتهز فرصة الإمكان، وخذ من نفسك لنفسك، وتزود من يومك لغدك.

من هدي رسول الله ﷺ

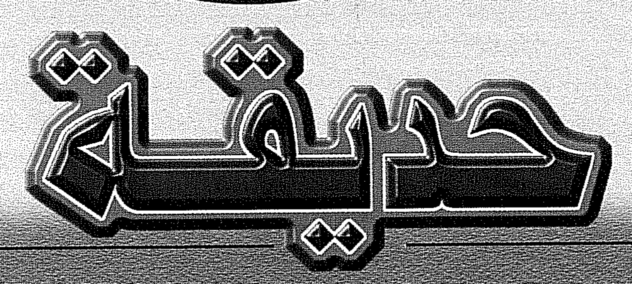
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال :

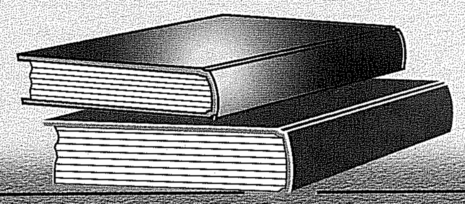
«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليله القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

رواه البخاري ومسلم والنسائي

المروءة

سأل ابن زياد أحد الأعراب يوماً : ما المروءة فيكم؟ قال : هي أربع خصال : أن يعتزل الرجل الريبة، فلا يكون في شيء منها، فإنه إذا كان مريباً كان ذليلاً، وان يصلح ماله، فإن من أفسد ماله لم تكن له مروءة وإن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه بلا توان، حتى يستغنوا به عن غيره، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم تكن له مروءة، وإن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه، فإن المروءة ألا يختلط على نفسه في مطعمه ومشربه.





إعداد :
أحمد عبدالجبار

ماذا نجد في القرآن الكريم؟

حُكي أن أم غزوان الرقاشي قالت لابنها غزوان، وكان من الأتقياء الصالحين، وقد رأته يقرأ في المصحف يا غزوان.. أما تجد في هذا القرآن بعيراً قد ضلَّ لي في الجاهلية؟ فما نهرها غزوان، بل قال: أمة الله.. أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

ألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث

الذراع: اليد من كل حيوان وهي أيضاً ما يزرع بها ويجوز في كل منهما التذكير والتأنيث، والغالب التأنيث، والجمع ذرع وذرعان، وقال سيبويه: لا جمع لها غير أذرع.

- الكأس: هي القدح المملوء من الشراب، ولا تسمى كأساً إلا وفيها الشراب، جمعها كؤوس وأكؤس قال تعالى: (بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) وقال أمية بن أبي الصلت:

من لم يمت عبطة يمت هرماً

للموت كأس والمرء ذائقها

عظة

قال بعض الصلحاء: لنا من الناس كل بيت عظة بحاله، وعبرة بماله، وقال آخر: من لم يتعظ بموت ولد، ولم يتعظ بقول أحد.

وكان الربيع بن خيثم يقول لأصحابه: أتدورن ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود.

تربية

قال أردشير لابنه: يا بني إن الملك والعدل إخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالملك أُسٌّ والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أُسٌّ فمهدوم، والملك إذا لم يكن له حارس فضائع!

ثلاثة لا تعرف إلا عند ثلاثة

ذو البأس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

خير من أن يكون بليداً

يروى أن الحجاج قال للغضبان بن القبعثري: لأحملنك على الأدهم، فقال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، قال: إنه الحديد: قال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً، يريد الحجاج بالأدهم القيد، وبالحديد المعدن المعروف، وقد حمل القبعثري الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود، وحمل الحديد على الفرس الذي ليس بليداً».

أربع تولد المحبة

قالوا: أربع تولد المحبة: حسن البِشر، وبذل البِّر، وقصد الوفاق، وترك النفاق.

صحبة الرجال

قال الأحنف بن قيس لابنه وهو يعظه: يا بني إذا أردت أن تصاحب رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك من نفسه فلا تدع صحبته وإلا فاحذره.

قالوا في إناث الحيوان

قال أهل اللغة في إناث الحيوان: الأنثى من الذئاب سلقة وذيبة، والأنثى من الثعالب ترملة وثعلبة، والذكر ثعلبان، والأنثى من الوعول أروية، وثلاث اراوٍ إلى العشرة، فإذا جاوزت فهي الأروى، والأنثى من القرود قشبة وقردة، والأنثى من الأرانب عكرشة، والأنثى من الأسود لبؤة، بضم الباء والهمزة، والأنثى من العصافير عصفورة، ومن النمور نمرة، ومن الضفادع ضفدعة، ومن البرذون برذونة.

الجبان

قال أحدهم يصف جباناً: إذا أحس بعصفورة طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهاده، ويفزع من صرير الباب، ويقلق من طنين الذباب، وإذا نظرت إليه شزراً أغمي عليه شهراً، يحسب حفيف الرياح قعقعة الرماح وقد عبر عن هذا المعنى قول الشاعر:

إذا صوت العصفور طار فؤاده

وليث حديد الناب عند الشدائد





دراسات عن الرسول الكريم ﷺ

صدر عن المشروع القومي للترجمة الذي يرعاه المجلس الأعلى للثقافة والترجمة العربية كتاب «مصادر دراسة التاريخ الإسلامي» تأليف جان سوفاجيه وكلودكاين.

الكتاب يرصد الكتب الأجنبية المكتوبة عن التراث الإسلامي في مجال الدين والتاريخ والجغرافيا والحملات الصليبية والمماليك.

من أهم فصول الكتاب ما تم رصده من مصادر وأبحاث عن الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أورد المؤلفان عدداً من هذه الدراسات منها «تاريخ الإسلام» لـ«كاتياني»، وهو في عشرة مجلدات، وحياة محمد وتعاليمه لـ«شبرنغر»، وهو في ثلاثة مجلدات، وكتاب «محمد» وكتاب «حياة محمد» لـ«موير»، و«حياة محمد» أيضاً.

ويصدر المؤلفان كتباً أخرى عن الرسول منها «محمد - حياته وعقيدته» باللغة السويدية، وترجم إلى الإنكليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية، وكتاب «محمد في مكة»، لـ«ريمومبين» و«وات» وللمؤلفين أيضاً كتاب: «محمد في المدينة».

وبجانب هذا، يسرد المؤلفان ما تم جمعه من المصادر العربية عن الرسول ونوها بكتاب «السيرة» لابن هشام، وقد نشره فوستفلد في مجلدين (١٨٥٨ - ١٨٦٠)، والسقا والأبياري العام ١٩٣٦م، وترجمه إلى الإنكليزية جييوم العام ١٩٥٥م.

وقد قدم المستشرق منهاوزن العام ١٨٨٢م تحقيقاً لكتاب: «المغازي للواقدي في القاهرة العام ١٩٤٨م، ونشر جونز تحقيقاً له العام ١٩٦٤م، أما كتاب «الطبقات» فقد نشره «ساخا» وآخرون في خمسة عشر مجلداً صدرت بين ١٩٠٥م و ١٩٤٠م.

النهج القويم للخلق السليم

إن إعوجاج السلوك الذي يعانيه مجتمعنا اليوم إنما هو نتاج بعدنا عن الآداب الإسلامية المنبثقة من التشريع الرباني الحكيم، وليعيد المسلم شخصيته المتسمة بصفات المعالي لابد من تقويم السلوك فهو الأساس الذي يبنى عليه الصرح، ولابد من غرس هذه السلوكيات منذ الطفولة حيث التكوين الحقيقي لشخصية الإنسان.

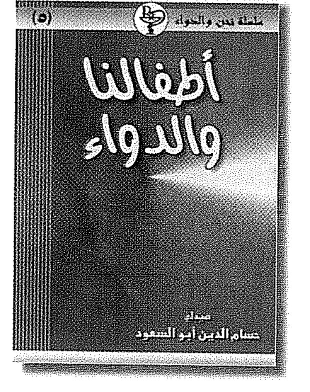


يتناول «كتاب النهج القويم للخلق المستقيم» سلوك المسلم في شتى مجالات الحياة، ويقدمها للأطفال الأعزاء مع صور ملونة وتمارين ممتعة، وهو من إعداد نيرة محمد عبدالعليم، وإصدار دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة بالمملكة العربية السعودية. يتألف الكتاب من أجزاء متعددة، كل جزء يتناول النهج الذي سلكه معلم البشرية خير البرية في أحد جوانب الحياة، مدعماً بالأدلة من السنة النبوية، وفي النهاية يحوي الكتاب تدريبات وتمارين وألعاب تناسب سن أطفالنا الأعزاء ليتعلموا أمور دينهم، والجزء الأول يتحدث عن الهدي النبوي في آداب الزيارة وهو منهج للوالدين لتعليم الأطفال الآداب الإسلامية ومساعد للمعلمين والمعلمات في المراحل التعليمية الأولى. سيصدر الكتاب باللغتين العربية والإنكليزية، ثم يتبع الإصدار الأول إصدارات بلغات أخرى.

دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية

عن دار المنارة صدر كتاب «دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية» للكاتبة ثريا شاهين، ترجمة د. محمد حرب، حوى الكتاب الكثير من الوثائق والحقائق التي تكشف دور الإرساليات والمدارس والمؤسسات التي عملت على تقويض بنيان الدولة العثمانية بالتنسيق مع القوى الخارجية التي كانت تتربص بها الدوائر وتنتهز الفرصة المناسبة للإجهاز على ما أسموه «الرجل المريض» وفي رسالة وجهها البطريرك «جريجويوس» إلى قيصر روسيا، والتي توضح الكيفية التي يتهم بها الدولة العثمانية من داخلها، تقول الرسالة: إن كل مزايا الأتراك العثمانيين وبطولاتهم وشجاعتهم إنما تأتي من قوة تمسكهم بدينهم، وارتباطهم بأعراضهم، وتقاليدهم، وصلابة أخلاقهم، لذا لابد من كسر شعور الطاعة عندهم تجاه سلطانهم وقادتهم، وتحطيم روحهم المعنوية وروابطهم الدينية، وأقصر الطرق لتنفيذ هذا تعويدهم التعايش مع أفكار وسلوكيات غربية غريبة لا تتواءم مع تراثهم الوطني والمعنوي».

أطفالنا والدواء



صدر الكتاب الخامس من سلسلة «نحن والدواء» للصيدلي حسام الدين أبوالسعود الذي يتناول فيه الثقافة الطبية الدوائية باللغة العربية للقارئ العادي والمتخصص لتجنب الأضرار الناجمة عن الاستخدام السيئ للدواء. وقد تناول الكتاب مواضيع عدة خاصة بالطفولة مثل: الرضاعة الطبيعية ومزاياها المختلفة ومشاكلها للأم والطفل... والدواء ولبن الثدي... مساوئ الرضاعة الصناعية... الفطام... تغذية الأطفال وأمراض سوء التغذية تطعيمات الأطفال وجداولها وجرعاتها... أمراض الأطفال الشائعة مثل الكساح والإسهال والإمساك وأنيميا الفول والسكري... إلخ، أدوية الأطفال وكيفية تحديد الجرعة الدوائية المناسبة للطفل... الأخطار التي يتعرض لها الأطفال مثل التسمم... بالإضافة إلى جدول يوضح أهم الاختصارات المستخدمة في كتابة الوصفات الطبية. هذا وقد صدر ضمن السلسلة الكتب الآتية:

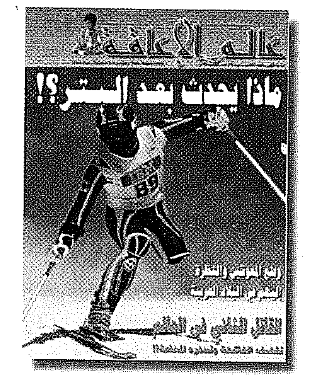
١ ـ كتاب «الدواء شفاء وداء»: وقد فاز بجائزة أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا في جمهورية مصر العربية لعام ١٩٩٧م، في مجال الثقافة العلمية وتبسيط العلوم باعتباره أول كتاب في المكتبة العربية يتناول الثقافة الدوائية بأسلوب يفهمه القارئ العادي والمتخصص.

٢ ـ كتاب «حواء والدواء»: وتناول كل ما تريد المرأة معرفته حول الأدوية وتأثيرها عليها أثناء المراهقة والدورة الشهرية والحمل والرضاعة وعلاج العقم... وأمراض فوضى الطعام وطرق الريجيم المختلفة.

٣ ـ كتاب «دواء من القرآن والسنة»: وقد تناول بعض المعلومات حول القيمة الغذائية والدوائية والطبية لبعض الأشياء التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل عسل النحل والتمور والألبان.

٤ ـ كتاب الـ«فياغرا والأدوية الجنسية»: وهذا يعتبر أول كتاب ظهر في العالم العربي يتناول الـ«فياغرا» ويوضح أسباب الضعف الجنسي المختلفة والأدوية المستخدمة في علاجه قديماً وحديثاً بجانب الاحتياطات الواجب مراعاتها قبل تناول دواء الـ«فياغرا» بالإضافة إلى أنه أوضح الحقيقة الكاملة حول هذا الدواء وآثاره الضارة التي ظهرت ـ ومازالت حتى الآن ـ وقد صدر هذا الكتاب في مايو الماضي ١٩٩٨م.

العدد الخامس من «عالم الإعاقة»



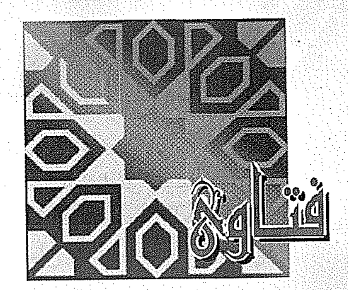
صدر العدد الخامس من مجلة «عالم الإعاقة» حافلاً بالكثير من القضايا الحيوية والتحقيقات الجادة التي تناقش وضع المعاقين والنظرة إليهم في البلاد العربية. وأول ما يطالعنا فيه افتتاحية الدكتور محمد بن حمود الطريقي رئيس التحرير تحت عنوان: «عندما يتحول التقدم العلمي إلى لعنة تاريخية» الذي يعالج فيها قضية غاية في الأهمية وهي القوة الروحية في الإنسان، ويقول: «نعلم أن البشرية عاجزة عن المكابرة، بعد اليوم فهي مدعوة إلى وضع ديكارت في قفص الاتهام، ومحاكمته بتهمة الخيانة العظمى للإنسانية، لأنه أنكر القوة الروحية في الإنسان وخدع البشرية بدور المادة المطلق فجعلها كافية لحياة الإنسان وسعادته.

ويحتوي العدد على ملف كامل عن السرطان بعنوان: «القاتل الثاني في العالم: تقتله الفاكهة وتدمره المناعة» وفيه كل المعلومات عن السرطان في حياة الإنسان وطرق علاجه والوقاية منه. وتحت عنوان خطط، يبرز حواراً مع وزير الشؤون الاجتماعية اللبناني ووزير التربية والتعليم الأردني حول الإعاقة في الوطن العربي.

وجاءت قضية العدد بعنوان: «ماذا يترتب على المعاق بعد البتر؟» وكذلك السلوك المرتبط بلبس الطرف الصناعي لتغطي جانباً مهماً جداً للمعاقين، كما تتناول زاوية الشيخوخة والرعاية الصحية الأولية للمسنين وشباب النفس وشباب الجسد، والاستراتيجية الدولية نحو شيخوخة صحية، وكذلك فن تغذية المسنين وتحت عنوان «دنيا الطفولة» جاء موضوع صحة الطفل وتعليمه على مشارف القرن الحادي والعشرين كقضية مهمة يطرحها العدد، وكذلك قضية ضرب الأطفال من أجل التهذيب... مرفوض!

أخبار ثقافية

- تدشن مؤسسة الملك فيصل الخيرية خلال شهر يناير الجاري أول مشروعاتها الأكاديمية «الجامعية الأهلية» بافتتاح كلية البنات الأهلية في جدة، ويأتي هذا المشروع انطلاقاً من اهتمامات المؤسسة في تلبية احتياجات المجتمع السعودي العقلية ومواكبة الخطط التنموية لحكومة المملكة العربية السعودية من خلال تطوير وتأهيل العنصر النسائي الوطني.
- عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت صدر لرفعت سيد أحمد كتاب بعنوان «الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر» حيث تناول فيه الكاتب خريطة الحركات الإسلامية في مصر تاريخياً وواقعاً معاصراً.
- وافق وزراء الثقافة العرب يوم ١٩٩٨/١١/٢١م على انطلاق عقد عربي للتنمية الثقافية (١٩٩٨م - ٢٠٠٧م) يتزامن مع العقد العالمي الذي أعلنته اليونيسكو في وقت سابق من العام الحالي وسيساعد العقد الذي أقره المؤتمر الحادي عشر لوزراء الثقافة العرب في إطلاق مشاريع نموذجية تكرس التكامل بين روافد الثقافة العربية مع مراعاة الخصوصيات المحلية في إطار الخطة الشاملة للثقافة العربية التي وضعت في العام ١٩٨٥م.
- عن مركز الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة صدر كتاب «الصهيونية الدينية - مدخل تاريخي» للدكتورة «أنيتا شايبرا» وترجمه إلى العربية «الدكتور محمد أبو غدير»، وقدم له الدكتور محمد خليفة حسن، والكتاب يتناول طبيعة الحركة الصهيونية والخلافات الدائرة حول هذه الطبيعة بين المذاهب الصهيونية المختلفة من ناحية، وتيار «الحريديم» الذي رفض الفكرة الصهيونية لإنشاء دولة لليهود في فلسطين، واعتبر ذلك استعجالاً للنهاية، لعدم ظهور المسيح المخلص على عكس التيار الديني القومي الذي قبل الفكرة الصهيونية.



عذاب القبر

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ عبداللطيف ونصه كالتالي :

ما حكم عذاب القبر ونعيمه في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة؟ وما حكم من أنكر عذاب القبر ونعيمه؟ وما موقف الحاكم «ولي الأمر» في حكم منكر عذاب القبر ونعيمه؟

أجابت اللجنة بما يلي : ثبت عذاب القبر في القرآن بطريق الإشارة في قوله تعالى في شأن فرعون وآله: (النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) سورة غافر: ٤٦، وثبت صراحة في أحاديث صحيحة وكثيرة حتى قيل بتواترها، فيجب الايمان بثبوته فمن أنكره فهو فاسق ولا يحكم بكفره، لأن عذاب القبر وإن قيل بتواتره فهو ليس من الأمور التي علمت من الدين بالضرورة، وعلى الحاكم أن يعلم ذلك ويكشف شبهته، فإن أصرّ بعد كشف الشبهة يؤدب، ولا سيما إن كان يدعو لإنكار عذاب القبر. والله أعلم.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.

والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها.

ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا وحتى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا حتى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

أخذ الأجرة مقابل العمل ورخصة المحل

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ عدنان ونصه كالتالي :

أنا مواطن كويتي كنت موظفاً بوظيفة جيدة ولله الحمد، وقد عرض عليّ شخص صديق تاجر، الدخول معه في تأسيس ترخيص شركة ذات مسؤولية محدودة، وذلك لعمل صناعي وتجاري قائم أساساً منذ سنين يملكه هو ويديره، وهو يعلم أنه ليس لديَّ رأس مال.

ونظراً لحاجته إلى ترخيص يكفل استمرار عمله التجاري مع عماله عرض عليَّ راتباً شهرياً يفوق مرتبي الحكومي بنسبة معقولة، مع التأمين على مرتبي لدى مؤسسة التأمينات الاجتماعية، كما في راتب الحكومة، وقد أخبرته أن قانون الخدمة المدنية لا يسمح للموظف أن يؤسس شركة أو يعمل بالتجارة، فأخذ يغريني ويرغبني بالعمل التجاري وبزيادة مرتبي مستقبلاً، وأخبرني أن عملي سيكون بالشركة «مديراً إدارياً»، والعمل يعتمد على توقيع بعض الأوراق الإدارية الخاصة بالشركة مع المراجعة لبعض الدوائر الحكومية حين الحاجة ودون الالتزام بدوام معين.

ومما يجدر الإشارة إليه أنه قال لي حرفياً وبصراحة : إنه كان باستطاعته الحصول على ترخيص لعمله التجاري عن طريق الإيجار بمبلغ ١٠٠ دينار شهري، لكن حبه لأمانتي وثقته بي كما يقول جعلته يحرص على العمل معي أنا بالذات في هذه الشركة، وهذا ما دعاه إلى ترغيبي لترك الوظيفة ونظراً لاطلاعي على فتوى لشخص كويتي لديه ترخيص فردي تجارة ومقاولات استفتي لجنتكم الموقرة في :

١ - تأجير الترخيص ؟

٢ - أخذ نسبة من قيمة العمل التجاري ؟

٣ - تقييم الترخيص بملغ من المال ... وقد أجزتم له تقييم الترخيص.

ونظراً لحرصي ولله الحمد على استبيان طرق الحلال والتحرز من أكل الحرام أستفتي لجنتكم الموقرة في :

١ - هل في مرتبي شبهة أو حرمة أم لا شيء فيه ؟ علماً أن شريكي هو الذي دعاني للاستقالة من وظيفتي نظير العمل معه.

٢ - إذا كان في مرتبي شبهة أو حرمة ما حكم الرواتب التي استلمتها طيلة الثلاث سنوات وأنا متزوج ولدي أولاد وأسكن بالإيجار.

٣ - إذا لم يكن هناك سبيل ولا حل إلا تقييم الترخيص، فهل المقصود تقييم ٥١٪ من الترخيص التي تمثل حقه.

٤ - فرضاً أني عرضت موضوع تقييم الترخيص على شريكي ورفض الفكرة وطلب الاستمرار على طريقة الراتب فما الخيار؟ وجزاكم الله خيراً.

أجابت اللجنة بما يلي :

إن الطريقة التي تعامل بها صاحب السؤال مع صاحب الشركة «بأن يمكنه من استخدام الترخيص الصادر باسمه وأن يقوم بمهام مدير إداري حسب الحاجة لقاء مبلغ شهري» ليست مندرجة في إحدى الطرق الثلاث الواردة في سؤال الفتوى ٨٣/٢٥، التي اطلع عليها السائل، لأن تلك الفتوى بشأن أخذ مقابل على الترخيص دون عمل.

وأما هذه الصورة الواردة في السؤال فإن الراتب جزء منه مقابل العمل، وجزء منه «وهو المقدر بمئة دينار شهرياً» مقابل التمكين من استخدام الترخيص، أي مقابل الكفالة والضمان.

وبناء على ذلك أضافت اللجنة :

إن الراتب الذي يتقاضاه السائل سابقاً أجر على عمل مشروع، باستثناء المبلغ المقدّر لقاء استخدام الترخيص، فإنه مقابل الكفالة، والأصل في الكفالة أنها من باب التبرع وفعل المعروف، فعلى السائل أن يتخلص من ذلك المقابل فيصرفه في وجوه الخير.

والله أعلم.

استثمار أموال القُصّر

عُرض على اللجنة السؤال الاستفتاء المقدم من السيد عبدالله ونصه التالي:

نرجو الإحاطة أن هيئة رسمية بصفتها وصياً وقيماً على المحجور عليهم من الكويتيين تتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم فيها العقارات المملوكة على الشيوع مع آخرين لا تمثلهم الهيئة.

ونظراً لأن الهيئة تقوم باستقطاع الزكاة سنوياً عن لأموال السائلة التي تحت يدها ثم تقوم بتجنيبها ورصدها في حساب خاص للزكاة يتم الإنفاق منه حسب طلبات ومقتضيات الأمور المعروضة على لجنة الزكاة والخيرات المنبثقة عن مجلس إدارة الهيئة.

فإنه قد ترتب على ذلك وجود فائض في أموال الزكاة يصل إلى نحو مليوني دينار.

ولما كانت الهيئة تمثل القُصّر في الحاضر والمستقبل، وكانت الأزمة الاقتصادية الحالية قد أثّرت في الإيرادات وفي الأرباح، بل نتج منها وجود خسائر غير منظورة تمثل الفرق بين ثمن شراء العقارات خلال فترة ارتفاع أسعارها وبين ثمنها الحالي الذي انخفض إلى النصف أو يزيد، وهذه الخسارة لا يظهر أثرها إلا عند بيع هذه العقارات وهو ما تتجنبه الهيئة أملاً في ارتفاع الأسعار فإن لجنة الزكاة والخيرات قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور التالية :

١ - هل يجوز حفظ بعض أموال الزكاة لسد العجز في الخسارة الناجمة عن انخفاض العقارات.

٢ - هل يجوز أن تقوم الهيئة بشراء عقارات أو منشآت صناعية وتجارية من أموال الزكاة لتظل الأصول ثابتة لحساب الزكاة وتوزع الهيئة ريعها في مصارف الزكاة، كما أنه عند الأزمات الاقتصادية والاجتماعية يمكن بيع بعض هذه الأصول وتوزيعها على المحتاجين من الأفراد أو الجهات.

٣ - هل جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على توزيع أموال بيت المال كلها بحيث لا يبقى شيء لمواجهة الظروف الطارئة المتجددة، وهل يوجد نص في القرآن أو السنة أو إجماع من الصاحبة في هذه الأمور أو بعضها.

وقد حضر المستشار في تلك الهيئة الأستاذ سالم بناء على طلب اللجنة وأفاد توضيحاً للسؤال ما يلي :

بأن سر الخسارة المشار إليه في السؤال ليس المراد به انخفاض قيمة العقار وإنما المراد به الحال التي يحتمل أن يصل إليها بعض أصحاب هذه العقارات، إذ يحتمل أن يؤول بعضهم إلى درجة الفقر والمسكنة واستحقاق الزكاة وهو غير قائم حالياً ولكن يخشى وقوعه وهو محتمل، والمقترح هو حجز أموال لهذه الاحتمالات.

وأضاف: بأن الغرض من السؤال الثاني الاستفسار عن جواز توظيف الزكاة في مشاريع ذات ريع أو نفع مع بقاء الصفة الزكوية لها وإمكانية بيعها كلها أو بعضها.

وأفاد أيضاً أن بإمكان الهيئة إعداد وثيقة تسجيل خاصة تسجل رسمياً لدى الجهة المختصة تبين طبيعة هذه المشاريع الاستثمارية الخاصة المنشأة من أموال الزكاة بحيث تتوافر الضمانات لعدم تغير طبيعتها ولتسهيل تسييلها عند الحاجة إلى أموال نقدية تصرف في مصارف الزكاة كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وأفاد بالنسبة للسؤال الثالث : بأن الغرض من السؤال هو أموال الزكاة وليس أموال بيت المال الأخرى من الفيء ونحوه.

أجابت اللجنة بما يلي : بالنسبة للسؤال الأول من أسئلة الهيئة المذكورة إذا كانت حاجة المستحقين للزكاة من الأصناف الثمانية قائمة للصرف من أموال الزكاة فلا يجوز تأخير الصرف عليهم منها إلا في حدود تأخير الصرف للحاجات الدورية لمدة سنة كاملة من حين وجوب الزكاة لا أكثر من سنة ومع وجود المستحقين لا يجوز تأخير الصرف لأكثر من سنة بغرض الاحتياط لمجرد أمر محتمل وهو غير واقع الآن هو عودة بعض مالكي تلك العقارات إلى حال الفقر والمسكنة في المستقبل كما أفاد السيد المستشار القانوني للهيئة.

وأما بالنسبة للسؤال الثاني، فبعد أن اطلعت الهيئة على جواب الهيئة الشرعية في بيت الزكاة محضر اجتماع (٨٤/٣٨) عن موضوع مماثل لهذا السؤال، وعلى قرار مجمع الفقه الإسلامي في جدة الدورة الثالثة المنعقدة في عمان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م القرار الثالث بشأن توظيف أموال الزكاة في مشاريع ذات ريع بلا تمليك فردي للمستحق.

انتهت اللجنة إلى الإجابة التالية : يجوز توظيف أموال الزكاة في مشاريع استثمارية عقارية أو صناعية أو تجارية إذا زادت أموال الزكاة عن الحاجة الفورية أو الدورية «لسنة كاملة» وذلك بالشروط التالية:

أ - أن يقصر الانتفاع بريع تلك المشاريع على مستحق الزكاة من الأصناف الثمانية وعلى النفقات الضرورية لتلك المشاريع نفسها.

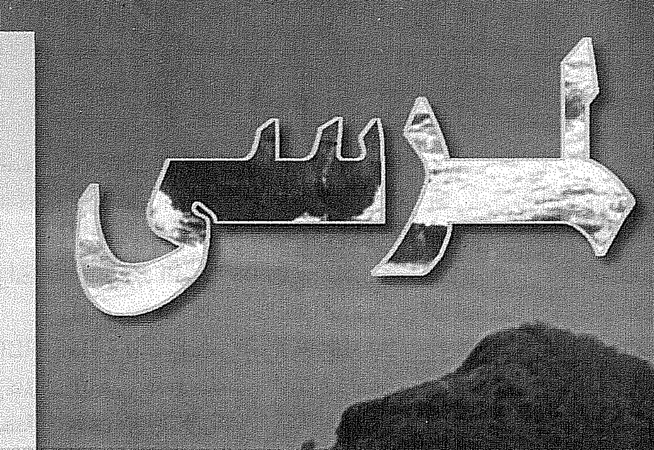
ب - إذا اقتضى الأمر صرف أعيان تلك الأصول لقيام الحاجة إلى ذلك لوجود وجوه صرف عاجلة لأهل استحقاق الزكاة ولا يوجد ما يسدها من أموال أخرى، فإنه يجب بيعها وصرف أثمانها في مصارف الزكاة إذ لا يجوز تأخير صرف الزكاة سواء ظهرت في صورة مبالغ أو أصول مادامت الحاجة قائمة، ولا يغيِّر هذا الحكم اشتراك المزكي خلافه.

ج - يحدد مصير هذه المشاريع بأحد أمرين إما تمليكها لمستحقي الزكاة طبقاً للأوضاع الشرعية في ذلك وإما مآلها إلى الجهة المسؤولة عن جمع الزكاة وتوزيعها لبيعها ورد أثمانها إلى أموال الزكاة للصرف على المستحقين أو لشراء مشروع بديل يخصص لنحو ما كان مخصصاً له المشروع السابق.

د - اتخاذ الاحتياطات الكافية للحفاظ على الطبيعة الزكوية لهذه المشاريع عن طريق التوثيق الرسمي الكافي ومن جملة ذلك التسجيل العقاري كلما كان ممكناً مع تضمين وثيقة التسجيل الصفة الزكوية لهذا المشروع.

هـ - تحاشي الدخول في مشاريع هي مظنة للخسارة أو التقلبات السوقية الكثيرة قدر الإمكان. والله أعلم

وأما بالنسبة للسؤال الثالث فلما كان الغرض منه تطبيقه على شأن إدخار الزكاة فقد حصل البيان المطلوب منه بجواب السؤال الأول. والله أعلم.



هنا يرسو القلم،
ينفض عن كاهله وطأة الأيام
وازدحام الأعمال وهموم الواقع،
فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه..
وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين
للجميع ...

مدرسة رمضان

بقلم: يمن محمد الملا

للدين في حسّنا صورة قاتمة متجهمة.. ترتبط هذه الصورة دائماً في أذهاننا بتكرار آلي ممل، يكرر ذواتنا من غير جديد في حين أننا دائماً نلتفت إلى الوراء راجعين خطوات بحثاً عن الطمأنينة ورضى النفس والتجديد والحياة والأمل في أي مكان هنا كانت أو هناك، ولكن بعيداً عن هذا الدين. متجاهلين أن الحياة تنبع من أعماقنا وأعماق هذا الدين، وأن النبتة - إن كانت صالحة أو فاسدة تنمو في داخلنا.

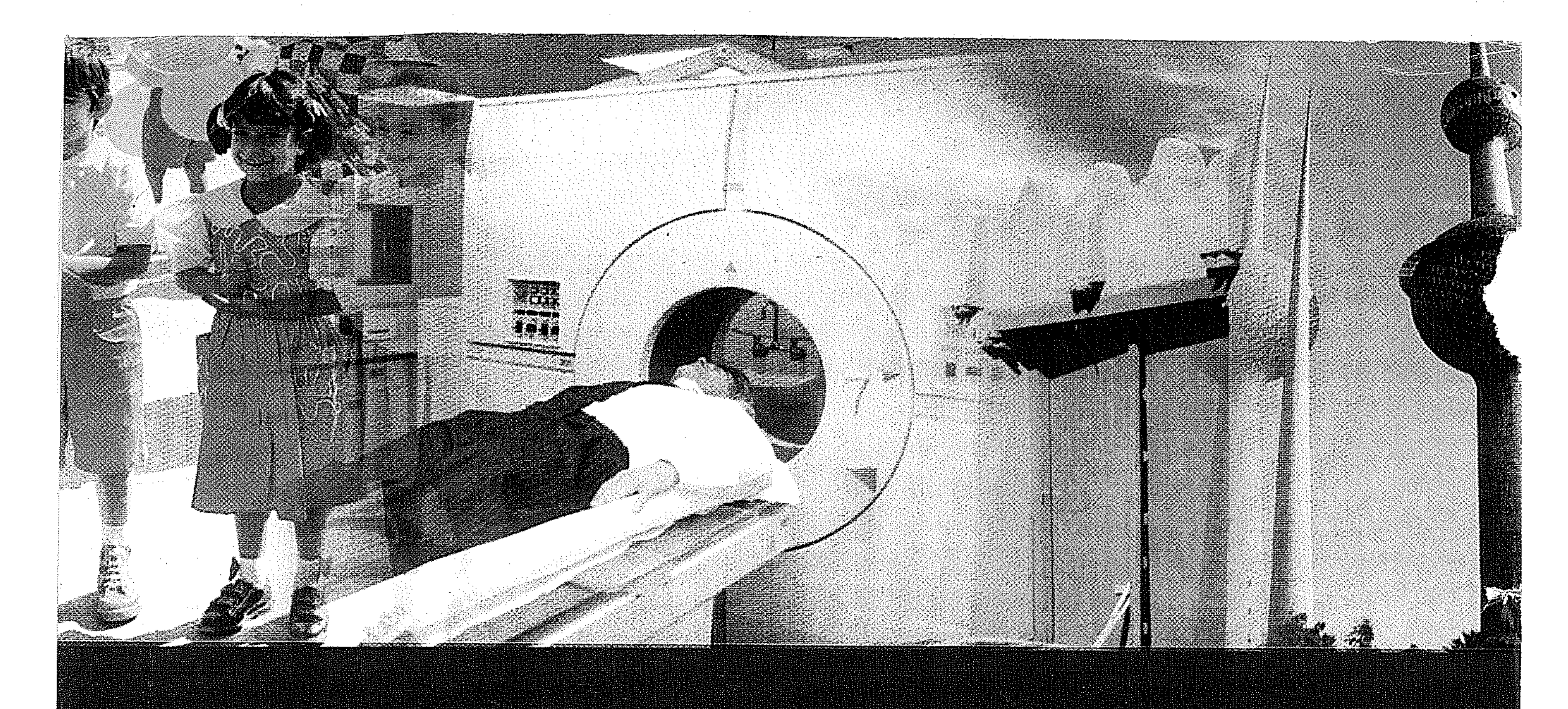
ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

نبحث عن الكثير من الأشياء التي تلزمنا ونحتاجها حيث يمكن ونتوقع أن نجدها لا حيث يجب أن نجدها. توقعاتنا هذه تخضع لتجاربنا مع هذا الدين وبعيداً عن هذا الدين. (قد أفلح من زكاها) ظلال مشرقة عند أصحاب الحسّ الفطري من الذين يفهمون هذا الدين الفهم الصحيح الجاد المعتدل. إن الركون إلى الدنيا والأنس بها يميت هذا الحسّ الفطري، فتصبح تلك الظلال باهتة وخاملة وخامدة في حسّنا فنكتفي عندها بممارسة عادات دورية وشعائر لا تحرك ساكناً في قلوبنا.

نضيّع على أنفسنا فرصاً عظيمة لتربية ذواتنا تعديل أسلوب تفكيرنا، ونمط معيشتنا بالكثير من التجديد الباعث على الحياة بقوة... والثبات بقوة.. والانتصار بقوة. رمضان كواقع نعيشه لا يحمل لنا أكثر من تشكيلة متنوعة من الأطعمة... وكم هائل من البرامج التلفازية الجديدة التي تعد خصيصاً لهذا الشهر «الترفيهي» إضافة إلى الأنس بالسهر الجماعي هذا حول الشاشة الصغيرة أو هناك في تجمعات فاسدة.

رمضان مدرسة تصلح كل أوقاتها للتعلم... الانضباط... الالتزام... الشعور بقيمة الوقت. تنقية ذواتنا باقتلاع سلوكيات جاهلية. تصحيح مفاهيم عدة ... السمو بأفكارنا وأفعالنا وقدراتنا وطموحاتنا. رمضان وقت مناسب لنعيد النظر في علاقاتنا مع من حولنا إن كانت خالصة وصادقة لله أم لدنيا ومنفعة. هناك فرص لنعوّد أنفسنا تكوين علاقات بناءة تؤتي أكلها كل حين بقدر من أخلاق المؤمنين والصالحين، وكم من الفهم والتسامح وحسن الظن. «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

إذا استطعنا تحديد درجة انتمائنا لهذا الدين، ومستوى طموحنا في فهمه، وما مدى فاعلية وتأثير ما تؤديه من شعائر وعبادات في معيشتنا. إذا حاولنا ما أمكن الإجابة بروح إيجابية سيكون في أعماقنا قدر من الإيمان بالله، وحسن الظن به، يكفي لتفجير ينابيع الرضى والطمأنينة وحب الحياة: «من أمسى آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»، مفهوم للاستقرار والرضى أشمل وأعمق من كل عيادات الطب والعلاج النفسي التي تحاول جاهدة أن تعلّم مرضاها كيف يبتسمون ويحبون الحياة: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران. ■



زكاتك لبيت الزكاة

تنمية إجتماعية. صحية. تعليمية

فساهم معنا في بناء بلدك

574 5000

السالمية - شارع قطر

ص . ب: 23865 الرمز البريدي: 13099

عنوان البيت على شبكة الإنترنت

www.ZakatHouse.org

البريد الإلكتروني

Zakbat@Kuwait.net



هيئة حكومية مستقلة

دولة الكويت

2.5%